جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل ـ كلية العلوم الإسلامية
قسم علوم القرآن ـ الدراسات العليا

المباني القيميّة للتربية والتعليم في آيات القراءة والدرس
دراسة تحليلية

أطروحة دكتوراه قدمها الطالب
مشتاق طالب جواد

إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية في جامعة بابل، وهي جزء من
متطلبات نيل درجة الدكتوراه في علوم القرآن الكريم

بإشراف
أ. د. حكمت عبيد الخفاجي

١٤٤٥هجري ٢٠٢٣ميلادي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

سورة البقرة، الآية (٢٨٢)

صدق الله العلي العظيم

الإهداء

إلى من أسبغَ عليّ النعم، ودفعَ عني شر النِقم
خالقي ورازقي.. طاعةً وقربةً
ثم سر توفيقي.. والديَّ
سَكني ورَغدي.. زوجتي
أملي وسندي.. أولادي
زهور حياتي.. أخي علي وأخواتي
وإلى من أحبَ لي بلوغ هذه الدرجة
لكم جميعاً أهدي هذا الجهد المتواضع وفاءً وتقديراً

الباحث

الشـكـر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الشكر لله أولاً، والحمد له فهو القائل: **﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾.**

وأنا في هذه المرحلة، وهذه اللحظة، لا يسعني إلا أن أكون شاكراً ممتناً لخالقي سبحانه، على تمام فضله ودوام توفيقه.

ثم الشكر لوالدي ووالدتي، فكل نعمة أنا فيها، كانت ببركة دعائهما، وفيوضات رضاهما.

شكراً لسعادتي وسكني، أملي وجمال طموحي، زوجتيَّ وأولادي.

شكراً لأساتذتي، ممن علموني وأرشدوني، من عتبة المرحلة الابتدائية حتى مرحلة الدكتوراه.

شكراً لدائرتي الوظيفية (المديرية العامة للتربية في محافظة بابل) إذ منحتني الفرصة، وكانت خير داعم لي.

شكرً لكليتي الموقّرة (كلية العلوم الإسلامية / جامعة بابل) أساتذةً موظفين، زملاءً وزميلات. كنتم سبيلاً للارتقاء، ومشوراً زاخراً بالنفع والعطاء.

شكراً لمشرفي ودليلي، الأستاذ الدكتور حكمت عبيد الخفاجي حفظه الله، وبارك له، خدمة لكتابه، وشريعة نبيه محمد (ﷺ).

شكراً لأساتذتي، رئيس لجنة المناقشة وأعضائها، أدعو لكم بدوام التوفيق، وتمام العافية.

شكراً لأصدقائي وأقربائي، لكلمة طيبة، وكل جهد ساند، لكل دعاء خالص، وأمنية طيبة.

شكراً لمن حضر هذا اليوم (يوم المناقشة) وشاركني الفرحة.

الباحث

محتويات الأطروحة

التسلسل	المحتوى	رقم الصفحة
١	المقدمة	٥ـ٩

٢	الفصل الأول: مقاربات اصطلاحية لمفردات العنوان	١٠
٣	المبحث الأول: المباني والفرق فيما بينها وبين النظريات والمفاهيم	١١
٤	المبحث الثاني: القيمة في اللغة والاصطلاح وعلاقتهما بالأخلاق	٢٩
٥	المبحث الثالث: في تعريف التربية والتعليم	٣٦
٦	المبحث الرابع: المسيرة التاريخية الإنسانية للعلم والتعليم	٤٧
٧	المبحث الخامس: نظرية القيم وعلاقتها بالتربية والتعليم والأخلاق	٥٢
٨	الفصل الثاني: الأسس القيميّة في الآيات القرآنية	٥٩
٩	المبحث الأول: الأسس القيميّة في القرآن الكريم	٦٠
١٠	المبحث الثاني: الأنساق القيميّة في القرآن الكريم	٧٣
١١	المبحث الثالث: أسس وضوابط القيم القرآنية	٨٧
١٢	المبحث الرابع: الخصائص المميزة للقيم القرآنية في آيات القراءة والدرس	٩٧
١٣	المبحث الخامس: القراءة والدرس كوسيلة تعليمية للإنسان	١١٢
١٤	الفصل الثالث: التلازم القيمي بين التربية والتعليم في آيات القراءة والدرس	١٢٣
١٥	المبحث الأول: التشابك اللفظي في آيات القراءة والدرس، المعاني وتنوع الألفاظ	١٢٤
١٦	المبحث الثاني: مديات القراءة والدرس في التوجيه (الإسلامي/ القرآني) وعلاقته بالحضارة الإنسانية	١٤٠
١٧	المبحث الثالث: اهتمام القرآن بالقراءة والدرس من خلال الاهتمام بالعلم والمعلم	١٤٩
١٨	المبحث الرابع: رؤية المفسرين لآيات القراءة والدرس ودورها في المباني القيمية	١٥٩
١٩	الفصل الرابع: المباني القيميّة وأثرها العقدي في التعلم في آيات القراءة والدرس	١٦٨
٢٠	المبحث الأول: المباني القيميّة للتعلم وأثرها في معرفة التوحيد والصفات	١٦٩
٢١	المبحث الثاني: المباني القيميّة للتعلم وأثرها في معرفة الوحي والنبوة والإمامة	١٩١
٢٢	المبحث الثالث: المباني القيميّة للتعلم وأثرها في معرفة حقيقة اليوم الآخر والمعاد	٢٠٩
٢٣	المبحث الرابع: مسائل عقدية متفرقة لها علاقة بالتعلم والقراءة والدرس	٢١٤
٢٤	الفصل الخامس: الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعلم في	٢٢٧

	آيات القراءة والدرس	
٢٥	المبحث الأول: الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعلم في بناء شخصية الإنسان وتنميتها	٢٢٨
٢٦	المبحث الثاني: الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعلم في بناء المجتمع الصالح وتطوره	٢٣٦
٢٧	المبحث الثالث: الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعلم في البناء الحضاري والمعرفي	٢٤١
٢٨	المبحث الرابع: الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعلم في رصد وتحديد الخيارات السليمة	٢٤٤
٢٩	المبحث الخامس: الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعلم في وسائل الدور الريادي للأمة الإسلامية الذي يؤكده القرآن الكريم	٢٤٨
٣٠	المبحث السادس: البعد القيمي والأخلاقي لثقافة القراءة والدرس في المجتمع الإنساني	٢٥٢
٣١	الخاتمة والنتائج والتوصيات	٢٥٦ـ٢٥٨
٣٢	المصادر والمراجع	٢٥٩ـ٢٧٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الكرام المنتجبين.

وبعد..

إن القيم هي أهم ما يميز الإنسان من غيره من المخلوقات، بل ويتميز بها الفرد من أقرانه ومشاكليه، ومن صحبه ومجتمعه، فيكون بها أفضل، ويكون بها أجمل، فيشخص من بين المتشابهين، ويتفرد ما بين المتكثرين.

وأساس الأخلاق ومنبعها هي (القيم)، لذا فإن من المهم معرفة أهم المباني لتأسيس القيم، وما يتفرع من ذلك، والتطبيقات العملية لها، والأخلاق التي تتفرع عن أساس القيم وأصولها.

فالقرآن الكريم هو دستور البشرية جمعاء، وهو الأساس، وهو الأصل، وفيه كل شيء، ومنه يؤخذ كل شيء، والمرجع بكل شيء.

والقرآن الكريم كتابٌ أخلاقي، وتشريعي، وعقائدي، وهو خير البشرية جمعاء منذ الخلق الأول، وإلى يوم القيامة.

في إطار البحث عن المباني القيمية للتربية والتعلم في آيات القرآن الكريم، وبالخصوص آيات القراءة والدرس، فإن هذا البحث يحتاج إلى تتبع دقيق، وإلى عين فاحصة، وإلى ذوق عالٍ، وذلك من أجل جمع تلك الآيات، وتنسيقها، وفهم المراد بها، والخروج بنظرية خاصة بـ(القيم التربوية والتعليمية) في مجال القراءة والدرس والتدريس.

لذا كان عنوان هذه الأطروحة الموسوم بـ(المباني القيمية للتربية والتعليم في آيات القراءة والدرس: دراسة تحليلية).

بيان موضوع البحث:

يتناول هذا البحث قضية مهمة جداً، تتعلق بالقيم وما يتفرع منها من أخلاقيات، وتربية، وسلوكيات، وبالخصوص في المجال التعليمي، وخصوصاً من قِبل المعلمين في المدارس، إذ أن هناك نظام قيمي سلوكي، وآخر قيمي تعليمي، لا بدّ من التمييز

فيما بينهما أولاً، ثم بيان خصوصيات كل مسلك على حدة، وتنظيمها فيما بعد ضمن إطار نظري واحد.

إن هذه الدراسة تتناول جملة محاور مهمة هي:

١ـ المباني: فلا بدّ من التعريف بها، وتمييزها من غيرها، وبيان خصوصياتها.

٢ـ القيم: ذلك أنها تختلف عن الأخلاق، مع بيان العلاقة فيما بينهما.

٣ـ التربية: فإن أساس التعليم والتعلم أن يسبق بتربية تؤهل الطالب لتلقي العلم.

٤ـ التعلم: فهو الأساس لكل شيء، ومنه التربية على القيم الفاضلة.

٥ـ الآيات: أي الآيات القرآنية.

٦ـ القراءة: فإن القراءة والحث عليها هي أول منطلقات الرسالة الإسلامية المحمدية.

٧ـ الدرس: فبواسطته تتم القراءة ويتم التعلم والتعليم.

٨ـ دراسة تحليلية: أي بمنهج تحليلي لكل المفاصل المذكورة.

أسباب اختيار الموضوع:

١ـ كون هذا الموضوع لم يعط الأهمية ضمن المؤسسات التربوية والتعليمية.

٢ـ بيان دور القرآن الكريم، والآيات القرآنية في التأسيس لمنظومة مباني قيمية في مجال التربية والتعلم.

٣ـ بيان دور الآيات القرآنية في التشديد على القراءة والدرس.

٤ـ لقد ساعدني كثيراً على اختيار هذه الموضوع، ومعرفة كل أسسه، وأصوله، جناب الدكتور العلامة (حكمت الخفاجي)، لا لكونه مشرفاً فقط، بل لكونه العالم والمتخصص بالدراسات القرآنية، وصاحب المؤلفات الكثيرة فيها، المتصدر على كرسي الدراسات العليا للموضوعات القرآنية في الجامعات العراقية كافة.

مشكلة البحث:

هناك مشكلة قد دعت للكتابة: هي عدم بيان النظرية أو النظريات القرآنية في التربية والتعلم، والقراءة والدرس، وترك كل ذلك، والاعتماد على النظريات الغربية، وعلى نظريات أمثال جون ديوي، وترك القرآن الكريم، مع أنه الأساس في رقي الإنسان وتطوره.

فرضية البحث:

يفترض البحث بأنه سيقف عند بيان المباني القيمية للتربية والتعليم، وللقراءة والدرس، في آيات القرآن الكريم، من خلال استعراض الآيات القرآنية المباركة الدالة على ذلك، أو الحاثة عليه، أو التي توحي به، وذلك من أجل جمع تلك الآيات، وتنسيقها، وفهم المراد بها، والخروج بنظرية خاصة بـ(القيم التربوية والتعليمية) في مجال القراءة والدرس والتدريس.

منهجية البحث:

لقد كانت المنهجية المتبعة في هذه الأطروحة هي المنهجية التحليلية، أي تحليل كل ما يُطرح فيها، وتوضيح النتائج بعد التحليل.

أهمية موضوع البحث:

١ـ إبراز دور القرآن الكريم في التربية، والتعلم، والتعليم، والعلم، والقراءة، والدراسة، والكتابة، والمعرفة، والتفكر، والتدبر.

٢ـ جاء هذا البحث ليقف عند بناء نظرية خاصة بالقيم في مجال التربية والتعليم، ليستفاد منه في المدارس والمؤسسات التعليمية كافة.

الدراسات السابقة:

هناك، وبالجملة دراسات سابقة، تتشابه من حيث بعض مفردات العنوان، وليس من حيث الهدف والمضمون، منها:

١ـ التأصيل الإسلامي لمفهوم القيم، فتحي حسن ملكاوي، دار الفكر، دمشق ـ سورية، ط١، ٢٠٠١م.

٢ـ العمدة في فلسفة القيم، العوا، عادل، دار طلاس للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ـ سوريا، ط١، ١٩٨٦م.

٣ـ القيم والعادات الاجتماعية، فوزية ذياب، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٦٦م.

٤ـ المدخل إلى القيم الإسلامية، جابر قميحة، دار الكتب المصري، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٤٠٤هـ.

٥ـ الوضعية المنطقية بين القيم الدينية والأخلاقية عند ألفرد إيو، مختار البسيوني، وكالة الشرق للطباعة، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠٠٢م.

٦ـ تعددية القيم: ما مداها وما حدودها، طه عبد الرحمن، طبع كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش ـ المغرب، ط١، ٢٠٠١م.

٧ـ القيم في القصص القرآني الكريم، عبد الله محمد أحمد حريري، اطروحة دكتوراه بقسم التربية الإسلامية المقارنة، جامعة طنطا، جمهورية مصر العربية، ١٩٨٨م.

٨ـ التعليم وقيم التنمية، عصام الدين علي هلال، مكتبة سماح للنشر والتوزيع، طنطا ـ مصر، ط١، ١٩٨٤م.

الصعوبات التي واجهت البحث:

١ـ هناك جملة من المصادر والمراجع لم يوفق البحث إلى الحصول عليها.

٢ـ المشاغل الكثيرة، والالتزامات، وضيق الوقت.

٣ـ صعوبة تفرعت على كون الموضوع جديد لم يتطرق له مسبقاً.

٤ـ سعة أفق آيات القرآن الكريم، وضرورة بيان تلك السعة، ومن ثم انطباقها على مفاصل البحث.

خطة البحث:

فخطة البحث اشتملت على الآتي:

الفصل الأول: مقاربات اصطلاحية لمفردات العنوان.

المبحث الأول: المباني والفرق فيما بينها وبين النظريات والمفاهيم، و**المبحث الثاني:** القيمة في اللغة والاصطلاح، و**المبحث الثالث:** في تعريف التربية والتعلم، و**المبحث الرابع:** المسيرة التاريخية الإنسانية للعلم والتعلم، و**المبحث الخامس:** نظرية القيم وعلاقتها بالتربية والتعليم والأخلاق.

الفصل الثاني: المباني القيمية للتربية في آيات القراءة والدرس.

المبحث الأول: المباني القيمية في القرآن الكريم، و**المبحث الثاني:** الأنساق القيمية في القرآن الكريم، و**المبحث الثالث:** أسس وضوابط القيم القرآنية، و**المبحث الرابع:** الخصائص المميزة للقيم القرآنية في آيات القراءة والدرس، و**المبحث الخامس:** القراءة والدرس كوسيلة تعليمية للإنسان.

الفصل الثالث: التلازم القيمي بين التربية والتعليم في آيات القراءة والدرس.

المبحث الأول: التشابك اللفظي في آيات القراءة والدرس، المعاني وتنوع الألفاظ، و**المبحث الثاني:** مديات القراءة والدرس في التوجيه (الإسلامي/القرآني) وعلاقته

بالحضارة الإنسانية، و**المبحث الثالث:** اهتمام القرآن بالقراءة والدرس من خلال الاهتمام بالعلم والمعلم، و**المبحث الرابع:** رؤية المفسرين لآيات القراءة والدرس ودورها في المباني القيمية.

الفصل الرابع: المباني القيمية وأثرها العقدي للتعلم في آيات القراءة والدرس.

المبحث الأول: المباني القيمية للتعلم وأثرها في معرفة التوحيد والصفات، و**المبحث الثاني:** المباني القيمية للتعلم وأثرها في معرفة الوحي والنبوة والإمامة، و**المبحث الثالث:** المباني القيمية للتعلم وأثرها في معرفة حقيقة اليوم الآخر والمعاد، و**المبحث الرابع:** مسائل عقدية متفرقة لها علاقة بالتعلم والقراءة والدرس.

الفصل الخامس: الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعلم في آيات القراءة والدرس.

المبحث الأول: الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعلم في بناء شخصية الإنسان وتنميتها، و**المبحث الثاني:** الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعلم في بناء المجتمع الصالح وتطوره، و**المبحث الثالث:** الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعلم في البناء الحضاري والمعرفي، و**المبحث الرابع:** الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعلم في رصد وتحديد الخيارات السليمة، و**المبحث الخامس:** الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعلم في وسائل الدور الريادي للأمة الإسلامية الذي يؤكده القرآن الكريم، و**المبحث السادس:** البعد القيمي والأخلاقي لثقافة القراءة والدرس في المجتمع الإنساني.

الخاتمة والنتائج والتوصيات: ثم كانت الخاتمة والنتائج والتوصيات لهذا البحث.

والحمد لله رب العالمين

الفصل الأول

الفصل الأول (التمهيدي): مقاربات اصطلاحية لمفردات العنوان:

المبحث الأول: المباني والفرق فيما بينها وبين النظريات والمفاهيم:

المبحث الثاني: القيمة في اللغة والاصطلاح:

المبحث الثالث: في تعريف التربية والتعلم:

المبحث الرابع: المسيرة التاريخية الإنسانية للعلم والتعلم:

المبحث الخامس: نظرية القيم وعلاقتها بالتربية والتعليم والأخلاق:

المبحث الأول: المباني والفرق فيما بينها وبين النظريات والمفاهيم.

المطلب الأول: المباني في اللغة والاصطلاح.

تعددت المرادات من المباني في قواميس اللغة، لذا فإن البحث سيستعرض تلك المعاني، ويبين المراد بها.

أولاً: المباني لغة:

لفظ المباني هو جمع لفظة (مبنى)، من (بنى) وهو في اللغة يأتي على عدةُ معانٍ منها:

١ ـ ضم الشيء بعضه إلى بعض:

قال أبن فارس: (بني: الباء والنون والياء أصلٌ واحد، وهو بناءُ الشيء بضم بعضه إلى بعض: تقول: بَنَيْتُ البناءَ أبنِية، وتسمى مكةُ البَنِيّة)([١]).

٢ ـ اللصوق والاندماج:

ففي اللغة: (يقال قوسٌ بانِيةٌ؛ وهي التي بِنِتْ على وترها، وذلك أن يكاد وترُها ينقطع للصُوقه بها)([٢]).

٣ـ تولد الشيء عن الشيء:

يقول ابن فارس: (بنو: الباء والنون والواو كلمةٌ واحدة، وهو الشيء يتولد عن الشيء، كابن الإنسان وغيره)([٣]).

٤ ـ القواعد:

ويذكر الزمخشري بأن: (بنى البيت على بوانيه؛ أي على قواعده)([٤]).

([١]) معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، غير محقق، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ، ١٣٨.

([٢]) معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس، ١٣٨.

([٣]) معجم مقاييس اللغة، ١٣٨.

([٤]) أساس البلاغة، جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٣٩٩هـ، ٥٢.

قال تعالى: وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾([1]).

فالقواعد، هي الأسس المتينة، والقوية، ومن ذلك قيل بأن المباني هي: القواعد.

٥ ـ الأصول:

يقول فخر الدين الطريحي (ت١٠٨٥هـ): (إن الكلمات التي بُني عليها الإسلام أربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وهذه الكلمات هي أصل الإسلام)([2]).

قال تعالى: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾([3]).

فمن معاني المباني أنها الأصول، فالأصول هي الأشياء الثابتة القوية.

نعم، بعد الاستعراض المتقدم نجد بأن لفظة (مبنى) جاءت على عدة معانٍ هي: (الضم، اللصوق والاندماج، التولد، القواعد، الأصول)، وهذه المعاني ممكنة بلحاظ تغير الحركات، وبلحاظ تفسير الكلمة في السياق من الجملة، ذلك أن اللفظة في اللغة قابلة للتغيير بتغير حركاتها وسياقها، وهذا من الأمور المهمة الواجب الالتفات لها من قبل كل باحث، كما وان هذا التغير والتبدل في اللغة مقبول لسببي ما ذكرناه، وما قال به المختصون في اللغة عموماً، وفي تفسير القرآن الكريم بشكلٍ خاص.

ثانياً: المباني اصطلاحاً:

لم يُعرف المبنى في الاصطلاح مستقلاً بل لقد عُرف بحسب العلم الذي دخل عليه، فهو قد اتى للدلالة على عدة أمور منها:

١ ـ الأساس:

فالمبنى في الفقه ـ على سبيل المثال ـ هو: (الأساس الذي يعتمده الأصولي أو الفقهية

([1]) سورة البقرة، الآية (١٢٧).

([2]) مجمع البحرين، فخر الدين بن محمد الطريحي (ت١٠٨٥هـ)، تحقيق: أحمد الحسيني، نشر دار مرتضوي، طهران ـ إيران، ط١، ١٤١٨هـ، ج ١ / ٦٤.

([3]) سورة إبراهيم، الآية (٢٤).

استناداً إلى دليلٍ خاصٍ، ثم يبني عليه آراءه ونظرياته في المسائل الفرعية أو يعتمده في المسائل الأصولية)([1]).

في التعريف المتقدم جُعل المبنى بمعنى الأساس القائم على دليلٍ خاص، أي ليس دليلاً عاماً متسالماً عليه، بل دليل خاص، يوافق الرؤية الخاصة للفقيه.

٢ ـ الدليل:

إذ قيل بأن المبنى: هو الدليل الذي يلتزم به الفقيه أو الأصولي أو المفسر، على ما يبتنيه لنفسه من موارد فقهية أو أصولية أو رجالية أو علاجية، ويلجأ إليه عند تعارض الأدلة، وذلك في علاج ما استعُصي من الموارد، ويُعد مائزاً ما بين العلماء([2]).

وفي هذا التعريف عُرف المبنى بأنه الدليل، ولم يبين لنا هل هو خاص أم عام، إذ وفق مسألة العموم والخصوص يمكن لنا فهم حجم وطبيعة المعنى، وكذلك فهم تطبيقاته أو جزئياته أو نماذجه.

٣ ـ ما يُستفاد من الدليل:

فإن المراد من المبنى اصطلاحاً هو ما يُستفاد من الدليل، والذي يُشيّد على الأدلة المرادة والمعينة([3]).

٤ ـ القواعد والأصول:

لقد عُرف المبنى عند المفسرين بأنه: (عبارة عن قواعد وأصول مسلمة ثابتة عند المفسر)([4]).

([1]) المباني الأصولية عند السيد اليزدي وتطبيقاتها في العروة الوثقى: فقه المعاملات أنموذجاً، محمد النائلي، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣٩هـ، ١١.

([2]) ظ: نظرات إلى المرجعية، الشيخ علي الكوراني، دار الشيرة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٥هـ، ٤٠.

([3]) ظ: المدخل إلى القواعد القرآنية، الشيخ ليث عبد الحسين العتابي، دار الولاء، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٦م، ١٨.

([4]) دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، علي أكبر السيفي المازندراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ إيران، ط٣، ١٤٣٦هـ، ج ١ / ١٣٩.

بما أن المفسر يعتمد على قواعد وأصول التفسير، لذا نجد بأنه يُعرف المبنى بما هو ثابت عند المفسر، وبما يعتمد عليه في عملية التفسير، فنجده قد عرف المبنى بكونه ما يجمع القواعد والأصول المُسلم بها عند المفسرين.

وهو في كثير من الأحيان تساهل، أو نوع من التسامح في اطلاق واستعمال الألفاظ، ولربما تقارب، ويمكن حل هذا التقارب من خلال السياق، أو من خلال القرائن الصارفة.

٥ـ القضايا الخبرية:

فلقد عُرفت المباني بأنها: (القضايا الخبرية الحاكية عن واقعيات مؤثرة على مسيرة عملية التفسير والفهم القرآني بنحوٍ ما)([١]).

أي المركب التام، الذي يعكس (واقعيات مؤثرة)، إي: لها التاثير على عملية التفسير القرآني.

٦ ـ الميل والانحياز:

فقد عُرف المبنى بأنه: (هو الميل إلى إحدى الحالتين اللتين يتردد بينهما الشك، معتمداً على حكم أو قاعدة مصححة للعمل)([٢]).

نجد هنا ان المبنى قد عُرف بأنه الميل أو الانحياز لحالة من حالتين، مقيد بوقت الشك فيما بينهما وليس مطلقاً ـ حكم أو قاعدة ـ لكن الميل والانحياز يجب ان يستند إلى حكم أو قاعدة تحدد ذلك.

٧ ـ الطريقة:

في النحو العربي تأسس مبحث (ثنائية المعنى والمبنى)، وعُرف المبنى فيها بأنه: (الطريقة التي تُبنى بها وحدات اللغة العربية)([٣]).

([١]) التفسير التربوي للقرآن: المباني والاتجاهات، هاشم أبو خمسين، مركز القائمية للنشر والتوزع، اصفهان ـ إيران، ط١، ١٤٣٩هـ، ٢٢.

([٢]) معجم ألفاظ الفقه الجعفري، أحمد فتح الله، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الدمام ـ السعودية، ط١، ١٤١٥هـ، ٨٩

([٣]) المدخل اللغوي في نقد الشعر: قراءة بنيوية، مصطفى السعدني، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٩٨م، ١١.

فكان ان قام جملة من علماء النحو بتوضيح المراد بالمبنى عندهم، إذ قالوا بأن المراد منه هو الطريقة التي تساهم في بناء وحدات اللغة العربية عموماً، ووحدات علم النحو بشكلٍ خاص.

ثالثاً: بيان محل الخلاف والتعريف المُختار:

بعد ما تقدم تبين أن للمبنى في الاصطلاح ستة معانٍ هي: (الأساس، الدليل، ما يستفاد من الدليل، القواعد والأصول، القضايا الخبرية، الميل والانحياز، الطريقة)، وهذه المعاني من الممكن ان تشترك فيما بينها في جزئيات معينة تتوضح من خلال الأدلة والقرائن، لكن من الممكن ان تتضاد في الفهم الأولي، وفي دلالتها من حيث الدقة وتحديد المراد.

إن الباحث قد رجح منها معنى الأساس، فالمبنى هو الأساس، والمباني هي الأسس، وذلك لعدة أمور كانت هي الدافع إلى الترجيح منها:

١ ـ التعريف اللغوي للأساس:

فالأساس في اللغة هو: أصل البناء الوطيد الثابت، فيقال للواحد أساس بقصر الألف، والجمع أُسُسٌ([1]).

٢ ـ التعريف الاصطلاحي للأساس:

والأساس في الاصطلاح فهو: الأرضية المعرفية التي تبتني عليها أصول وقواعد المنظومة الفكرية والمعرفية بهدف الوصول إلى النتائج المطلوبة والمفيدة، ويكون المنظم لهذه الأسس هو المنهج، لذلك يطلق عليها توضيحاً اطلاق (الأسس المنهجية)، توضيحاً لأهميته في مقدمات العلوم([2])، لذلك فإن المراد بالمباني ـ هنا ـ هي الأسس المنهجية.

([1]) ظ: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مصدر سابق، ج ١ / ١٤، ومفردات ألفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، تحقيق صفوان داودي، مطبعة دار ذوي القربى، قم ـ إيران، ط١، ١٣٩٩هـ، ٥١.

([2]) ظ: الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي الحجار، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء ـ العراق، ط١، ١٤٣٣هـ، ١٩ ـ ٢١.

٣ ـ تعريف الأسس المنهجية وما يراد به:

فالأسس المنهجية هي البنى الأساسية التي تبنى عليها الأصول والقواعد والضوابط الجامعة والمفيدة في عملية صياغة المنهج الصحيح([1])، وهذا المنهج الصحيح مفيد ومهم، فهو مهم في عملية البحث، ومفيد في توضيح المراد بما يبحث بدقة ووضوح.

إن تعريف الأسس المنهجية كان أحد أهم الأمور في ترجيح معنى الأسس على غيره من الأمور الأخرى، إذ ان المباني هي الأسس، والمباني المنهجية هي الأسس المنهجية، وهذا ما سيتضح عند بيان التعريف الذي رجحه البحث في هذه الاطروحة مع بيان ذلك بوضوح.

٤ ـ طريقة بناء المنظومة المعرفية:

فكل منظومة عموماً، والمنظومة المعرفية خصوصاً، ما لم تبتن على أساس رصين تهاوت أو كادت، فأساس كل شيء فكرة أساسها الخبرة العلمية والعملية، مع القبول بها لتصبح متعارفة ومستعملة ([2]).

بذلك يتضح ان مراد البحث من المباني هي: **الأسس المنهجية المهمة والمفيدة في عملية البحث.**

والباحث وبعد أن يقوم بتعريف القيم لغة واصطلاحاً سيبين ان المراد بالمركب الاضافي من المباني القيمية هو: (الأسس المنهجية) للقيم في مجال التربية والتعلم.

أما قرآنياً فإن هذه الأسس المنهجية موجودة في آيات القرآن الكريم عموماً، وآيات القرآن الكريم التي تحدثت عن القراءة والدرس بشكلٍ خاص.

([1]) ظ: الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي الحجار، ٢٦.

([2]) ظ: المعجم الوسيط، أحمد الزيات وآخرون، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول ـ تركيا، ط٢، ١٩٧٢م، ج ١ / ١٧.

المطلب الثاني: النظرية لغة واصطلاحاً:

فالمجيء بها هنا هو للمقارنة، ولمعرفة مدى علاقتها بالمباني، ومدى تأثرها بها، وما قد يترتب على ذلك من فائدة قليلة كانت أم كثيرة.

أولاً: النظرية لغة:

يأتي النظر في اللغة على عدة معانٍ منها:

١ ـ التأمل والمعاينة:

قال أبن فارس (ت٣٩٥هـ): (نظر: النون والظاء والراء أصلٌ صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد، وهو تأمل الشيء ومعاينته، ثم يُستعار ويتسع فيه. فيقال: نظرت إلى الشيء أنظُر إليه، إذا عاينته)([١]).

فكان المراد الأول، والاطلاق الأول لما يخص النظرية، هو مجيئها من النظر.

٢ ـ إدراك الشي:

ويقول الراغب الاصفهاني (ت٤٢٥هـ): (النَّظَرُ: تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته)([٢]).

٣ ـ المعرفة:

كما ويقول الراغب الاصفهاني: (النظر... المعرفة الحاصلة بعد الفحص)([٣]).

ثانياً: النظرية اصطلاحاً:

فلقد عُرفت النظرية اصطلاحاً بعدة تعريفات منها:

([١]) معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، غير محقق، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ، ٩٩٧.

([٢]) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، مصدر سابق، ٨١٢.

([٣]) مفردات ألفاظ القرآن، مصدر سابق، ٨١٢.

١ ـ البناء والنسق:

فالنظرية اصطلاحاً هي: (بناء أو نسق متدرج من الأفكار الذي يتم الانتقال فيه من المقدمات إلى النتائج)([١]).

أي بناء فكري أو نسق فكري متدرج يُنتقل فيه من المقدمات إلى النتائج، وقوله أفكار يتبين ان هذا البناء هو بناء نظري، وبالتالي فإن المقدمات والنتائج نظرية.

٢ ـ مجموعة الآراء:

والنظرية هي: (عبارة عن طائفة أو مجموعة من الآراء والمعتقدات التي تحاول تفسير وقائع معينة، والتي يقبلها الفرد كموجه له في حياته ومحلها النظر، والفكر، والعقل)([٢]).

هنا تكون النظرية مجموعة من الآراء ومجموعة من المعتقدات، ولا يراد بالمعتقدات العقائد الدينية وما شاكلها، بل هو اطلاق عمومي من جانب وتسامحي من جانب آخر، والمراد بالمعتقدات ـ هنا ـ هي الأشياء التي يسلم بها الإنسان ـ تسليماً ـ على كافة المستويات، كما وان سبب قبولها هو كونها معلومة لديه بالتجربة، كما وان التعريف ـ هنا ـ يؤكد على الجانب النظري وليس العملي من النظرية.

٣ ـ مجموعة تصورات:

وعُرفت النظرية بأنها: (جملة من التصورات المؤلفة تأليفاً عقلياً، تهدف إلى ربط النتائج بالمقدمات، وهي تقابل المعرفة الساذجة، أو المشوهة التي لا تستند إلى التصورات العلمية)([٣]).

كذلك فالتعريف المتقدم ـ هنا ـ يؤكد على الجانب النظري، لكنه وضح أنها تقابل المعرفة الساذجة أو المعرفة المشوهة، أي غير معلومة الملامح.

([١]) نظريات الاتصال، منال هلال مزاهرة، دار المسيرة للطباعة والنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، ط١، ٢٠١٢م، ١٦٢.

([٢]) الأدوات المعرفية، ليث العتابي، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٤م، ٢٠٨.

([٣]) المعجم الفلسفي، مراد وهبة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٩٨م، ٢٢٢.

٤ ـ مجموعة مفاهيم:

عُرفت النظرية أيضاً بأنها: مجموعة المفاهيم المترابطة، والتي تقدم نظرة نظامية إلى الظواهر، تصف فيها تلك الظواهر وتحدد المتغيرات التي تؤثر فيها، وتفسرها وصولاً إلى إمكانية التنبؤ بها([1]).

بما ان محل المفاهيم هو العقل، أي ان اطار المفاهيم هو النظر، فكذلك هي النظرية، بل هي ـ هنا ـ مجموعة من المفاهيم المترابطة وغير المنفلتة، وهذه المفاهيم تقدم رؤية نظامية للظواهر محل البحث وصفاً وتحديداً وتنبؤاً.

فهذا التعريف قريب جداً على ما يتبناه البحث من تعريف للنظرية ضمن النطاق الاصطلاحي، لكن تعوزه بعض الاضافات والصياغات والتي ستتضح بعد ذلك التعريف الذي سيذكره البحث في محله.

٥ـ ممارسة:

كذلك قد عُرفت النظرية بأنها: (ممارسة عملية دقيقة بعيدة عن العشوائية)([2]).

فالنظرية هنا قد أكدت على النظامية في هذا التعريف، لكن هذا التعريف قد كان قاصراً على توضيح كل مشخصات النظرية.

ثالثاً: بيان محل الخلاف والتعريف المُختار:

لقد تعددت تعريفات النظرية على خمسة معانٍ هي: البناء والنسق، مجموعة الآراء، مجموعة تصورات، مجموعة مفاهيم، ممارسة.

فهذه التعريفات مختلفة في جهاتٍ كثيرة فيما بينها، ومشتركة في جهة أو جهتين فقط، ومن المرجح ان هناك سبباً أو أسباباً قد أدت إلى هذا التعدد في تعريف النظرية اصطلاحاً.

فلقد قيل بأن محل وسبب الخلاف في تعريف النظرية هو ان (لفظ نظرية غالباً ما يُساء استخدامه للإشارة إلى مصطلحات مثل: وجهة نظر، اتجاه، رأي، وعندما يسيء الناس استخدام لفظ نظرية فإنهم يخطئون عندما يضفون على تلك

([1]) ظ: الأدوات المعرفية، ليث العتابي، ٢٠٩.

([2]) البحث العلمي في الاتصال، لارامي وفالي، ترجمة: ميلود سفاري وآخرون، مَخبر علم الاجتماع للبحث والترجمة، الجزائر ـ الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م، ١٦٠.

المصطلحات الأخرى صلاحيات يجب أن يحتفظ بها لمعنى أكثر صدقاً ودقة للنظرية)([1]).

وغير ذلك من أسباب ومسببات ـ كما ذكرنا ـ قد أدت إلى تعدد تعريف النظرية في الاصطلاح.

والباحث يرى بأن تعريف النظرية هو: **مجموعة من المفاهيم المترابطة، التي تقدم رؤية نظامية للظواهر المبحوثة، فتحدد المتغيرات، وتفسر التشابكات؛ وصولاً إلى إعطاء النتائج الواقعية والمفيدة.**

هذا التعريف هو ما يتبناه البحث لتعريف النظرية، والذي سيكون ضمن الأسس المعتمدة في الاطروحة.

المطلب الثالث: توضيح المراد بالنظرية وما يتعلق بذلك:

من المهم توضيح المراد بالنظرية وما يتعلق بذلك من مباحث تهتم بالنظرية وتعطي التصورات المفيدة عنها.

لذا فإن: (النظرية؛ فرض أو مجموعة من الفروض التي مرت بمرحلة التحقيق عن طريق التجريب، ويمكن تطبيقها على عدد من الظواهر المتصلة، ولها القدرة على وصف وتفسير الأحداث والتنبؤ بها، واستبصار المعرفة الجديدة المحتملة من خلالها. والنظرية، أو النظريات هي أداة من أدوات المعرفة. فهي تعتبر أمراً أساسياً من أساسيات كل علم، ومقدمة تمهيدية له، كما تمثل الخطط والاستراتيجيات الخاصة بالعلم، والكليات الشاملة له، والخطابات العامة الصادرة عنه، والموجه له. والنظرية تفرض نفسها من خلال سلطة العلم)([2]).

مما قد أكد عليه المختصون هو كون النظرية أداة من أدوات المعرفة، وهذا ما قال به من كان دقيقاً في تعريفه للنظرية في كونها أداة معرفية، وبيان المراد بالأدوات المعرفية، وبالخصوص من فرق ما بين الأدوات ومصادر المعرفة، علماً ان هذا قد تنبه له القليل، وما نستفيده واستفدناه ـ هنا ـ هو بيان وتوضيح وتعريف النظرية وما يراد منها وما يتعلق بها من موارد ومطالب.

([1]) نظرية المنهج، جورج بوشامب، ترجمة: ممدوح محمد سليمان وآخرون، الدار العربية للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٧م، ٢٥.

([2]) الأدوات المعرفية، ليث العتابي، مصدر سابق، ٢٠٩-٢١٠.

فالنظرية هي المقدمة النظرية لكل علم، وهي الخطط والخطوات الأولية لأي استراتيجية علمية.

وعن عدم تقيد أو تقييد النظرية بالزمان والمكان يقول الباحث الأستاذ ناظم عودة: (تعطي النظرية لنفسها حق الخطاب المطلق المتعالي على حدود الزمان والمكان، وكذلك حق الشمولية أو الكلية)([1]).

وهذا ملحوظٌ في النظرية، فهي وبما ان محلها النظر والفهم العقلي النظري، فهي اذن لا تُقيد بزمان، ولا تحصر بمكان، وهي ذات سعة وشمولية، وهي من الكليات التي تجمع المتفرقات.

وعن وظائف النظرية يقول الأستاذ جورج بوشامب: (إن النظرية تحقق ثلاثة وظائف هي: الوصف، والتنبؤ، والتفسير)([2]).

وجورج بوشامب هنا قد حصر وظائف النظرية بثلاثة وظائف فقط، بينما غيره قد وسع تلك الوظائف.

لذا يقال: (إن للنظرية أربعة وظائف هي: الوصف، والشرح، والتنبؤ، والتوجيه)([3]).

المطلب الرابع: المفهوم لغة واصطلاحاً:

أولاً: المفهوم لغة:

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ): (الفهم: المعرفة والتعقل، فتقول فهمت الشيء يعني: عرفته أو عقلته)([4]).

وفهم: أي عِلْم الشيء، أو العلم بالشيء من الفهم([5]).

([1]) تكوين النظرية في الفكر الإسلامي والفكر العربي المعاصر، ناظم عودة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٩م، ١٧.

([2]) نظرية المنهج، جورج بوشامب، مصدر سابق، ٣١ ـ ٣٢.

([3]) الأدوات المعرفية، ليث العتابي، مصدر سابق، ٢١٢ـ٢١٣.

([4]) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ، ج ١ / ٦٢.

([5]) ظ: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مصدر سابق، ٨٠٠.

وقال ابن منظور (ت ٧١١هـ): (الفَهْم: معرفتك الشيء بالقلب. فهمه فهْماً وفهَماً وفهامة: علمه... وفَهْمت الشيء: عقلته وعرفته... وتَفَهَّم الكلام: فهمه شيئاً بعد شيء. ورجل فَهِمٌ: سريع الفهم)([1]).

فالمعنى اللغوي لـ(فهم) يدور ما بين المعرفة، والتعقل، والعلم، وهذه المعاني الثلاثة محلها الذهن، إلا ان هناك معنى رابع للفهم، وهو الذي يراد به المعرفة القلبية، وقد تكون المعرفة القلبية غير متناسقة هنا مع الفهم، وذلك لعدم تلائم الفهم مع وظائف القلب، فليس من وظائف القلب المادي الإنساني الفهم والتعقل، لكن قد يكون البعض تصور ذلك بسبب آية من آيات القرآن الكريم التي تكلمت عن عدم قدرة القلب على إن يفقه الأشياء.

قال تعالى: لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾([2]).

في تفسير بأن التفقه هو الفهم، وبالتالي القلب يفهم، أو في تفسير ان القلب هنا غير الفؤاد، وما شاكل ذلك من تفسيرات وتأويلات أوردتها كتب التفسير.

ثانياً: المفهوم اصطلاحاً:

المفهوم بالاصطلاح له عدة تعريفات منها:

١ـ تمثيل ذهني:

يقول الأستاذ علي القاسمي في تعريفه للمفهوم بأنه: (تمثيل ذهني يُستخدم لتصنيف أفراد العالم الخارجي أو الداخلي عن طريق التجريد بصورة اعتباطية)([3]).

أي ان هذا التمثيل الذهني يساعد على وضع تصنيفات عقلية للأشياء الخارجية، وفق أحكام عقلية، قائمة على نوعٍ من الخبرات والمسلمات الإنسانية الخاصة أو العامة.

مع أهمية التأكيد على اعتراض البحث على الاعتباطية، وعدم القبول بها، فالقصدية هي المرادة هنا.

([1]) لسان العرب، ابن منظور الافريقي (ت٦١١هـ)، مراجعة وتدقيق: يوسف البقاعي وإبراهيم شمس الدين ونضال علي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ، مجلد ٢ / ٣٠٩٢.

([2]) سورة الأعراف، الآية (١٧٩).

([3]) علم المصطلح، علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٨م، ٣٢٧.

٢ ـ أنظمة معقدة:

أما الباحث الأستاذ فؤاد سلمان قلادة فيقول: (المفاهيم أنظمة معقدة من الأفكار الأكثر تجريداً، والتي يمكن بناؤها فقط من خبرات متعاقبة في مختلف المجالات)([1]).

والباحث ـ هنا ـ في القول المتقدم قد عرف المفاهيم بأنها ركائز معرفية، وليس كأشياء ذهنية محددة، تتأثر بالخبرات والمسلمات والبديهيات والتجارب، ليتوضح مراده منها، وبالتالي تفريقها عن غيرها.

٣ ـ مجموعة من الأفكار:

يقول الباحث الأستاذ عايش محمود زيتون عن تعريف المفهوم بأنه: (مجموعة من الأفكار التي تم تعميقها من مناسبات أو ملاحظات أو مواقف معينة)([2]).

فالمفاهيم في هذا التعريف عبارة عن مجموعة من الأفكار، والتي كان لعوامل معينة دور في ترسيخها وتعميقها، من مناسبات، وملاحظات، ومواقف.

كذلك لا نجد دوراً للخبرات والتجارب في تكون المفاهيم في هذا التعريف، علماً أنهما شيئان مهمان جداً.

ثالثاً: بيان محل الاشتراك والتعريف المُختار:

التعريفات المتقدمة قد اشتركت في كون المفهوم محله هو الذهن أو الفكر، وبالتالي فليس هو شيء خارجي، وليس محله القلب ـ كما صرح البعض ـ بل هو شيء ذهني.

أما بخصوص التعريف المختار، فإن الباحث يرى بأن تعريف المفهوم هو: **تمثل ذهني قائم على مقدمات وتصورات عامة وخاصة، يحكم العقل وفقها على الأشياء، ويعطي الأجوبة، ويقوم بالتحليل؛ في سبيل الوصول إلى النتائج الأقل خطأً.**

([1]) أساسيات المنهج في التعليم النظامي وتعليم الكبار، فؤاد سلمان قلادة، دار المطبوعات الجديدة للطباعة والنشر، الإسكندرية ـ مصر، ط١، ١٩٧٦م، ٢٤٥.

([2]) طبيعة العلم وبنيته وتطبيقاته في التربية العلمية، عايش محمود زيتون، دار عمار للطباعة والنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، ط١، ١٩٩١م، ٨٦.

المطلب الخامس: توضيح المراد بالمفهوم وما يتعلق به:

من المهم ـ هنا ـ بيان ما يراد بالمفهوم وما يتعلق به من مباحث وأمور أخرى، فإن علي القاسمي يقول: (من مشكلات المفهوم تسميتهُ، فهي مضطربة في كثيرٍ من اللغات العالمية بما فيها العربية، وتختلف من عصرٍ لعصر، ومن مدرسةٍ فكريةٍ لأخرى، ومن تخصصٍ علمي لآخر. وهكذا نجد في العربية المعاصرة مصطلحات متعددة للتعبير عن معناه مثل: مفهوم، وتصور، ومعنى عام، وفكرة؛ وترد هذه الألفاظ كلها أو بعضها بمثابة مُقابِلات مترادفة للمصطلحات الانجليزية والفرنسية concept و notion في المعاجم الثنائية اللغة مثل المورد والمنهل)([1]).

فإن أولى المشكلات الخاصة بالمفهوم هي مشكلة التسمية المتفق عليها، فقد لا نجد اتفاقاً عاماً على إطلاق اسم المفهوم، ولا نجد تسالماً على ذلك، السبب وراء ذلك هو: إما بسبب التساهل، أو بسبب الخلط، أو بسبب الخطأ في الترجمة في المفاهيم المنقولة.

ثم إن تحليل المفاهيم ـ في سبيل الاحاطة بها ـ يأخذ أهميته من كونه يوضح لنا الشروط المنطقية التي من الواجب أن تستوفيها عملية صياغة المفاهيم أو تعريفها أو اشتقاقها، وكذلك طبيعة العلاقة التي تربط المفهوم بالخبرة، أو التي تربطه بمفاهيم أخرى([2]).

أي ان صياغة المفهوم له شروطه، فالعملية ليست اعتباطية ـ كما نوه البحث إلى ذلك ـ مطلقاً، بل هي عملية مقصودة (قصدية) حتى مع احتمال الخطأ، كما وان المحدد لطبيعة ونوع الشروط الملائمة هي الخبرة والتجربة، واللتان تساعدان على ترابط المفاهيم المشتركة.

وعن ذلك يقول الباحث ليث العتابي: (إن المفهوم يرتبط بمفاهيم أخرى تشترك معه في عناصر معينة، وإن عَزل أي مفهومٍ عن منظومته المعرفية التي يتبع لها سيؤدي إلى حدوث انقطاع بينه وبين المصطلح الذي يُعبر عنه، وسيؤدي لحدوث تباين بين لفظ المصطلح ومضمونه الحقيقي، وبذلك يقع اللبس، وعدم الفهم؛ المؤدي للتأويل الخاطئ)([3]).

([1]) علم المصطلح، علي القاسمي، مصدر سابق، ٣٢٧.

([2]) فلسفة العلوم، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، بغداد ـ العراق، ١٩٨٨م، ٤١ـ٤٢.

([3]) الأدوات المعرفية، ليث العتابي، مصدر سابق، ٢٠٦.

ذلك ان المصطلح هو اختصار للمفهوم، ولكل مفهوم منظومته المعرفية الخاصة به، والبيئة الخاصة، والثقافة الخاصة، فلا يكون استيراد المفاهيم الأجنبية مفيداً، ولا نقل المفاهيم من الغير نافعاً، ولا ممارسة الإسقاط المفاهيمي ملائماً، فلا بدّ إذن من الالتزام بالأسس لبناء المفاهيم، ومع عدم الالتزام سيحصل اللبس، وتحصل القطيعة المعرفية الحقيقية.

يقول الدكتور حسن الربيعي: (إن على الباحث في المفاهيم التاريخية والتراثية بيان أسس هذه المفاهيم وأصولها، ومن ثم تطور استعمالاتها على مر العصور ليمكنه أن يكشف التحولات الطارئة على تلك المفاهيم التي بنيت عليها أصول العقائد أو أصول القانون وقواعده، فإن متابعة أصل الانطلاق ثم التحول والقبول أو الرفض يكشف للباحث مراحل تطور تلك المفاهيم)([1]).

فإن دراسة التحقيب المفاهيمي مهم جداً، فدراسة هذا التحقيب يعرفنا بما مر به المفهوم من تغيرات وتبدلات، ومعرفة ما مر به من تحولات وتنقلات زمانية ومكانية وعلمية.

المطلب السادس: الفروق ما بين المباني والنظريات والمفاهيم:

بعد أن تقدم الكلام عن تعريف كلٍ من: (المباني)، (النظريات)، (المفاهيم)، يصل الكلام إلى بيان العلاقة ما بينها عموماً، وتوضيح الفروق فيما بينها خصوصاً، فإن الباحث ومن خلال تلخيص ما تقدم، توصل إلى النتائج التالية، بخصوص هذا الموضوع، وهي:

أولاً: الفرق بين المباني والنظريات:

هناك جملة من الفروق ما بين المباني والنظريات وعلى عدة مستويات، وهي([2]):

([1]) البحث المعرفي، حسن كريم الربيعي، دار الولاء للنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٥م، ٣٤.

([2]) ظ: المباني الأصولية عند السيد اليزدي، مصدر سابق، ١١، والمدخل إلى القواعد القرآنية، مصدر سابق، ١٨، ونظريات الاتصال، مصدر سابق، ١٦٢، والأدوات المعرفية، مصدر سابق، ٢٠٨.

١ـ من حيث التعريف:

أـ المبنى:

فكما تبنى البحث تعريف المباني فهي: **الأسس المنهجية المهمة والمفيدة في عملية البحث.**

فعلى ذلك يكون تعريف المبنى هو: **الأساس المنهجي المهم والمفيد في عملية البحث.**

ب ـ النظرية:

والباحث يرى بأن تعريف النظرية هو: **مجموعة من المفاهيم المترابطة، التي تقدم رؤية نظامية للظواهر المبحوثة، فتحدد المتغيرات، وتفسر التشابكات؛ وصولاً إلى إعطاء النتائج الواقعية والمفيدة.**

بالتالي إن الفروق ما بين التعريفين تكون:

ـ ١ـ المبنى أساس واقعي، والنظرية قضية مفاهيمية تحتاج إلى أدلة كثيرة لتكون واقعية، وقد لا يتحقق لها ذلك.

ـ ٢ـ المبنى مفيد في عملية البحث تصديقاً، والنظرية مفيدة في اعطاء تصور عن المبحوث.

٢ـ من حيث الطبيعة:

أ ـ المبنى:

ـ ١ـ المبنى عبارة عن أساس منهجي.

ـ ٢ـ المبنى مهم ومفيد في عملية البحث.

ب ـ النظرية:

ـ ١ـ النظرية مجموعة مفاهيم مترابطة.

ـ ٢ـ تقدم النظرية رؤية نظامية للظواهر المبحوثة.

ـ ٣ـ النظرية تحدد المتغيرات وتفسر التشابكات من أجل الوصول إلى نتائج واقعية مفيدة.

ثانياً: الفرق بين المباني والمفاهيم:

هناك جملة من الفروق ما بين المباني والمفاهيم وعلى عدة مستويات، وهي([1]):

١ـ من حيث التعريف:

أـ المبنى:

المبنى هو: **الأساس المنهجي المهم والمفيد في عملية البحث.**

ب ـ المفهوم:

والباحث يرى بأن تعريف المفهوم هو: **تمثل ذهني قائم على مقدمات وتصورات عامة وخاصة، يحكم العقل وفقها على الأشياء، ويعطي الأجوبة، ويقوم بالتحليل؛ في سبيل الوصول إلى النتائج الأقل خطأً.**

بالتالي إن الفروق ما بين التعريفين تكون:

ـ ١ـ المبنى أساس واقعي، والمفهوم شيء ذهني محله الذهن فقط.

ـ ٢ـ المبنى شيء تصديقي، والمفهوم شيء تصوري.

٢ـ من حيث الطبيعة:

أ ـ المبنى:

ـ ١ـ المبنى هو أساس منهجي.

ـ ٢ـ المبنى مهم ومفيد في عملية البحث.

ب ـ المفهوم:

ـ ١ـ المفهوم تمثل ذهني قائم على تصورات عامة وخاصة.

ـ ٢ـ المفهوم مفيد في توفير المقدمات للعقل في سبيل الحكم على الأشياء.

ـ ٣ـ المفهوم هدفه هو الوصول إلى النتائج الصحيحة أو الأقل خطأً قدر الإمكان.

([1]) ظ: علم المصطلح، مصدر سابق، ٣٢٧، وأساسيات المنهج في التعليم النظامي، مصدر سابق، ٢٤٥، وطبيعة العلم وبنيته وتطبيقاته، مصدر سابق، ٨٦.

ثالثاً: الفرق بين النظرية والمفهوم:

هناك جملة من الفروق ما بين النظرية والمفهوم وعلى عدة مستويات، وهي([1]):

١ـ في مجال التعريف:

أـ فالمفهوم:

إن الباحث يرى بأن تعريف المفهوم هو: **تمثل ذهني قائم على مقدمات وتصورات عامة وخاصة، يحكم العقل وفقها على الأشياء، ويعطي الأجوبة، ويقوم بالتحليل؛ في سبيل الوصول إلى النتائج الأقل خطأً.**

ب ـ النظرية:

فالباحث يرى بأن تعريف النظرية هو: **مجموعة من المفاهيم المترابطة، التي تقدم رؤية نظامية للظواهر المبحوثة، فتحدد المتغيرات، وتفسر التشابكات؛ وصولاً إلى إعطاء النتائج الواقعية والمفيدة.**

٢ـ من حيث الطبيعة:

أ ـ المفهوم:

ـ ١ـ المفهوم تمثل ذهني قائم على تصورات عامة وخاصة.

ـ ٢ـ المفهوم مفيد في توفير المقدمات للعقل في سبيل الحكم على الأشياء.

ـ ٣ـ المفهوم هدفه هو الوصول إلى النتائج الصحيحة أو الأقل خطأً قدر الإمكان.

ب ـ النظرية:

ـ ١ـ النظرية مجموعة مفاهيم مترابطة.

ـ ٢ـ تقدم النظرية رؤية نظامية للظواهر المبحوثة.

ـ ٣ـ النظرية تحدد المتغيرات وتفسر التشابكات من أجل الوصول إلى نتائج واقعية مفيدة.

([1]) ظ: علم المصطلح، مصدر سابق، ٣٢٧، ونظرية المنهج، مصدر سابق، ٣١، والمعجم الفلسفي، مصدر سابق، ٢٢٢.

المبحث الثاني: القيمة في اللغة والاصطلاح وعلاقتها بالأخلاق:

أي البحث عن المصطلحات ذات الصلة بالقيم، والمباني القيمية المتعلقة بالتربية والتعليم، وبالسلوكيات الأخلاقية للإنسان.

المطلب الأول: تعريف القيمة لغة واصطلاحاً:

أولاً: القيمة لغةً:

قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): (قوَّمْتُ الشيءَ تقويماً، وأصل القِيمة الواو، وأصله أنك تُقِيم هذا مكان ذاك)([1]).

اما ابن منظور (ت ٧١١هـ) فيقول: (القيمةُ واحدة القيم، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء. والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم... وأقمت الشيء وقومته بمعنى استقام، وهو اعتداله واستواؤه)([2]).

فمادة (قيم) تدور في اللغة على معاني: الاعتدال، الاستواء، الاستقامة، التقييم، الثبات على الشيء، عدم الميل، عدم الانحراف، القيام مقام الشيء.

قال تعالى: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[5].

ثانياً: القيمة اصطلاحاً:

فالقيمة اصطلاحاً لها عدة تعريفات منها:

([1]) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مصدر سابق، ٨٣٩.

([2]) لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق، المجلد ٢ / ٣٣٥٦.

([3]) سورة البينة، الآية (٣).

([4]) سورة الروم، الآية (٤٣).

([5]) سورة الإسراء، الآية (٩).

١ ـ صفة عينية:

إذ قد عُرفت القيمة بأنها: (صفة عينية كامنة في طبيعة الأقوال والأفعال والأخلاق، ولا تتغير بتغير الظروف والملابسات)([١]).

أي صفة معينة مشخصة ومعروفة، موجودة ومتسالم عليها في الأقوال والسلوك والأخلاقيات.

هذه القيمة لا تتغير بتغير الظروف، بل هي ثابتة، ومن المهم التمسك بها، فهي المائز، والفارق، والمشخص.

٢ ـ صفة عقلية:

كما وقد عُرفت بأنها: (صفة عقلية والتزام وجداني يوجه فكر الإنسان واتجاهاته ومواقفه وسلوكه)([٢]).

فهي هنا صفة من صفات العقل، ونوع من أنواع الالتزام الوجداني، الهدف منه هو توجيه فكر الإنسان وسلوكياته إلى الطريق الصحيح وإلى جادة الصواب.

٣ـ معنى أخلاقي:

فقد عرفها طه عبد الرحمن بأنها: (معنى أخلاقي يتطلع إليه الإنسان ويتوجه إليه بكليته، ويجتهد في الإتيان بأفعاله على مقتضاه)([٣]).

وهذا بناءً على كون القيمة جزء من الأخلاق، وهو تعريف للقيم الأخلاقية، وليس لمطلق القيم.

([١]) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٨٣م، ١٥٨.

([٢]) استنباط القيم في حقل علمي، فتحي ملكاوي، بحث منشور في كتاب القيم في الظاهرة الاجتماعية، تحرير: نادية مصطفى وسيف الدين عبد الفتاح، دار البشير، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠١١م، ٢٢٥.

([٣]) تعددية القيم: ما مداها وما حدودها، طه عبد الرحمن، طبع كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش ـ المغرب، ط١، ٢٠٠١م، ١٥.

٤ ـ نشاط ذهني:

يقول الأستاذ عادل العوا: (إن مفهوم القيمة مفهومُ نشاطٍ ذهني يتصور أمراً ذا شأو ويسميه قيمة، وهذا التصور متصل أشد الاتصال بالفعل، وما الفعل الواعي إلا استبصار واختيار)([1]).

فهي ـ هنا ـ عند الأستاذ عادل العوا تُعد نشاطاً ذهنياً مبني على التصورات المهمة، يتصل هذا التصور بفعلٍ من الأفعال الواعية، ويأتي به الإنسان باختياره وإرادته.

٥ ـ فعل اجتماعي:

أما الأستاذ عصام الدين علي هلال في تعريفه للقيمة فيقول: (فعل اجتماعي نمطي مقبول اجتماعياً، وثابت نسبياً، ذو صفة معيارية في توجيه سلوك الأفراد والجماعات، نحو إشباع حاجاتهم بطريقة جماعية)([2]).

فقد حدد الأستاذ عصام الدين مقياس (المعيارية) في توجيه سلوك الفرد، فالمعيارية أو المعيار هو ـ هنا ـ المحدد للقيمة التي ـ عنده ـ هي فعل اجتماعي مقبول يتبع الغريزة الإنسانية الأخلاقية.

٦ ـ أحكام معيارية:

إذ قد عُرفت القيم بكونها: (مجموعة من الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية يتشربها الفرد من خلال انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات المتنوعة، ويشترط أن تنال هذه الأحكام قبولاً من جماعة معينة لكي تتجسد في سياقات الفرد السلوكية أو اللفظية أو اتجاهاته أو اهتماماته)([3]).

فكان ـ هنا ـ للمعيارية تأكيد أكبر في تعريف القيم، ومن دون المعيارية تختلط الموازين والأحكام، على ان تكون الأحكام الموجودة ذات قبول فردي وجماعي على حدٍ سواء.

([1]) العمدة في فلسفة القيم، عادل العوا، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ـ سوريا، ط١، ١٩٨٦م، ٤٣ـ٤٤.

([2]) التعليم وقيم التنمية، عصام الدين علي هلال، مكتبة سماح للنشر والتوزيع، طنطا ـ مصر، ط١، ١٩٨٤م، ٢٦.

([3]) القيم والعادات الاجتماعية، فوزية ذياب، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٦٦م، ٢٠.

ثالثاً: بيان محل الخلاف والتعريف المُختار:

فمحل الخلاف هو لعدة أسباب منها:

١ـ الاختلاف في تحديد من هو أعم ومن هو الأخص بين القيم والأخلاق.

٢ـ الاختلاف في بيان هل القيمة جزء أم كل.

٣ـ الاختلاف في هل القيمة صفة أم ملكة.

والباحث يتبنى تعريف القيمة بكونها: **صفة معيارية ذات طبيعة خيرة تقتضي التزاماً بها وتطبيقاً لها في سبيل الوصول إلى المواقف والسلوكيات الجيدة للفرد والمجتمع.**

فهذا التعريف للقيمة هو ما يتبناه البحث في اطار هذه الاطروحة، وهو ما سيسير البحث عليه في فصولها ومباحثها ومطالبها.

المطلب الثاني: الأخلاق والآراء في علاقة القيم بالأخلاق:

أولاً: المراد بالأخلاق في اللغة والاصطلاح:

١ـ الأخلاق لغة:

قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): (الخُلُق: وهي السجية، لأن صاحبه قد قُدّرَ عليه)([١]).

وعلى هذا المعنى اللغوي سار جميع أهل اللغة، ونقلت ذلك جميع كتب المعاجم التي تلت ابن فارس إلى يومنا هذا.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾([٢]).

وذلك في بيان لخُلق النبي الأكرم ﷺ.

٢ـ الأخلاق اصطلاحاً:

عُرفت الأخلاق في الاصطلاح بعدة تعريفات منها:

([١]) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مصدر سابق، ٣١١.

([٢]) سورة القلم، الآية (٤).

أ ـ أصول:

يقول ابن مسكويه (ت ٤٢١هـ): (الأخلاق: أصول يُعرف بها حال النفس من حيث ماهيتها وطبيعتها وعلة وجودها وفائدتها)([1]).

فهي هنا أصول نفسية، منها يعرف حال النفس وكل ما يتعلق بها من طبائع وعلل وسلوكيات.

ب ـ هيئة:

قال أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ): (الأخلاق هيئة في النفس راسخة، تصدر عنها الأفعال)([2]).

جـ ـ مَلكة:

ويقول محمد علي التهانوي (ت١١٥٨هـ): (الأخلاق: ملكة تصدر بها عن النفس الأفعال بسهولة من غير تقدم فكر أو روية وتكلف)([3]).

ثانياً: بيان محل الخلاف والتعريف المُختار:

ومحل الخلاف ما بين التعريفات التي أوردنا وغيرها التي ذُكرت في الكتب المختصة هو الخلط ما بين المراد بـ(الخُلق)، والمراد بـ(الأخلاق)، والمراد بـ(القيم).

ثالثاً: الآراء في العلاقة ما بين القيم والأخلاق:

هناك تلازم واضح ما بين القيم والأخلاق عند أغلب الناس، أما عند العلماء وأصحاب الاختصاص فقد وقع الأختلاف في تمييز العلاقة ما بين القيم والأخلاق، وهل هي علاقة تباين؟ أم هي علاقة تساوي؟ وهل ان القيم أعم من الأخلاق؟ أم ان الأخلاق أعم من القيم؟

فعلم الأخلاق يتعلق ـ بوجهٍ عام ـ بمعايير السلوك التي يتحدد بموجبها الإعجاب بموقفٍ معين أو رفضه، احترامه أو إدانته، وربما تسري هذه المعايير على جميع

([1]) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ابن مسكويه (ت٤٢١هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٣٩٩هـ، ١١.

([2]) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٥م، ١ / ٥٧.

([3]) كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، مكتبة لبنان، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٦م، ج ٢ / ٢١.

المجتمع فتشكل نوعاً من الميثاق، أو ربما تنطبق فقط على بعض الممارسات المهنية لمجموعة بعينها من هذا المجتمع، والأخلاق هي ترجمة للكلمة اليونانية Ethos التي تعني الطبع، والعادة([1]).

لذا فإنه ومن المفروض علمياً ان نفرق ما بين القيم وما بين الأخلاق وعلى عدة مستويات.

أما القيم فهي من المفاهيم المعقدة ذات الاستخدامات الكثيرة، فتستعمل هذه المفردة في الفلسفة، والحقوق، وعلم النفس، وعلم الاقتصاد، والسياسة، وعلم الاجتماع، وعلم الأخلاق، وبذلك سيتعدد تعريفها بتعدد وجودها ضمن العلوم المتعددة والمختلفة، لذا لا نجد لها تعريفاً موحداً متفقاً عليه حتى في داخل الاختصاص الواحد([2]).

لذلك قيل بأن هناك عدة آراء مطروحة في مسألة العلاقة ما بين القيم والأخلاق، والتي يمكن صياغتها بعد ما تقدم، وبعد قراءة ما تعلق بالقيم من جانب، والأخلاق من جانب آخر، وهذه الآراء هي:

الرأي الأول: إن الأخلاق هي أعم من القيم، ودليلهم على ذلك أمران([3]):

أ ـ الأخلاق تُعرف بأنها منظومة من القيم.

ب ـ أطلاق المركب الاضافي (القيم الأخلاقية) وليس العكس.

الرأي الثاني: ما بين القيم والأخلاق يوجد تباين، ودليلهم على ذلك([4]):

أ ـ الأخلاق تدل على المبادئ التوجيهية التطبيقية للسلوك البشري، بينما تشير القيم إلى المبادئ والمثل العليا النظرية.

ب ـ الأخلاق هي نظام، بينما القيم فهي مُثل ومبادئ.

([1]) ظ: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٩٩م، ١٠٦.

([2]) ظ: مفهوم القيم: قراءة تاريخية، أبو تراب طالبي، فصلية المنهاج، بيروت ـ لبنان، العدد ٧٥، خريف ٢٠١٤م، ٢٢٩.

([3]) ظ: مدخل عام إلى القيم، الشيخ ليث العتابي، مقال، موقع المعارف الحكمية: maarefhekmiya.org

([4]) ظ: مدخل عام إلى القيم، الشيخ ليث العتابي، مقال، موقع المعارف الحكمية: maarefhekmiya.org

جـ ـ القيم لها تأثير على الحالة النفسية والعاطفية، بينما الأخلاق فتؤثر على الحالة السلوكية.

د ـ القيم مختلفة باختلاف الأشخاص والمواقف والعلوم وما شاكل ذلك، بينما الأخلاق موحدة ومتسقة.

هـ ـ ترسم القيم للإنسان مسار ما يفعله أو ما لا يفعله في حياته، بينما تقرر الأخلاق ما هو صحيح وما هو غير صحيح من التصرفات والسلوكيات.

الرأي الثالث: أن العلاقة ما بين الأخلاق والقيم عموم وخصوص مطلق:

وهذا من أرجح الأراء التي يمكن أن تخلصنا من مشاكل الرأي الأول، وتعقيدات الرأي الثاني.

المبحث الثالث: تعريف التربية والتعليم:

المطلب الأول: تعريف التربية لغةً واصطلاحاً:

أولاً: التربية لغة:

قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): (ربّ: الراء والباء يدلُ على أُصولٍ، فالأول إصلاح الشيءِ والقيام عليه. فالربّ: المالك، والخالق، والصاحب؛ والرّبُّ: المُصلحُ للشيء، يقال: رَبَّ فلانٌ ضيعته، إذا قام على إصلاحها... والرّبّ: المصلح للشيء... والرّبيبة الحاضنة)([١]).

وقال محمد بن أبي بكر الرازي (ت٦٦٠هـ): (رباه تربية: أي غذاه، وهذا لكلِ ما ينمى كالولد والزرع ونحوه)([٢]).

وقال ابن منظور (ت٧١١هـ): رَبَتَ الصبيَّ، وربته: رباه، اعتنى به واحتضنه([٣]).

إن التربية تأتي في اللغة على عدة معانٍ منها: الاصلاح، التغذية، العناية، الحضانة.

لذلك يقال: (إنما قيل للفقهاء الربانيون لأنهم يربون العلم، أي يقومونه)([٤]).

ووفق كل ما تقدم جاء معنى التربية في اللغة ليكون الجامع للكل هو العناية والمداراة والاصلاح.

ثانياً: التربية اصطلاحاً:

وللتربية في الاصطلاح عدة تعريفات منها:

١ ـ هي عملية إنسانية سلوكية:

فقد عرفت التربية اصطلاحاً بأنها: عملية إنسانية سلوكية، تتألف في جوهرها من التعلم القائم أصلاً على الجهود الذاتية للمتعلم، المتجلية في تشكيل سلوكه، المؤدية إلى

([١]) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مصدر سابق، ٣٧٨.

([٢]) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي (ت٦٦٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٤م، ١٢٧.

([٣]) ظ: لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق، المجلد ١ / ١٤٢٥.

([٤]) مجمع البحرين، الطريحي، مصدر سابق، ج ٢ / ١٢٨.

تطوير شخصيته، وبالتالي مساهمته في تقدم مجتمعه وتمكينه من المساهمة في بناء الحضارة الإنسانية([1]).

بذلك يتوضح أنها عملية غايتها وهدفها مصلحة وخير الإنسان والمجتمع، وذلك بما توفره من أسس مهمة جداً قوامها التعلم.

٢ ـ الجهد:

يقول سيربر ستن عن تعريف التربية: (التربية هي الجهد الذي يقوم به آباء شعب ومربوه لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التي يؤمنون بها. إن وظيفة المدرسة التي تمنح للقوى الروحية فرصة التأثير في التلميذ، تلك القوى الروحية التي تتصل بنظرية الحياة، وتربي التلميذ تربية تمكنه من الاحتفاظ بحياة الشعب وتمد يدها إلى الأمام)([2]).

وهذا التعريف قد حصر التربية بالمدرسة فقط، علماً ان التربية لها عدة منابع، نعم ان المدرسة أهمها لما لها من علاقة طويلة مستمرة مع الشخص المتعلم، لكن من ترك المدرسة أو لم يدخلها فهو عنده تربية خاصة به قد أخذها من منابع أخرى، لكن لو قيدت التربية بـ(التربية المدرسية)، لتوضح الأمر أكثر وأفضل.

٣ ـ الكمال:

كما وعرفت التربية في الاصطلاح بأنها: (بلوغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً. وهذا يشمل التكامل المادي والمعنوي معاً)([3]).

فالتعريف ـ هنا ـ ناظر إلى تحقيق كل أسس التربية، وهذه نظرة دينية وليست نظرة مدرسية، وهذه ـ عموماً ـ هي الغاية لكل إنسان متدين، وليست خاصة بالشخص في المدرسة فقط.

نعم، الكمال شيء صعب، إلا ان التعريف هنا أطلقها بمعناه التسامحي أو الإنساني، وإلا فإن الكمال شيء صعب، ولا يوجد في البشر العادي من هو كامل.

([1]) ظ: استراتيجية تطوير التربية العربية، محمد الشريف وآخرون، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط١، تونس ـ تونس، ط١، ١٩٧٩م، ٣٢٥.

([2]) نحو التربية الإسلامية الحرة، أبو الحسن الندوي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٧٧م، ٧٥.

([3]) موسوعة الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣٣هـ، ج ٢٦ / ٢٩٦.

ثالثاً: بيان محل الخلاف والتعريف المُختار:

محل الخلاف في تعريف التربية حصل بسبب تعدد المناهج الناظرة إلى التربية، ذلك ان هناك ثلاثة مناهج نظرت إلى التربية، فكل منهج منها نظر بحسب ما تبناه، فالمنهج الأول هو القائل بضرورة تربية الماهية، وذلك نظراً إلى ما يجب أن يكون عليه الإنسان دون النظر إلى الواقع الذي يعيشه. والمنهج الثاني هو القائل بضرورة تربية الوجود، وهذا المنهج مناقض للمنهج الأول إذ قد وجه أصحابه اهتماماتهم إلى التربية الناظرة إلى الإنسان كما هو بحسب واقعه لا كما سيكون عليه. المنهج الثالث وهو المنهج الذي قامت به الأديان السماوية، وهو منهج قائم على مبدأ التربية المتوازنة ما بين الحاجات والمتطلبات الدنيوية والأخروية، ويتم ذلك من خلال معالجة واقع الإنسان معالجة عملية وعلمية وواقعية([1]).

والباحث يتبنى تعريف التربية بأنها: **هي عملية إعداد وتقويم للفرد الإنساني ، فكراً وسلوكاً؛ ليكون عضواً نافعاً لنفسه و المجتمع.**

فهذا التعريف هو ما يبناه البحث في هذه الأطروحة، وما سيكون عليه مدار باقي المباحث والمطالب ذات العلاقة.

المطلب الثاني: تعريف التعلم لغة واصطلاحاً:

أولاً: التعلم لغةً:

قال ابن فارس (ت ٣٩٥هـ): (علم: العين واللام والميم أصلٌ صحيحٌ واحدٌ، يدلُ على أثرٍ بالشيء يتميز به عن غيره. من ذلك العَلامة، وهي معروفة، يقال: عَلَّمت على الشيء علامة، ويقال أعلم الفارس، إذا كانت له علامة في الحرب، وخرج فلانٌ مُعْلِماً بكذا... والعِلْمْ: نقيض الجهلِ، وقياسه قياس العِلَم والعلامة... وتعلمت الشيءِ، إذا أخذت علمه)([2]).

([1]) ظ: فلسفة التربية الفقهية عند الإمام الصادق عليه السلام، محمد أحمد حجازي، دار المؤرخ العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ، ج ١ / ٧٠ـ٧١.

([2]) معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ٦٦٤.

قال تعالى: نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾([1]).

وقال الراغب الاصفهاني (ت ٤٢٥هـ): (العِلْمُ: إدْراكُ الشيءِ بحقيقته؛ وذلك ضربان: أحدهما: إدْراكُ ذاتِ الشيءِ. والثاني: الحُكْمُ على الشيءِ بوجودِ شيءٍ هو موجودٌ له، أو نفي شيءٍ هو منفيٌ عنه)([2]).

قال تعالى: وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾([3]).

ثانياً: التعلم اصطلاحاً:

لقد عُرف التعلم بعدة تعريفات منها:

١ ـ عملية منظمة:

فالتعلم اصطلاحاً هو: (عملية منظمة تهدف إلى اكتساب الشخص المتعلم للأسس العامة البانية للمعرفة، ويتم ذلك بطريقة منظمة ومقصودة وبأهداف محددة ومعروفة)([4]).

إن التعلم ـ هنا ـ يُعد عملية منظمة، أي لها أسس مرتبة ومنظمة بشكلٍ مقنن، الهدف منها هو ان يفهم المتعلم تلك الأسس؛ كونها مهمة جداً في بناء المعرفة لديه.

٢ ـ تعديل السلوك:

يقول الأستاذ مصطفى ناصف عن تعريف التعلم: (أنه تعديل للسلوك من خلال الخبرة)([5]).

في التعريف المتقدم تم تعريف التعلم على أنه عملية (تعديل سلوك)، وهذا التعديل يتأثر بالخبرة والتجربة، أي ان التعديل والتطور صعودي.

([1]) سورة يوسف، الآية (٧٦).

([2]) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥هـ)، مصدر سابق، ٥٨٠.

([3]) سورة البقرة، الآية (٢٣٠).

([4]) نظريات تربوية، محمد خالد سامور، دار آفاق الحضارة للنشر والتوزيع، تونس ـ تونس، ط١، ١٩٩٩م، ٢٤.

([5]) نظريات التعلم: دراسة مقارنة، مصطفى ناصف، دار المعرفة، الكويت ـ الكويت، ط١، ١٩٨٣م، ١٥.

٣ـ سلسلة من التغييرات:

يقول إدوارد لي ثورندايك عن تعريف التعلم: (أنه سلسلة من التغييرات في سلوك الإنسان)([1]).

إن هذا التعريف مبني على خلفيات علمية خاصة بعلم النفس، وبالدقة علم النفس السلوكي.

٤ ـ عملية اكتساب للمعارف:

فالتعلم اصطلاحاً هو: عملية اكتساب المعارف والمهارات، ثم ترجمتها إلى أفعال وسلوك([2]).

ثالثاً: بيان محل الخلاف والتعريف المُختار:

فمحل الخلاف هو بسبب عدم الاتفاق على تعريف موحد للتعلم، فما بين أنه عملية منظمة، أو كونه تعديل للسلوك، أو كونه سلسلة من التغييرات، أو هو عملية اكتساب المعارف، كل ذلك ـ وغيره ـ قد سبب الخلاف في تعريف التعلم.

ومن المهم الانتباه إلى كون الإنسان يتعلم في حياته الكثير من الأشياء، ويمارس أفراد النوع الإنساني عادات متنوعة في مراحل النمو المختلفة، فإن ما يؤكده المختصون بأن رغبات الإنسان تعليمية أيضاً لأسباب متنوعة، إذ تمثل بعض رغباته الحاجات الأساسية والتي كانت تُعد قبلاً غرائز، وهذه الرغبات من حيث الشكل يتم تعلمها بأشكال متباينة في المجتمعات والحضارات المتنوعة، تؤطر بأطر مختلفة كالرغبة وحب الاستطلاع، لمعرفة الظواهر وكل ما يجري حوله، فيجمع المعلومات، ويتعرف عليها، بل وتطور ليدونها ويقايس فيما بينها.

فما تقدم مقبول ومسلم به ولا حديث عنه، إلا أن الحديث قد دار حول كيفية تعلّم الإنسان لهذه الأمور والأشياء، بل ودار الحديث حول طبيعة الشكل الذي تتحقق فيه طريقة التعلّم، وظروفها التي ساهمت في تكوينها، وهذا ما جعل المختصين يبحثون عن أجوبة لما تقدم.

([1]) علم النفس التربوي: سيكولوجية التعلم، إدوارد لي ثورندايك، مطبعة كلية المعلمين، ط١، ١٩١٣م، المجلد ٢ / ١٦.

([2]) ظ: التعليم والتعلم في القرآن الكريم، حامد عبده الهوال، مكتبة الفلاح، الكويت ـ الكويت، ط١، ١٩٨١م، ١٥.

وقيل في جواب ذلك بأنه وفي جملة من مدارس التعلم قد طرح التعلّم عن طريق (التدريب)، المساوق للتكرار، إذ يتعلم الأطفال ـ على سبيل المثال ـ أسماء الأشياء عن طريق التدريب، إذ في البداية يسمع الطفل كلمات ليس لها معنى عنده، إلا ان مجاورة هذه الكلمات للأشياء أو الحركات المعينة يقود إلى تعلمها من قبلهم بواسطة التدريب([1]).

وهذا الطريق مهم جداً في عملية التعلم، فالتدريب المساوق للتكرار يُعد أساساً مهماً في عملية التعلم.

أما الطريق الثاني لعملية التعلّم فهو (الدراسة)، إذ تخرج عملية التعلّم في هذا الطريق عن شكلها الميكانيكي، وهنا فإن للتفكير دور أساس في هذا الطريق، إذ ان ما يريد الإنسان ان يتعرف عليه أو يتعلمه يجب ان يتخذ طابع المشكلة من أجل ان يثير تفكيره، وعندها سينبري للتعرف عليه أو تعلمه([2]).

بذلك يتبين ان الدراسة ـ كطريق ثانٍ لعملية التعلم ـ مهمة جداً في عملية التعلم، وركن ثاني مهم جداً وأساسي فيه.

ما بين التعليم والتعلم: إن هناك من فرق ما بين التعليم والتعلم بأن التعليم تنبيه النفس لتصور المعاني، والتعلم تنبه النفس لتصور ذلك.

يرى الباحث بأن التعريف المختار للتعلم هو: **عملية منظمة هدفها تأهيل الإنسان علمياً ومعرفياً، ليكون فرداً فاعلاً في المجتمع.**

فهذا التعريف للتعلم هو ما يتبناه البحث، وهو ما سيكون الأساس في توضيح جملة من مطالب الاطروحة.

([1]) ظ: التربية والتعليم في الإسلام، علي شريعتمداري، مجمع البحوث الإسلامية، طهران ـ إيران، ط١، ١٤١٥هـ، ٨٥.

([2]) ظ: التربية والتعليم في الإسلام، علي شريعتمداري، مصدر سابق، ٨٧ ـ ٨٨.

المطلب الثالث: الألفاظ ذات الصلة بالتربية والعلاقة فيما بينها:

١ ـ التأدب:

قال أحمد بن محمد الفيومي (ت٧٧٠هـ): (أدَّبْته أدباً، من باب ضَرَبَ: علمته رياضة النفس ومحاسن الأخلاق، قال أبو زيد الأنصاري: الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان في فضيلة من الفضائل، وقال الأزهري: نحوه، فالأدب أسمٌ لذلك والجمع آداب مثل سبب وأسباب، وأدبته تأديباً: مبالغة وتكثير، ومنه قيل: أدبته تأديباً إذا عاقبته على إساءته؛ لأنه سبب يدعو إلى حقيقة الأدب)([١]).

وعند المقارنة ما بين التربية ـ كما تقدم ـ والتأدب يتبين للبحث بأن التربية هي أعم من التأدب.

٢ ـ التثقيف:

ورد في المعجم الوسيط: (ثَقِفَ ثقفاً: صار حاذقاً. فهو ثَقِفٌ... وثقف الإنسانَ: أدبه وهذبه وعلمه)([٢]). أو من الظفر، والإمساك.

قال تعالى: ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾([٣]).

وعند عقد المقارنة ما بين التربية والتثقيف، يتبين للبحث بأن التربية أعم من التثقيف.

٣ ـ الترابيب:

فالترابيب هو: (من الربّ بمعنى التربية، يقال: ربّبه ترابيباً، أي ربّاه)([٤]).

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾([٥]).

([١]) المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي (ت٧٧٠هـ)، دار العدل الجديد للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠٠٧م، ١٣.

([٢]) المعجم الوسيط، أحمد الزيات، مصدر سابق، ج ١ / ٩٨.

([٣]) سورة البقرة، الآية (١٩١).

([٤]) الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ، ج ١ / ١٣٠.

([٥]) سورة آل عمران، الآية (١٤٦).

أما عن الفرق ما بين التربية والتربيب فهو: (الفرق بين التربية والتربيب إنما هو في بعض الاستخدامات، فإن التربية بمعنى الحضانة تستعمل كثيراً في التربية المادية، بخلاف التربيب فإنه يستعمل في الأعم من التربية المادية والمعنوية)([1]).

فالفرق واضح جداً ـ هنا ـ ما بين التربية والتربيب، ذلك ان المراد بالتربية الممارسة المادية، بينما التربيب أعم من ذلك.

والفروق التي أوردها البحث ما بين التأدب، والتثقيف، والتربيب، مهمة في التعرف على المصطلحات المشابهة والقريبة من مصطلح التربية، مع بيان العلاقة ما بين التربية والمصطلحات الأخرى القريبة منه، كل ذلك مفيد في عملية التربية والتعليم، ومفيد في الاطروحة ليتوضح المراد العلمي الدقيق منها.

المطلب الرابع: التربية والتعليم والأهداف المترتبة عليها:

أولاً: في توضيح الأهداف التربوية والتعليمية:

فللعملية التربوية أسساً مهمة جداً، وهذه الأسس منوطة بموافقة الزمان والمكان، فـ(بما أن العملية التربوية مشروطة دائماً بظروف الزمان والمكان، ومن ثم فإن فهمها يقتضي معرفة هذه الظروف التي هي جزء أساسي من أسس التربية والتعليم الصحيح)([2]).

وذلك يستدعي فهم جميع الملابسات المترتبة على تغير الزمان والمكان، وهذا واضح، ويتجلى كثيراً في موضوع تبدل المصطلحات زمانياً، وتغير الاستخدامات للألفاظ مكانياً.

وعن أهمية التربية ضمن الأهداف التربوية والتعليمية تقول الأستاذة جميلة علم الهدى: (إن التربية ليست مجرد تمظهر عقلاني في حياتنا، بل هي شرط أساس وضرورة ملحة لوجودنا وبقائنا)([3]).

([1]) موسوعة الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام، مصدر سابق، ج ٢٦ / ٢٩٧.

([2]) تطور الفكر التربوي، فخري رشيد خضر، مكتبة المكتبة ودار الكتاب الجامعي، أبو ظبي ـ الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠٠٠م، ٦.

([3]) النظرية الإسلامية في التربية والتعليم، جميلة علم الهدى، تعريب: عباس صافي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١١م، ج ١ / ١٧١.

فعملية التربية والتعليم قائمة على جملة من الأهداف أهمها: الأهداف التربوية، والأهداف التعليمة.

والأهداف التربوية هي: أهداف عامة بعيدة المدى، تصاغ في عبارات تصف الغايات النهائية القصوى للتعليم.

اما الأهداف التعليمية فهي: أهداف قصيرة المدى، تصاغ في عبارات أقل عمومية، تصف مخرجات تعليمية محددة.

كما وان لكل واحدٍ منهما أسسه الخاصة، والعامة، وكذلك الغايات المرادة منه، والتي تتطلب العلم بها، ومعرفتها، لما لها من دور فاعل في تصويب مسار العملية التربوية، والتعليمية، لتصبح أكثر دقة، وأكثر واقعية.

والأهداف التعليمية تكون مفيدة وسارية المفعول في داخل العملية التربوية، وهذا يحتاج إلى توضيح المراد بالعملية التربوية والتي هي: (عملية تنمية الشخصية الإنسانية في مستوى الوعي والإدراك المعرفي، ومستوى الوجدان ومستوى الحركة والمهارة)([1]).

ومما يؤسف عليه كون العملية التربوية والتعليمية ـ في يومنا هذا ـ تعتمد وبصورة أساسية على ما وصل إليه الفكر الغربي فقط في مجالات التربية، ومجالات التعليم، ومجالات الثقافة، ومجالات الإعلام، بل في كل المجالات، مما أدى بالأمة الإسلامية إلى أن تفقد هويتها الحقيقية التي أساسها الدين الإسلامي بكل ما يحمله من منظومة ومنهج متكامل في الحياة لبني الإنسان.

فالأمة الإسلامية إذا أرادت أن ترجع إلى موقع الصدارة والريادة فعليها أن تعيد النظر في كامل منظومتها التي شابها التحريف، والخمول، والتغريب، وأن تصحح مفاهيمها ونظرياتها الحياتية وبالخصوص في الجانب التربوي والتعليمي وذلك بأن ترجع إلى كتاب الله تعالى بما فيه من آيات، ومفردات في مجال التربية والتعليم، وبناء الأمة، في سبيل بناء فرد ومجتمع يحقق الخلافة الإلهية المرادة.

فديننا الإسلامي يدعونا للتعقل، والاتزان في كل شيء حتى في الأخذ من الآخر، فنحن نأخذ من الآخر العلم، والتكنولوجيا، ونطمح أن نتقدم ونرتقي مثله، فلا بأس بكل ذلك.

([1]) فلسفات تربوية معاصرة، سعيد إسماعيل علي، عالم المعرفة، الكويت ـ الكويت، ط١، ١٩٩٥م، ١٣.

أما أن نستورد منه الأخلاقيات، والسلوكيات السيئة، بل أن نشعر أمامه بالصغر، والانعدام، فذلك هو الممنوع شرعاً وعقلاً.

لذلك فإن المطلوب هو وضع أسس مهمة للبناء التربوي والتعليمي وفق القيم الإسلامية الاصيلة، ووفق النظرية الإسلامية الحقيقية، ووفق الثوابت الإسلامية.

ثانياً: في بيان العلاقة ما بين القيم والتربية:

يرى البحث وفي سبيل تحديد العلاقة ما بين القيم والتربية أن يورد جملة من النقاط المهمة في توضيح تلك العلاقة، وهي:

١ـ القيم هي الموجه للعملية التربوية بشكلٍ كامل.

٢ـ القيم تحتاج إلى الوسائل والأساليب والخبرات.

٣ـ العلاقة ما بين القيم والتربية هي علاقة تبادلية، ذلك أنه ومن دون تربية سيصعب غرس القيم وتنميتها، ومن دون القيم ستصبح التربية عقيمة ومعدومة الفائدة.

ثالثاً: التربية والتعليم في الإسلام:

فعملية التربية والتعليم بدأت في الإسلام منذ سنة (٦٠٩ميلادي) عندما أوحي إلى النبي الأكرم محمد ﷺ، فكانت أولى كلمات الوحي هي:

قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾([1]).

ثم تلاها قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾([2]).

وهي بإجماع المسلمين أول الآيات النازلة على النبي الأكرم ﷺ يوم تكليفه بالنبوة الإلهية الخاتمة.

والأدلة كثيرة على اهتمام الإسلام بالقراءة والعلم، فـ(إن من أعظم دلائل الإسلام في تشريف العلم والحض عليه أن تنوه به آيات القرآن الأولى. ولو تأملنا ما ورد في القرآن الكريم وفي السنة الشريفة حول العلم لأدركنا مكانته في الإسلام)([3]).

([1]) سورة العلق، الآية (١).

([2]) سورة العلق، الآيات (٣ ـ ٤).

([3]) تطور الفكر التربوي، فخري رشيد خضر، مصدر سابق، ١٢٦.

فإن القرآن الكريم حافل بالآيات الخاصة بالتربية والتعليم، وكذلك السنة الشريفة حافلة بالأحاديث حول التربية والتعليم.

والنظام الإسلامي في التربية والتعليم له وضعه المتميز من حيث الأسس والأهداف، ومن حيث المحتويات والأساليب، فإن الأهداف التربوية والتعليمة في الإسلام واسعة وشاملة ومتكاملة، وأن الأساليب التربوية والتعليمية متنوعة وصالحة للتطبيق في جميع الحالات([1])، وهذا ما جعل النظام التربوي والتعليمي في الإسلام متميزاً عن غيره من الأنظمة الوضعية.

والقرآن الكريم هو الكتاب التعليمي الأرقى والأسمى والأفضل والأجمل، وهو كتاب المسلمين الوحيد الذي يتلونه ويتدبرون في آياته، كما وأنه كان كتاب القراءة الوحيد عند المسلمين لفترة ليست بالقصيرة، فكان القرآن الكريم الكتاب التعليمي الأول الذي يتعلم منه المسلمون القراءة والكتابة.

القرآن الكريم كان ولازال وسيبقى الكتاب الوحيد الجامع للمسلمين جميعاً يقرؤونه ويرتلونه في كل الأوقات، وهو كتاب التربية والتعليم والتشريع والأخلاق والعقائد الأول من دون منازع.

الإسلام قد أولى التربية والتعليم والتعلم أهمية كبرى، والدليل على ذلك جميع آيات القرآن الكريم، وكذلك الأحاديث النبوية المباركة، وأحاديث المعصومين عليهم السلام.

([1]) ظ: التربية والتعليم في الإسلام، علي شريعتمداري، مصدر سابق، ١١٨.

المبحث الرابع: المسيرة التاريخية الإنسانية للعلم والتعليم:

المطلب الأول: نظرة تأريخية عن التعليم والتعلم:

الكلام عن تاريخ العلوم، أو المسيرة التاريخية الإنسانية للعلم والتعلم يقودنا إلى الكلام عن نشأة العلوم وما مرت به من مراحل، وتطورات، ونكسات، وما شاكل ذلك.

فتاريخ العلوم يهتم بحركة العلم عبر السنين والمراحل التاريخية التي مر بها، ذلك من أجل التعرف على ما مر به من تغيرات وتبدلات، وكذلك معرفة العوامل التي ساهمت في تقدمه أو تراجعه، وفهم ما تعرض له من نكسات أو انتصارات.

لقد أسهم فضول الإنسان ـ في البداية ـ من حيث يقصد أو لا يقصد في تطور العلوم، وعندما وصل إلى مرحلة التدوين زاد ذلك التطور وأصبح ملحوظاً من جانب، ومقصوداً من جانب آخر، تلا ذلك التكرار تراكم للخبرات والتجارب، لينشأ عنها نوع من القواعد والقوانين الرئيسة في حياته.

والعلم قد نشأ منذ خلق آدم عليه السلام، وهو ينمو ويتطور بمسير السنين، ولقد أسهمت التحديات الطبيعية والبشرية اسهاماً فاعلاً في تطور العلوم، ليجير ذلك التطور في سبيل خدمة الإنسان، وليكون أكثر ترفاً من خلال صناعة كل ما يخدمه ويزيد من راحته.

لذلك فإن طبيعة التكنولوجيا التي اخترعها البشر كانت تتلائم مع طبيعة حاجته، فـ(لقد ظهرت التكنولوجيا وظهر العلم أول ما ظهر متمثلين في الأسلوب الذي كان الإنسان يستخلص به المواد ويشكلها لكي يستخدمها كأدوات تخدم مطالبه الأولية. فالتقنية أو الإنجاز الفني هو أسلوب يكتسبه الفرد ويتبناه المجتمع لإنجازه شيء ما، والعلم هو أسلوب لفهم كيف ينجز شيء ما بهدف تحسين هذا الإنجاز)([1]).

فكانت الحاجة بحق هي أم الاختراع، وهذا الاختراع يتطور بحسب التكنولوجيا الموجودة ويبقى يتطور إلى ان يصل إلى أوجه، كل ذلك في سبيل خدمة الإنسان.

قال تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾([2]).

([1]) العلم في التاريخ، ج. د. برنال، ترجمة: علي ناصف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٧م، ١ / ٥٣.

([2]) سورة العلق، الآية (٥).

لم تكن هذه التطورات في العلم حصيلة فردٍ واحد، أو جماعة واحدة، أو زمانٍ واحد فـ(نحن نعرف تمام المعرفة أن كل ما نتمتع به الآن من معرفة إنما جاءت هدية من شعوب كثيرة)([1]).

وهذا التعدد والتكثر لا يفهمه أي أحد، ولا يستفيد منه كل أحد، بل هو شياع للجميع، بشرط عدم الإفراط وعدم التفريط فيه من جانب الاحترام، ومن جانب الاستفادة، ومن جانب التعلم.

لقد تعددت طرق الأوائل في تدوين وكتابة العلوم وما يتعلق بها من قواعد ومفاهيم ومصطلحات، ولكل حقبة طرقها وقواعدها الخاصة بها، ويجب أن تُقرأ في لحظتها التاريخية، ولا يجب أن يمارس عليها الإسقاط القبلي أو البعدي.

لقد كان القدماء يستخدمون في مصنفاتهم وكتبهم طرقاً ومفاهيم شتى، وما كانت صياغة قواعد استدلالهم وتقنينها شغلهم الشاغل، فكانوا يضمرون قواعدهم ويسترشدون بروح شرائعها دون ان يصرحوا بذلك، ولذا على الباحث أن يجمع شتات الأقوال المبعثرة وأوائل الكلمات المشتتة وينظر بها؛ كونها تحتوي على جميع الجزئيات والعناصر التي تؤلف أسس علوم الأقدمين([2]). هذا من جانب.

ومن جانب آخر فـ(إن التطور الكبير والملفت للنظر الذي شهده الغرب والمتمثل بعصر النهضة، كان بفضل العلوم والنظريات والكتب التي ترجمها علماء الغرب من اللغة العربية، ومن الحضارة الإسلامية. ويمكن التأكد من ذلك بمجرد مراجعة الكتب التي كُتبت وتخصصت في مثل هذه البحوث)([3]).

وهذا واضح جلي عند كل منصف، وعند كل مدقق في كتب التاريخ الحقيقية، وكتب العلوم على مختلف لغاتها.

يقول الشيخ محمد حسين النائيني (رحمه الله) مؤكداً ما تقدم من كلام: (إن المطلعين على تاريخ العالم يعلمون بأن الأمم المسيحية والأوربية لم يكن لها قبل الحروب الصليبية أي نصيب من العلم والمدنية والنظم السياسية... فأخذوا الأصول الإسلامية

([1]) تاريخ العلم، جورج سارتون، ترجمة: محمد خلف الله وآخرون، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٨٠م، ١ / ٤٥.

([2]) ظ: فنون التقعيد وعلوم الألسنية، ريمون طحان ودنيز بيطار طحان، دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٨٩م، ١١.

([3]) الأدوات المعرفية، ليث العتابي، مصدر سابق، ١٢٤.

في حقلي التمدن والسياسة من الكتاب، والسنة، ومن خطب ومواقف أمير المؤمنين عليه السلام، وبقية المعصومين)([1]).

فكانت مسيرة العلم الأول إلهية على يد أبينا آدم عليه السلام، إلا أنه قد كانت تمر بمراجل من الشد والجذب ما بين المسلمين بذلك والمنكرين له، وبقي العلم والمعرفة ينتقل من مكان إلى آخر، ومن شعب إلى آخر، ومن حضارة إلى أخرى، فبغض النظر عن الإدعاءات وغيرها، فإن العلم هو من الله تعالى، وهو لا يبقى ولا يستمر إلا عند من يحافظ عليه ويحترمه.

المطلب الثاني: نشأة الكتابة والقراءة:

لقد تلت مسيرة العلم مسيرة للتعلم وللتعليم وما يتعلق بها من كتابة وقراءة، ونشأة الكتاب والمدارس وما شاكل ذلك حتى مراحل التطور العلمي والمعرفي.

أولاً: مراحل الكتابة:

هنا لا بدّ ان نقف على أهم المراحل التي مرت بها الكتابة وهي([2]):

١ـ مرحلة الصورة:

وفي هذه المرحلة عبّر الإنسان عما جرى من أحداث يومية بتصوير ذلك على شكل صور يقوم برسمها، وهذا ما نجده ووجده العلماء على جدران الكهوف والمغارات والصخور.

٢ـ مرحلة الرمز:

وهي مرحلة تطورت فيها الصورة إلى رمز مختصر للشيء المراد ايصاله، كرسم رمز الفم للدلالة على الأكل على سبيل المثال.

([1]) تنبيه الأمة وتنزيه الملة، محمد حسين النائيني، تعريب: عبد المحسن آل نجف، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية ـ مصر، ط١، ٢٠١٢م، ٩٤.

([2]) ظ: الأدوات المعرفية، ليث العتابي، مصدر سابق، ١٧٠ـ ١٧١.

٣ـ مرحلة المقطع:

ففي هذه المرحلة تطور الحال باكتشاف أداة للكتابة وهي القلم الأول، فتطور رسم الصورة ورسم الرمز إلى كتابة رموز خاصة بواسطة الأداة الجديدة (القلم) وهذه الرموز متفقٌ عليها.

٤ـ مرحلة الصوت:

في هذه المرحلة بدأ تطور كتابة الأحرف وتأليف المقاطع البسيطة المكونة من حرفين عادةً، وهي تُعد مرحلة الهجاء الأولى.

٥ـ مرحلة الهجاء:

في هذه المرحلة تطورت وتكونت عناصر الكتابة الأولى من تشكل علامات عمودية وأفقية شكلت الحروف الأولى للكلمات فيما بعد.

فهذه المراحل الخمسة هي أهم مراحل نشأة وتطور الكتابة، ويدل عليها شواهد آثارية وتاريخية كثيرة، وهذه المراحل مهمة جداً عند المشتغل في الميدان العلمي والمعرفي، وذلك لما لها من دور في فهم كيفية نشوء العلوم والمعارف.

ثانياً: القراءة وما يتعلق بها:

إما عن القراءة فإن من المهم تعريفها من أجل فهم المراد بها، فالقراءة هي: (عملية فكرية عقلية يتفاعل القارئ معها، ويفهم ما يقرأه، ويستخدمه في حل ما يواجهه من مشكلات، والانتفاع بها في المواقف الحيوية)([1]).

فالقراءة إذن هي عملية خاصة بالعقل ضمن جزئية الفكر، تحرك القارئ لكي يفهم ما يقرأ، وذلك من أجل ان يستخدمه في حل المشاكل والعوائق التي تواجهه، وتوفر له الخبرات في المواقف الحياتية لاحقاً.

وللقراءة أهمية كبيرة في الحياة عموماً، وفي مجال العلم والمعرفة خصوصاً، فـ(تعتبر القراءة ومن حيث الأهمية السبيل الأول لتحصيل العلم والمعرفة، فهي مفتاح المعرفة، وطريق الرقي، وسبيل التقدم، وهي النافذة التي يطلع القارئ من خلالها على ما عند الآخرين بكل سهولة ويسر، فما من أمة تقرأ إلا وكانت في موضع الريادة. كما وان القراءة تعد من الضروريات في هذا العصر، إذ تحتل بالنسبة

([1]) أمة إقرأ لا تقرأ، حسن آل حمادة، دار الراوي، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٨م، ١٧.

للإنسان أهمية كبيرة، فهي وسيلته للتعلم، والتعليم، وهي وسيلته لاكتساب المعرفة، ووسيلته للترفيه والاستمتاع كذلك)([1]).

وللقراءة، أو لعملية القراءة من حيث الممارسة عدة أنواع مهمة هي([2]):

١ـ القراءة الاستكشافية:

تستخدم هذه القراءة للتعرف على الكتاب المفيد، وما به من معلومات مفيدة، وأكثر ما يتم التعرف عليه بهذه الطريقة هو عن طريق قراءة المقدمة أو قراءة الفهرس الخاص بالكتاب أو مصادر ومراجع الكتاب المستكشف.

٢ـ القراءة السريعة:

وذلك بعد تصفح الكتاب والتعرف على مستواه وخانته الخاصة به، فيقرر القارئ أي نوع من القراءة يستحق.

٣ـ القراءة الانتقائية:

أي عندما يبحث القارئ عن موضوع معين قد يكون متناثراً في طيات الكتب، لذا نجده يقرأ العديد من المراجع والكتب المتنوعة للعثور على مادة متجانسة تساعده في تكوين صورة جيدة عن الموضوع الذي يهتم به.

٤ـ القراءة التحليلية:

هي عملية استكناه مضمون كتابٍ ما في وقت غير محدد، وهي لا تعني الاطلاع والاستفادة فحسب، بل تعني الارتقاء بالقارئ إلى أفق الكاتب الذي يقرأ له.

٥ـ القراءة المحورية:

هي القراءة التي تستهدف الوقوف على معلومات وأفكار ومفاهيم تتعلق بموضوع معين محدد هو محور لشيء مراد.

([1]) ثلاثية المعرفة: القراءة، الكتابة، الكتاب، الشيخ ليث العتابي، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٨م، ١٠.

([2]) ظ: الأدوات المعرفية، ليث العتابي، مصدر سابق، ١٨٨ـ١٨٩.

المبحث الخامس: نظرية القيم وعلاقتها بالتربية والتعليم والاخلاق:

المطلب الأول: نشأة نظرية القيم:

فلو بحثنا عن أصل كلمة (اكسيولوجيا) والتي هي علم القيم أو نظرية القيم Axiologe سيتبين بأنها مأخوذة من الكلمة اليونانية axia قيمة، أما كلمة logos علم أو نظرية، فالاكسيولوجيا كمبحث فلسفي يَدرس ما يتعلق بالقيم الجمالية والأخلاقية، والاقتصادية والتاريخية، وما شاكل ذلك، وهذا المصطلح (اكسيولوجيا) ظهر مؤخراً، بالتحديد في النص الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي([1]).

فالقيمةُ هي قدرُ الشيء وثمنه، هي تنحدرُ من فعل قام، وتدلُّ على الاستقامةِ والاعتدال، أمّا اصطلاحاً، فالفضلُ يعودُ لإخراج مفهوم القيمة من باب السوق وإدخالها لباب النِّقاش للغة الألمانيّة وأصبحت تُسمّى Verte.

إن الأصل اللاتيني لما يدل على معنى (القيم)، فهو الفعل (Valeur) والذي يعني: إني قوي، إني اتمتع بصحة جيدة، ثم تغير هذا المعنى ليشير إلى فكرة عامة هي أن يكون الإنسان ناجحاً ومتكيفاً، لذا ما زالت كلمة (قيمة) باللغة الفرنسية والانكليزية والألمانية تحتفظ بشيء من رواسب معناها اللاتيني([2]).

لقد قُسِّمت الفلسفة إلى ثلاثة مباحث رئيسيّة هي: الوجود (الأنطولوجيا)، المعرفة (الأبستمولوجيا)، مبحث القيم (الأكسيولوجيا).

ثم ان هذا المبحث الأخير ـ الاكسيولوجيا ـ يضمُّ ثلاثة عناصر محوريّة رئيسة هي: (الجمال)، (الخير)، (الحق).

والأكسيولوجيا تدرس موضوع (القيم) وينصب اهتمامها على معرفة كيف تكون الأشياء المدروسة أو محل النظر والبحث جيدة أو سيئة.

ففلسفة القيم هي فلسفة تهتم بموضوع مهم ورئيس اسمه القيم، في سبيل فهمه واستيعابه وايصال محتواه بطريقة سهلة يسيرة، ويعد موضوع فلسفة القيم موضوعاً إنسانياً بامتياز.

([1]) ظ: الوضعية المنطقية بين القيم الدينية والأخلاقية عند ألفرد إيو، مختار البسيوني، وكالة الشرق للطباعة، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠٠٢م، ١٨.

([2]) ظ: العمدة في فلسفة القيم، عادل العوا، مصدر سابق، ٢٧٠.

يقول الاستاذ عادل العوا: (القيمة وجود بمعنى جديد، هي وجود جديد يواكب معناه معنى الوجود المقرر لدى المفكرين الغابرين والمعاصرين، وهو يوقع في اناسي عصرنا سحراً ناجماً عن طراز جديد من التفكير الفلسفي يراد تسميته بصيغة علم مستحدث تدل عليه كلمة "اكسيولوجيا" Axiologe، ويصح الإعراب عن هذه الكلمة بعبارة علم القيم أو فلسفة القيم أو نظرية القيم)([1]).

إن مبحث القيم قديم جداً بدء مع بداية الفلسفة اليونانية، وهو من المسائل التي بحث فيها المفكرون على اختلاف مدارسهم ومبانيهم.

فمباحث الفلسفة تشترك في جعل الإنسان يفكر ويتأمل ويتساءل باستمرار عن ماهية الأشياء، مما يساهم في التخلص من السلوك الروتيني والسعي نحو اكتشاف خبرات التواصل سعياً إلى فهم جديدٍ للمعرفة.

نعم، نظرية المعرفة تهتم بالبحث في امكانية قيام معرفة ما عن الوجود بمختلف اشكاله او مظاهره، وإذا كانت هذه المعرفة ممكنة فما هي ادواتها؟

لقد تفرعت عن هذه النظرية توجهات كثيرة أوردها أهل الاختصاص من الفلاسفة، وقسموها، ووضحوا المراد بها.

يعد مبحث القيم والذي يطلق عليه بـ(الاكسيولوجيا) من المباحث التي تتعرض لدراسة المثل العليا والكشف عن ماهيات القيم التي يسعى الجميع لتحقيقها في حياتهم، وثمة ثلاث قيمٍ أساسية هي (الجمال، والخير، والحق)، ولكل واحدة منها علم خاص يدرس موضوعاتها.

والاكسيولوجيا يراد بها: العلم الذي يبحث فيما هو(قيم) و(ثمين) و(جديد)، وتكون الفلسفة المتصلة به هي (فلسفة القيم) أو (نظرية القيم).

فالقيمة هي: كل ما له شأو وأهمية في التصور وفي الفعل لدى الأفراد والجماعات[٢]، وما يتعلق بذلك من مخرجات أخرى، تدخل في نفس المضمار.

([1]) العمدة في فلسفة القيم، عادل العوا، مصدر سابق، ٤٣.

([2]) ظ: العمدة في فلسفة القيم، مصدر سابق، ٤٢.

لقد شبه المفكر الفرنسي (شارل لالو) دور القيمة في الفكر الحديث بـ(الطاقة) أو بـ(القوة)[1].

إن نظرية القيم أو الاكسيولوجيا من حيث هي مبحث أخلاقي، تدرس مشكلتي الخير والشر، وتطرح مسائل أساسية لهما من حيث المفهوم، والصفاتية، والوعي، والمصدرية، والتطبيق، وما شاكل ذلك.

المطلب الثاني: القيم والتربية والتعليم:

القيم مهمة جداً في جميع المجالات الحياتية للإنسان، وهي مهمة جداً في مجالي التربية والتعليم وما يتعلق بهما في المجال العلمي والمعرفي.

لذلك فإنه (تعتبر القيم نتاجاً للثقافة المتولدة عن الأفراد والجماعات، وأنه ليعتبر تصريح مقتضب أن نقول ان القيم إحدى العوامل المهمة والمحركة للمحافظة على الأوضاع الاجتماعية للأفراد. وانه من غير المعقول ألا تَنقِل المدرسة كإحدى المؤسسات الاجتماعية ذات الأهمية قيم المجتمع وتعمل على تنميتها. ويكتسب الأفراد القيم من خلال العملية العامة والخاصة بالتثقيف ويكتسبون بعضها الآخر من خلال عمليات تعليمية. وتستخدم العملية المدرسية كلا المدخلين في غرس القيم وتنميتها في نفوس الطلاب)([2]).

كل ما يختص بالتربية والتعليم يتخلله وجود أسس للأحكام القيمية، ففي عملية ما يجب أن يُعلم لطالب المدرسة ليكون رافداً له في عملية التربية والتعليم ينبغي تحدي الأسس القيمية التي تختص بذلك، والتي يجب تعليمها لهم، والطرق المستخدمة في ذلك، والوسائل المستعملة، وبيان السلبيات والإيجابيات، والنتائج من كل ذلك.

فعدم احتواء العملية التربوية والتعليمة على القيم سيكون مانعاً من الوصول إلى أهداف (التربية والتعليم)، لذلك فإن اختيار أسس التربية ـ على سبيل المثال ـ من ثقافة المجتمع يعد أمراً مهماً واساسياً، إذ لا يمكن الانتفاع بالقيم الأجنبية والمستورد، ولا بالقيم المغايرة لطبيعة ودين وسلوك المجتمع، كما ولا تنفع القيم الوضعية مع وجود القيم الأصلية المقننة.

([1]) الفن والأخلاق، شارل لالو، ترجمة: عادل العوا، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ـ سوريا، ط١، ١٩٧٠م،١٢٠.

([2]) نظرية المنهج، جورج بوشامب، مصدر سابق، ٩٥.

إن للقيم والتعلم علاقة مهمة لا بدّ من الالتفات لها، وبالتالي ستكون هناك علاقة مهمة ـ يقيناً ـ ما بين القيم وأثر التعلم، وهذا يستدعي التعرف على المراد بأثر التعلم.

فالمراد بأثر التعلم هو: (ان ما يتعلمه الفرد في موقف ييسر ما يتعلمه في موقف جديد. فتعلم التلاميذ للجمع ييسر لهم تعلم عمليات الضرب. وتتحدث كتب علم النفس عن نظريات انتقال أثر التعلم كنظرية التدريب الشكلي، ونظرية العناصر المتماثلة التي تقرر أنه كلما ازدادت العناصر المشتركة بين موقف وآخر كلما سهل انتقال أثر التعلم من الموقف الأول إلى الموقف الثاني)([1]).

لذلك فإن للقيم علاقة وثيقة بالتربية والتعليم، وتتجسد هذه العلاقة من خلال (المباني القيمية) للتربية والتعليم عموماً، وفي آيات القرآن الكريم بشكلٍ خاص.

المطلب الثالث: القيم الأخلاقية الإسلامية الحقيقة والسمات:

أولاً: تعريف القيم الأخلاقية الإسلامية:

فالكلام في المدخل عن القيم يستدعي تعريفها، وبيان ما يتعلق بها، أما عند الكلام عن القيم القرآنية فإن من المهم الابتداء بالتعرف على القيم الإسلامية من حيث الحقيقة والسمات، وهذا ما نود بحثه في هذا المطلب.

لذلك وفي بيان المراد بالقيم الإسلامية قيل بأنها: (مجموعة الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع، وعلى التوافق مع أعضائه وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة)([2]).

فهي إذن نسيج يبني أو يصنع للشخصية الإسلامية ما يرفعها إلى مستوى من التكامل، لتكون قادرة على التفاعل الحي والمفيد في المجتمع.

([1]) المناهج: أسسها، تخطيطها، تقويمها، يحيى هندام وجابر عبد الحميد جابر، دار النهضة العربية، القاهرة ـ مصر، ط١٠، ١٩٩٢م، ٣٥.

([2]) المدخل إلى القيم الإسلامية، جابر قميحة، دار الكتب المصري، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٤٠٤هـ، ٤١.

كما وقد قيل بأن القيمة في الإسلام هي: القيمة المتعلقة بالأفعال والسلوك، وليس أي سلوك، وإنما هو سلوك الإنسان الراشد السوي الذي يبتغي غاية معينة ومحددة من سلوكه([1]).

كما وقيل بأن القيم الإسلامية هي: (مجموعة من الأحكام والمعايير الناجمة عن تصورات الإسلام للكون والإله والإنسان والحياة، والتي تتكون نتيجة تفاعل الفرد والمجتمع مع الخبرات والمواقف الحياتية، وبها يتمكن الفرد من تحديد أهدافه وتوجهاته التي تتجسد بسلوكه العملي بصورة مباشرة أو غير مباشرة)([2]).

فالقيم الإسلامية هي بالفعل أحكام مقيدة ومحددة داخل المنظومة الإسلامية، ولا تخرج عن ثوابتها، وناظرة إلى أصول وفروع الإسلام، ومأخوذة من مصادر الإسلام الرئيسة الفعلية.

ثانياً: مصادر القيم الإسلامية:

١ـ القرآن الكريم:

وهو كتاب الله تعالى الكريم، خاتم الكتب السماوية، وخلاصة التعاليم الإلهية، والمصدر التشريعي الأول للإسلام والمسلمين.

قال تعالى: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[5].

وآيات قرآنية أخرى كثيرة جاءت بألفاظ مقاربة للفظ (القيم)، وما يكون منها، أو بها، من خلال التوافق والاشتراك.

([1]) ظ: الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقداد يلجن، مكتبة الخانجي، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٧٣م، ٣٠٧.

([2]) موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، صالح حميد وآخرون، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، السعودية، ط١، ١٤٣٠هـ، ج ١ / ٧٩.

([3]) سورة البينة، الآية (٣).

([4]) سورة الروم، الآية (٤٣).

([5]) سورة الإسراء، الآية (٩).

فآيات القرآن الكريم قد صورت الكثير من القضايا، إما بألفاظها الصريحة، أو بما يجاورها من ألفاظ أخرى.

٢ـ الأحاديث النبوية الشريفة:

وهي أحاديث النبي الأكرم محمد ﷺ، والتي هي إما مبينة لما في القرآن الكريم، أو مؤكدة على ما فيه، أو مؤسسة لأشياء لم تبين بجزئياتها في القرآن الكريم.

٣ـ أحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام:

وهم الأئمة الإثني عشر المعصومون، أولهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وآخرهم الإمام الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه، فإن قولهم وفعلهم وتقريرهم حجة.

٤ـ مصادر أخرى:

هناك مدارس إسلامية أوردت مصادر أخرى منها: الإجماع، العقل، القياس، الاستحسان، الرأي، الاجتهاد، العرف، اللغة.

وهذه قد تكون موزعة على المدارس، ولا تقول كل المدارس بهذه المصادر، بل موجودة متناثرة في جملة من المدارس الإسلامية.

ثالثاً: سمات القيم الإسلامية:

إن للقيم الإسلامية جملة من السمات التي وسمت بها، ومن جملة هذه السمات:

١ـ التدرج التكليفي:

فكان من سمات القيم الأخلاقية الإسلامية ـ كما هو الحال بالنسبة للتشريعات ـ التدرج، فـ(التدرج إذن هو سنة جوهرية من سنن الحياة. وكان الإسلام ـ وهو دين الفطرة ـ على حق حين جعل التدرج والتدريج سمة منهجية من أبرز سماته، لا في تربية المسلمين على القيم الأخلاقية فحسب، بل في التشريع كله من عبادات إلى معاملات إلى عقوبات)([1])، والهدف من وراء ذلك أمور كثيرة أهمها: ضمان أداء العمل على الشكل الصحيح، وترسيخ القيم في النفوس.

٢ـ الوسطية والاعتدال:

([1]) المدخل إلى القيم الإسلامية، جابر قميحة، مصدر سابق، ٤٣.

فمن سمات القيم الأخلاقية الإسلامية الوسطية والاعتدال، أي من دون افراط أو تفريط.

هذه الوسطية المعتدلة للقيم الأخلاقية الإسلامية تعد عملية توفيق دقيقة جداً ما بين الأعلى والأرضي، وهو توفيق ضروري من أجل حياة وبقاء وديمومة القيم الأخلاقية([1]).

٣ـ الإحاطة والهيمنة:

إي أنها تحتوي وتشتمل على جميع القضايا والتشريعات الخاصة بالقضايا الإنسانية والأخلاقية والتشريعية، فهي لا تختص بقضية إنسانية وتهمل قضية تشريعية، ولا تذكر قضية أخلاقية وتهمل ما يعلق بها من ثوابت إنسانية أو أحكام تشريعية، وهكذا، بل هي مهيمنة ومحيطة بكل الحاجات، ومتضمنة لكل القوانين، وغير مخالفة للثوابت.

خلاصة الفصل الأول:

هنا عدة أمور مهمة استنتجها البحث مما تقدم من مباحث ومطالب ضمن الفصل الأول وهي:

١ـ تعريف المباني هي: **الأسس المنهجية المهمة والمفيدة في عملية البحث.**

٢ـ تعريف المبنى هو: **الأساس المنهجي المهم والمفيد في عملية البحث.**

٣ـ تعريف النظرية هو: **مجموعة من المفاهيم المترابطة، التي تقدم رؤية نظامية للظواهر المبحوثة، فتحدد المتغيرات، وتفسر التشابكات؛ وصولاً إلى إعطاء النتائج الواقعية والمفيدة.**

٤ـ تعريف المفهوم هو: **تمثل ذهني قائم على مقدمات وتصورات عامة وخاصة، يحكم العقل وفقها على الأشياء، ويعطي الأجوبة، ويقوم بالتحليل؛ في سبيل الوصول إلى النتائج الأقل خطأً.**

٥ـ تعريف القيمة بكونها: **صفة معيارية ذات طبيعة خيرة تقتضي التزاماً بها وتطبيقاً لها في سبيل الوصول إلى المواقف والسلوكيات الجيدة للفرد والمجتمع.**

([1]) ظ: دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبد الله دراز، تعريب وتحقيق وتعليق: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، القاهرة ـ مصر، ط١٠، ١٩٩٨م، ١٢٦.

٦ـ تعريف الأخلاق بأنها: **طبيعة نفسانية تدور ما بين الصفة والملكة صعوداً ونزولاً عند بني البشر، تتعلق بأفعالهم وسلوكياتهم الداخلية والخارجية، وعن طريقها يُحكم على الإنسان سلباً أو ايجاباً.**

٧ـ تعريف التربية بأنها: **هي عملية إعداد وتقويم للفرد الإنساني ليكون عضواً مفيداً في المجتمع.**

٨ـ تعريف التعلم بأنه: **عملية منظمة هدفها تأهيل الإنسان علمياً ومعرفياً، ليكون فرداً فاعلاً في المجتمع.**

الفصل الثاني

الفصل الثاني: الأسس القيمية في الآيات القرآنية.

المبحث الأول: الأسس القيمية في القرآن الكريم:

المبحث الثاني: الأنساق القيمية في القرآن الكريم:

المبحث الثالث: أسس وضوابط القيم القرآنية:

المبحث الرابع: الخصائص المميزة للقيم القرآنية في آيات القراءة والدرس:

المبحث الخامس: القراءة والدرس كوسيلة تعليمية للإنسان:

المبحث الأول: الأسس القيمية في القرآن الكريم:

المطلب الأول: القيم القرآنية الحقيقة والملامح العامة:

القرآن الكريم هو كتاب الله سبحانه وتعالى، وهو الهادي لما هو أحسن وأفضل وأقوم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[1].

يفهم الباحث من الآية المتقدمة بأن القرآن الكريم يهدي للتي هي أقوم كونه الكتاب الأخلاقي والتربوي والتعليمي الأول، فقد بين القرآن الكريم ان رقي الأمم لا يكون إلا بالأخلاق والقيم والتربية الصالحة، وان تقدم الأمم لا يتم إلا بالعلم والتعلم والدراسة والكتابة والمعرفة الحقيقية، علماً ان التفاوت والاختلاف موجود في مسألة العلم، إذ ليس كل متعلم هو مدرك أو مستفيد مما تعلم منه، فإن هناك فروقاً فردية موجودة بين الأفراد الإنسانية عموماً، بل حتى بين أفراد المتعلمين والعلماء كذلك.

قال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[2].

وليس هناك أفضل من علم يتسم بالقيم الأخلاقية الراقية، أي: قيم قائمة على العلم والمعرفة والإدراك الحقيقي.

وفي تفسير الآية المتقدمة يقول الشيخ الطبرسي: (والقول فيها يحتمل ثلاثة أوجه: أحدهما: أن يكون من باب إضافة المسمى إلى الاسم، أي: وفوق كل شخص يسمى عالماً، أو يقال له عالم: عليم... والوجه الثاني: أن يكون "علمٍ" مصدراً، كالباطل وغيره. والثالث: أن يكون على مذهب من اعتقد زيادة "ذي" فكأنه قال: وفوق كل عالم عليم)([3]).

ورد ذكر القيمة في القرآن الكريم، بعدة آيات، وبعدة مرادات، منها:

١ـ قال تعالى: ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾[4].

أي: مستقيمة، تبين الحق من الباطل، وتجمع الخير بين دفاتها.

٢ـ قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾[1].

([1]) سورة الإسراء، الآية (٩).

([2]) سورة يوسف، الآية (٧٦).

([3]) مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار الكتاب العربي، بغداد ـ العراق، ط١، ١٤٣٠هـ، ج٥ / ٣٦٨ـ٣٦٩.

([4]) سورة البينة، الآية (٣).

والدين القيم: هو الموصل إلى كل خير بلا انحراف أو زيغ.

٣ـ قال تعالى: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[٢].

وذلك من خلال كلياته وقوانينه وتشريعاته التي وضعها للبشر جميعاً في سبيل رقيهم وتقدمهم.

يقول الأستاذ فتحي حسن ملكاوي: (القيم جمع قيمة، وجذرها قَوَمَ، وردت مشتقاتها في القرآن الكريم حوالي ستمائة وتسع وخمسين (٦٥٩) مرة، منها قامَ وأقَام وقيام وقَيُوم وقِيَم وقَوَام وتَقْويم، في حوالي مائة وستين (١٦٠) مرة، واستقام ومستقيم في سبع وأربعين (٤٧) مرة، وقيامة في سبعين (٧٠) مرة، وقَوْم في ثلاثمائة واثنتين وثمانين (٣٨٢) مرة)([٣]).

يتبين للباحث من خلال ما تقدم من مباحث ومطالب وآيات قرآنية بأن القيم القرآنية تتسم بـ(الثبوت) و(الموضوعية)، ذلك لأن القرآن الكريم هو الكتاب القدوة، والدستور الأخلاقي للبشرية جمعاء، وهو الكتاب (الثابت) في أسسه، و(الموضوعي) في تعاملاته.

فالقيم هي ضوابط للسلوك الإنساني، تميزه عن غيره من المخلوقات، ترتبط بخصائص الاجتماع الإنساني والعيش المشترك والكرامة الإنسانية. فهي ليست نسبية ولا معيارية ولا مزاجية.

وهذا ما أكدت عليه الكتب السماوية، ومن ضمنها القرآن الكريم الذي أكد على القيم والأخلاق كميزة أساسية للإنسان، وبالخصوص الإنسان الصالح المتمتع بالقيم الأخلاقية الحقيقية.

كثيرة هي المصطلحات القرآنية التي تتعلق بالدلالة المعاصرة لمصطلح القيم، وأهميتها في الحكم على السلوك البشري، فإذا كانت الأخلاق وصفاً لسلوك الإنسان، فإن القيم هي معايير تقويم هذا السلوك، فالإنسان يسلك سلوكاً أخلاقياً محدداً؛ لأنه

([١]) سورة الروم، الآية (٤٣).

([٢]) سورة الإسراء، الآية (٩).

([٣]) التأصيل الإسلامي لمفهوم القيم، فتحي حسن ملكاوي، مجلة إسلامية المعرفة، مجلة فكرية فصلية محكمة يصدرها المعهد العالي للفكر الإسلامي، السنة الرابعة عشر، العدد ٥٤، خريف ١٤٢٩ هـ، ٦.

يتبنى قيماً محددة، مع ذلك يمكن أن نلاحظ بأن المصطلحات القرآنية ذات العلاقة بالقيم تقع على مستويات مختلفة في العموم أو في الخصوص.

كما وان الاختلاف في تعريف المراد بـ(القيم القرآنية) سببه الاختلاف في الأسس، والاختلاف في المباني، والاختلاف في الأهداف، فهناك من ينظر إلى جهة معينة، ومنهم من ينظر إلى أكثر من جهة، ومنهم من ينظر إلى كل الجهات ذات العلاقة.

إن هناك من عرف القيم القرآنية بأنها أحكام القرآن الكريم من أوامر ونواهي وأخبار([1]).

وهناك من عرف القيم القرآنية بأنها: معايير تقويم السلوك الإنساني اخلاقياً ضمن اطار محدد، واطار خاص، ومعايير خاصة([2]).

كما وقد عُرفت القيم القرآنية بأنها: القيم التي تبين سيل العيش المشترك مع الأخرين([3]).

وهذه التعريفات للقيم قد اختلفت من حيث الأسس، والمباني، والأهداف، والرؤية ـ منها ـ للمراد بالقيم القرآنية وما يتعلق بها، لذا وبسبب هذه الاختلافات وغيرها في تعريف القيم القرآنية فإن البحث يرى تعريفاً خاصاً للقيم ينطلق منه في توضيح المراد بالقيم القرآنية.

والباحث ـ بعد ما تقدم ـ يرى بأن تعريف القيم القرآنية هو: **الأسس الأخلاقية والسلوكية ذات المصدر الإلهي، والموجودة في آيات القرآن الكريم، والتي تهدف إلى جعل الإنسان خليفة لله تعالى في الأرض.**

بعد هذا التعريف فإن البحث يريد توضيح هذا التعريف من خلال عدة نقاط مهمة تتعلق بفقراته، هي:

١ـ الباحث قد عرف القيم القرآنية بأنها **(الأسس الأخلاقية والسلوكية)**، فهي أسس قائمة على الأخلاق والسلوكيات الحسنة التي ذكرها القرآن الكريم وأكد وحث عليها.

([1]) ظ: القيم القرآنية، سعادة الشيخ أحمد السيابي، جريدة الرؤية العمانية، ٢٢ مايو ٢٠١٨م، alroya.om

([2]) ظ: التأصيل الإسلامي لمفهوم القيم، فتحي حسن ملكاوي، مصدر سابق، ١١.

([3]) ظ: نسق القيم في القرآن الكريم، عباس شريفة، مقال، ٧ / ٣ / ٢٠١٨م: موقع الجزيرة، Aljazeera.net

٢ـ هذه القيم **(ذات مصدر إلهي)**، أي ان مصدرها هو الله سبحانه وتعالى، وصلتنا عن طريق آيات القرآن الكريم.

٣ـ وهذه القيم **(موجودة في آيات القرآن الكريم)**، فهي خاصة بالقرآن الكريم وبآياته وسوره حصراً.

٤ـ هدف هذه القيم هو **(جعل الإنسان خليفة لله تعالى في الأرض)**، وذلك هو الهدف الأسمى والأساس المطلوب من الإنسان، وما رسمه له الله سبحانه وتعالى.

بعد هذا الشرح يتوضح المراد من تعريف القيم القرآنية، مع شرح فقرات هذا التعريف بما يوضحها ويوضح مراد البحث منها.

المطلب الثاني: تعريف المباني القيمية القرآنية وتوضيح ما يتعلق بها:

أولاً: تعريف المباني القيمية القرآنية:

القرآن الكريم قد أسس للقيم والأخلاق، وقد أكد على هذا الأساس، إذ انه من أهم الأسس في تبليغ الرسالات الإلهية عموماً، وفي تبليغ الرسالة الإسلامية خصوصاً، لذا فإن الله سبحانه وتعالى قد وصف رسوله ونبيه الخاتم ﷺ بالخُلق العظيم.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾([1]).

يرى الباحث ان المباني القيمية التربوية والتعليمية هي: **الأسس المنهجية للقيم في مجال التربية والتعلم.**

أما المباني القيمية القرآنية فيرى البحث بأنها هي: **الأسس المنهجية ذات المصدر القرآني للقيم في مجالات الحياة المختلفة لبني الإنسان.**

فمن أهم المباني القيمية القرآنية المهمة للإنسان هي القيم التربوية والتعليمية، وذلك لأن الإنسان كائن أخلاقي.

ثانياً: الأساليب المنهجية للقيم القرآنية:

([1]) سورة القلم، الآية (٤).

القيم القرآنية قائمة على أساليب منهجية مهمة في سبيل شيوع تلك القيم، وإن لتلك الأساليب المنهجية عدة طرائق وضحها القرآن الكريم هي:

١ـ القصة:

القصة القرآنية تعد من أهم الأساليب المنهجية في بناء القيم، وبالخصوص القيم السلوكية، مضافاً إلى القيم في مجال العلم والمعرفة والتعلم.

يقول ليث العتابي: (إن هناك قسماً كبيراً من الآيات القرآنية أختص بنقل قصص ووقائع الأمم السالفة، فلا شك ان عرض هذه القصص لم يكن للسرد فقط، بل لأجل أغراض أسمى وأكبر، فقد جاءت هذه القصص ـ بشكل عام ـ لأخذ العبرة وللحصول على العلم والمعرفة والتجربة المفيدة من بين ثنايا هذه القصص لأجل الاستفادة منها في مسيرة الحياة الإنسانية)([١]).

فالحصول على دستور أخلاقي من خلال القصص القرآني، والحصول على العلم والمعرفة منها، وكذلك الحصول على التجربة المفيدة النافعة يعد من الأمور المهمة جداً التي جاءت القصة القرآنية من أجلها.

لقد وردت آيات قرآنية كثيرة أكدت على القصص القرآني وأهميته في كل شيء، من تربية وتعليم، وغير ذلك

قال تعالى: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِينَ﴾([٢]).

وقال تعالى: كَذلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ ما قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْناكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْراً﴾([٣]).

ومفهوم القصة القرآنية يراد منه تتبع الأحداث الماضية لتحصيل الفائدة السلوكية والعلمية والمعرفية منها، وقد أوردها القرآن الكريم للحديث عن أنظمة دقيقة من الأحكام والإعجاز القرآني.

([١]) المدخل إلى القواعد القرآنية: نحو تأسيس قواعدي لكليات القرآن الكريم، دار الولاء لصناعة النشر، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٧م، ٩١.

([٢]) سورة يوسف، الآية (٣).

([٣]) سورة طه، الآية (٩٩).

قال تعالى: وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ * فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾([1]).

ما يطلبه نوح عليه السلام من قومه هو (الأجر الإلهي)، فلا يريد منهم شيئاً مادياً، أو مدح معنوي، بل يريد تحقيق الرضا الإلهي، عن طريق هدايتهم، حتى إن جاء العذاب، ووقع الأمر الإلهي عليهم، فإنه قد أبرأ ذمته الشرعية أمام الله تعالى.

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (ولا شك أن قصة جهاد نوح عليه السلام المتواصل للمستكبرين في عصره، وعاقبتهم الوخيمة، واحدة من العبر العظيمة في تاريخ البشرية، والتي تتضمن دروساً هامة في كل واقعة منها)([2]).

فالعبر الكثيرة في قصة نوح مع قومه تعطي دروساً مهمة ومفيدة لمن يريد الاستفادة من ذلك، وإلا فإن شأن المتكبر والعاصي ألا يستفيد من تجارب غيره، وتجارب من سبقه في جميع شؤون حياته، بل تراه مستبداً مستكبراً معانداً، لا يهتم لأي شيء، يعيش حياة أقرب ما تكون إلى الحيوانية، ولا يسمع النصائح، ولا يتعظ بالتجارب.

٢ـ الأمثال:

الأمثال القرآنية تعد من أهم الأساليب المنهجية ـ كذلك ـ في بناء القيم السلوكية والأخلاقية، وكذلك القيم العلمية والمعرفية، لذلك فقد أكد القرآن الكريم عليها.

والأمثال ـ عموماً ـ تشكل جزءً مهماً من أجزاء ثقافة الشعوب، ذلك ان الشعوب قد عرفت الأمثال قديماً، ولقد اعتنت بها كونها جزء مهم من تراثها.

الأمثال القرآنية مهمة جداً في تصوير الحوادث وملابساتها، لذلك فـ(إن الله سبحانه في القرآن الكريم ضرب للناس من كل مثل، وانه لم يستح من أي مثل، فالهدف هو التربية والموعظة، وليس مجرد الأمثلة وضربها)([3]).

([1]) سورة يونس، الآيات (٧١)ـ (٧٢).

([2]) الشيرازي، ناصر مكارم، قصص القرآن، ٣٣.

([3]) التربية والتعليم في القرآن الكريم: النظرية والمنهج ومقاربة التطبيق، بلال نعيم، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٤م، ١١٩ ـ ١٢٠.

لقد وردت لفظة (مثل)، و(أمثال) في القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾([1]).

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَما يَعْقِلُها إِلاَّ الْعالِمُونَ﴾([2]).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنا لِلنَّاسِ فِي هذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُوراً﴾([3]).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنا فِي هذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكانَ الإِنْسانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾([4]).

فهذه جملة من الآيات القرآنية التي تحدثت عن الأمثال القرآنية، والقرآن الكريم حافل بالأمثال القرآنية الكثيرة والمفيدة.

وهدف الأمثال القرآنية هي الهداية، لذلك فقد (نزلت الأمثال القرآنية لهداية الناس ولذلك رُوعيَ فيها الغايات التي نزلت لأجلها، فنجد ان الطابع المكي يعلو هامة الأمثال المكية، والطابع المدني يعلو هامة الأمثال المدنية)([5]).

هذا القول وغيره قد أكد على أهمية الأمثال القرآنية عموماً، وأهميتها كدروس مهمة في مجال السلوك، وفي مجال العلم والمعرفة، وفي مجال التعليم والتعلم.

وقد يطلق ـ كذلك ـ على الأمثال لفظ (السنن الإلهية) كذلك، لذا يقول الدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه (السنن الإلهية): (إن معنى السنة هو معنى القانون العام من حيث خضوع أفعال البشر وسلوكهم إلى أحكام هذه السنة التي يمكن تسميتها بالقانون العام)([6]).

فالأمثال القرآنية أو السنن الإلهية يعطيان قانوناً عاماً لا بدّ للبشر ان يخضعوا له في أفعالهم وسلوكياتهم، وكذلك في عباداتهم وكل ما يرتبط بذلك.

([1]) سورة إبراهيم، الآية (٢٥).

([2]) سورة العنكبوت، الآية (٤٣).

([3]) سورة الإسراء، الآية (٨٩).

([4]) سورة الكهف، الآية (٥٤).

([5]) الأمثال في القرآن، جعفر سبحاني، ٣٨.

([6]) السنن الإلهية، عبد الكريم زيدان، ١٤.

وقد يستعمل لفظ الشرائع والنواميس للتعبير عن نفس المعنى الذي تؤديه السنن، فـ(الكتاب يصرح أن لله في الأمم والأكوان سنناً لا تتبدل، والسنن هي الطرائق الثابتة التي تجري عليها الشؤون وعلى حسبها تكون الآثار وهي التي تسمى شرائع ونواميس)([1]).

إن كل ذلك سواءً كان عبر الأمثال، أم عبر السنن الإلهية، أم عبر النواميس والشرائع، فإن الهدف واحد، ألا وهو بناء قواعد في السلوك عموماً، وفي مجال العلم والمعرفة ضمن الأسس المنهجية المؤسسة لذلك خصوصاً.

٣ـ النموذج أو القدوة الحسنة:

فالنموذج أو القدوة الحسنة يعد من أهم الأساليب المنهجية في بناء القيم السلوكية والأخلاقية من جانب، والقيم العلمية والمعرفية من جانب آخر.

والمراد بـ(النموذج المَثَل الإنساني التربوي العالي، الذي يمثل في سلوكه قدوة وأسوة ونموذجاً يتم تقديمه للامتثال والاقتداء، في ضوء منظومة المبادئ التي يجسدها هذا النموذج في سلوكه. فكلما كان السلوك أكثر تطابقاً مع القيم والمبادئ كان الشخص صاحب السلوك مقدماً على أنه نموذج للاقتداء، ويتم الترويج له كمثل يجب على المكلف الذي يريد ان يمتثل الهدى والحق ان يمتثل ذلك النموذج وذلك السلوك)([2]).

النموذج أو القدوة الصالحة يعد تأسيساً مشابهاً للقاعدة والحكم، وذلك في سبيل جعله اساساً في الاقتداء والتفاعل معه في جميع مناحي الحياة.

وردت في القرآن الكريم لفظة (أسوة) أو (قدوة) ثلاث مرات في ثلاث آيات قرآنية مباركة، إذ كانت

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾([3]).

([1]) دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، فتحي الدريني، ٥٧٩.

([2]) التربية والتعليم في القرآن الكريم: النظرية والمنهج ومقاربة التطبيق، بلال نعيم، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٤م، ١٢٥.

([3]) سورة الأنعام، الآية (٩٠).

وقال تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾([1]).

وقال تعالى: قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾([2]).

وقال تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾([3]).

فهذه الآيات القرآنية قد أكدت على (الأسوة) أو (القدوة)؛ لما لها أو لهما من أهمية كبيرة في بناء الأسس المنهجية الصحيحة.

فمن أهم الأسس المنهجية للقيم القرآنية هي طريقة التربية والتعليم بواسطة القدوة الحسنة، والنموذج الصالح، فـ(تعتبر طريقة التربية بالقدوة من أهم الطرق وأسهلها، وأكثرها تأثيراً في الفرد والمجتمع، فهي طريقة تحويل المنهج النظري إلى واقع عملي متجسد أمام الجميع، يتحرك على الأرض. إن لهذه الطريقة الأهمية البالغة في التأثير على سلوكيات الأفراد من أجل تغييرها، ولقد أرد القرآن الكريم هذه الحقيقة في آياته الكريمة)([4]).

٤ـ السلوك:

السلوك أو (السلوكيات) من أهم الأساليب المنهجية في بناء القيم السلوكية والأخلاقية بشكلٍ عام، وفي مجال العلم والمعرفة بشكلٍ خاص.

فالمقصود بـ(التربية بالسلوك والتي هي في مقابل التربية بالمفاهيم أو بالتنظير، وهو ديدن القرآن الذي يريد الهداية للناس، وهي هداية واقعية وعملية، وليست مجرد تغنّ بالمفاهيم الراقية والمبادئ المقدسة)([5]).

ذلك فللسلوك أهمية كبرى في التربية والتعليم، وهو نوع من أنواع الاقتداء، لكنه خاص في مجال الأفعال والسلوكيات.

([1]) سورة الأحزاب، الآية (٢١).

([2]) سورة الممتحنة، الآية (٤).

([3]) سورة الممتحنة، الآية (٦).

([4]) أسس ومعالم تربوية من سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الشيخ ليث العتابي، أفكار للطباعة، العراق ـ النجف الأشرف، ط١، ٢٠١٨م، ١٣.

([5]) التربية والتعليم في القرآن الكريم، بلال نعيم، مصدر سابق، ١٣١.

قال تعالى: وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾([1]).

وقال تعالى: وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾([2]).

وقال تعالى: يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾([3]).

ومن ذلك التربية والتعليم على صدق الوعد، وعلى التسليم لله تعالى، وبر الوالدين، وتحدي الكفار، ورعاية الأيتام، والتربية على حُسن الدعاء، وعلى الوفاء، وعلى حُسن التعامل، وعلى الأخلاق الفاضلة، وما شاكل ذلك.

٥ـ التجربة:

فالاستفادة من التجارب سيوصل إلى معرفة القيم، ويؤسس لأساليب منهجية في مجال القيم الصحيحة، وبالتالي تمييز الخطأ والصواب، ذلك ان للتجارب دوراً مهماً في بناء المفاهيم والقيم.

والمفاد من التجربة في التربية والتعليم هو (أن يتم الأخذ بيد المتربّي مع الحرص والرأفة واللطف والعناية في تجارب عملية تؤدي إلى إمساكه بالفكرة ثم تلبسه بها ثم تمسكه بها ثم تمحضه بها عادةً وسلوكاً والتزاماً) ([4]).

والتجارب تشبه جرس الإنذار للنفس البشرية، ذلك انها توقظ فيهم العقل والتعقل، وكذلك توقظ فيهم الإرادة، كل ذلك في سبيل فهم الأمور بالشكل الصحيح.

قال تعالى: قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾([5]).

([1]) سورة مريم، الآية (٤١).

([2]) سورة مريم، الآية (٥٤).

([3]) سورة آل عمران، الآية (١١٤).

([4]) التربية والتعليم في القرآن الكريم، بلال نعيم، مصدر سابق، ١٣٤.

([5]) سورة الأنعام، الآية (١١).

وقال تعالى: أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾([1]).

لذلك قيل بأن (التجارب لها تأثيرها الواضح على التنمية العقلية، وهي بدورها عامل هام من عوامل التربية، والتي تجعل الإنسان يتقدم أشواطاً نحو القرب من الاستقامة والرشاد)([2]).

وفي الأحاديث الواردة عن المعصومين عليهم السلام تأكيد على أهمية التجربة، منها:

قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: (العقل غريزة تربيها التجارب)([3]).

وقال عليه السلام: (العاقل من وعظته التجارب)([4]).

وقال عليه السلام: (في التجارب علمٌ مستأنف، والاعتبار يفيد الرشاد)([5]).

وقال عليه السلام: (كفى بالتجارب مؤدباً)([6]).

نعم، فالتجارب هي المؤدب والمعلم للإنسان، وهي تساعده على ان تكون أفعاله سليمة وصحيحة، وتبعده عن الوقوع في الانحراف والخطأ والغلط، وهي تسير به إلى طريق الاستقامة.

نعم، هناك قيم قرآنية أخرى كـ: العدل، والتقوى، والصبر، والصدق، والإخلاص، والأمانة، والعفو، والآيات الدالة عليها موجودة في القرآن الكريم.

([1]) سورة يوسف، الآية (١٠٩).

([2]) المنهج التربوي عند أهل البيت عليهم السلام، سعيد كاظم العذاري، مركز الطباعة والنشر التابع للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠.

([3]) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، مؤسسة الأعلمي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣١هـ، ج ٢٠ / ٣٤١.

([4]) تصنيف غرر الحكم، ٤٤٤.

([5]) شرح نهج البلاغة، مصدر سابق، ج ٢٠ /٢٥٩.

([6]) تصنيف غرر الحكم، ٤٤٥.

المطلب الثالث: مباني القيم القرآنية:

إن الأسس المهمة لمباني هذه القيم القرآنية هي:

١ـ الخُلق العظيم:

الخلق العظيم هو قيمة عليا وهو أساس الرسالة الإسلامية، وأساس رسالة النبي الأكرم محمد ﷺ، والتي أكد عليها القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾([1]).

كذلك جاء في حديث النبي الأكرم محمد ﷺ انه قال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)([2]).

فالخلق الصالح، والأخلاق الصالحة؛ طبيعة ملازمة للنفس الإنسانية، ذلك انها أمور فطرية، وقواعد سلوكية يسير عليها الإنسان، ويلتزم بها في سبيل ان يقال عنه بأنه إنسان صاحب أخلاق، أو صاحب خُلق، فالكل يبحث عن (الخلق العظيم)، أو عن (الخلق الصالح).

٢ـ الاستقامة:

إن من أهم الأسس للمباني القيمية القرآنية هي (الاستقامة)؛ ذلك انها اساس مهم في بناء الأسس المنهجية للأخلاق القرآنية، ذلك ان القرآن الكريم قد أكد عليها.

قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾([3]).

أي ان تكون الاستقامة على أمر الله تعالى، ليكون طريقاً وسلوكاً مستقيماً، ومأموراً به.

يقول الشيخ الطبرسي في تفسير الآية المباركة المتقدمة: (استقم أنت على الأداء، وليستقيموا على القبول)([4]).

([1]) سورة القلم، الآية (٤).

([2]) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، ج ١ / ٢٣٤.

([3]) سورة هود، الآية (١١٢).

([4]) مجمع البيان، الطبرسي، مصدر سابق، ج ٥ / ٣٤٢.

حتى يكون الفعل (الأداء) محفزاً لهم لتحقق (القبول)، ومن ثم (الاقتناع)، وبعدها (الفعل)، فيفعلون ذلك.

٣ـ المسارعة في الخيرات:

فمن أهم مباني القيم القرآنية عند المصلحين والمبلغين والمرشدين والمعلمين هي كونهم يسارعون إلى الخير والخيرات، وهذا ما أكده القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾([1]).

ومن صفات المسارعين إلى الخيرات هو انهم من عباده الموصوفين بالصلاح، أي انهم من الصالحين.

فإن الله سبحانه وتعالى قد وصف المسارعين إلى الخيرات بأنهم (صالحون)، أي هم أساس الإصلاح، والصلاح في المجتمع.

٤ـ الموعظة الحسنة:

والموعظة الحسنة من أهم الأسس والمباني التي أمر الله سبحانه وتعالى بها أنبياءه ورسله عليهم السلام، وذلك واضح جلي في آيات القرآن الكريم، والمتتبع لها سيتبين له تلك الآيات العظيمة المباركة، المختصة بذلك.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾([2]).

الموعظة هي: التذكير بالخير مما يرق له القلب([3])، أو هي: زجر مقترن بتخويف([4])، أو نصح وتذكير بالعواقب([5]).

لذلك فإن أسلوب الموعظة الحسنة يعد من أهم الأساليب في مجال تركيز القيم والأخلاق، وفي مجال التربية والتعليم، ذلك انه اساس مهم من اساسيات السلوك الإنساني.

([1]) سورة آل عمران، الآية (١١٤).

([2]) سورة النحل، الآية (١٢٥).

([3]) ظ: كتاب العين، الفراهيدي، مصدر سابق، ج ٢ / ٢٢٨.

([4]) ظ: المفردات، الراغب الاصفهاني، مصدر سابق، ٥٢٧.

([5]) ظ: مجمع البحرين، الطريحي، مصدر سابق، ج ٤ / ٥٢٢.

٥ـ الوفاء بالعهود:

الوفاء بالعهود من أهم أسس الإسلام، ومن أهم الأمور التي أكد عليها القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾([1]).

القرآن الكريم قد أكد على مسألة الوفاء بالعهود، ذلك انها مهم جداً إنسانياً، ومؤكدة الأهمية إسلامياً، فإن المائز ـ الحقيقي ـ ما بين المسلم وغيره هو الوفاء بالعهود والمواثيق.

([1]) سورة الإسراء، الآية (٣٤).

المبحث الثاني: الأنساق القيمية في القرآن الكريم:

المطلب الأول: الأنساق لغة واصطلاحاً:

١ـ النسق لغة:

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ): (النسق من كل شيء ما كان على نظام واحد عام في الأشياء، ونسقته نسقاً ونسقته تنسيقاً)([١]).

ويقول ابن فارس (ت٣٩٥هـ): (نسق: النون والسين والقاف أصلٌ صحيح يدل على تتابع في الشيء. وكلامٌ نَسَقٌ: جاء على نظام واحد، قد عُطف بعضه على بعض، وأصله قولهم: ثَغرٌ نَسَق، إذا كانت الأسنان متناسقة متساوية؛ وخرزٌ نَسَق: منظم)([٢]).

ونسق ينسق نسقاً؛ فهو ناسق، والمفعول منسوق، ومنه التنسيق، وهو التنظيم، ونسقتُ الكلام نسقاً: عطفت بعضه على بعض ورتبته([٣]).

فالمراد بالنسق في اللغة هو: (الترتيب)، و(التنظيم)، متتالياً أو متتابعاً أم معطوفاً، ليصبح على نظام واحد أو موحد.

٢ـ النسق اصطلاحاً:

النسق في الاصطلاح هو: مجموعة من العناصر التي يرتبط بعضها ببعض، فتشكلُ كلاً منظماً منتظماً([٤]).

أو هو: (ما كان مؤلفاً من جملة عناصر أو أجزاء تترابط فيما بينها، وتتعالق لتكون تنظيماً هادفاً إلى غاية)([٥]).

والنسق في الاصطلاح هو (مجموعة عناصر) مرتبطة برباط مشترك ومحدد، في سبيل تشكيل منظومة لها هدف وغاية مهمة ومفيدة.

([١]) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، مصدر سابق، ج ٥ / ٨١.

([٢]) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مصدر سابق، ٩٨٧.

([٣]) ظ: المعجم الصافي في اللغة، صالح الصالح وأمينة الأحمد، :٦٦.

([٤]) ظ: معجم متن اللغة، أحمد رضا، ج ٥ /٨١.

([٥]) الدلالة النسقية: تأطير نظري، أمجد حميد عبد الله، (بحث)، مجلة الباحث، العدد ٢٥، السنة ٢٠١٧م، ٣١٦.

فمن المهم الوقوف على ما يطلق على (النسق) في الاصطلاح المغاير للمصطلح العربي.

إن ما يطلق على (النسق) في الاصطلاح اليوناني، والأوربي، والغربي، هو: (السيميولوجيا) وهو: (علم يبحث في الإشارات والرموز ودلالاتها)([1]). بحسب جملة من التعريفات التي عرفته.

تلك الإشارات والرموز والدلالات هي (العناصر)، أو (مجموعة العناصر) المشتركة ضمن نظام واحد جامع لها.

ثم إن مصطلح السيميولوجيا نقل عن الأصل اليوناني Semeion والذي يعني الإشارة، بذلك يتوضح أن السيميولوجيا هي: علم الإشارة الدال على الأشياء المرادة مهما كان أصلها ومهما كان نوعها، فالسيميولوجيا علم يدرس بنية الإشارات وعلائقها في الكون، ويدرس توزيعها ووظائفها داخلياً وخارجياً([2]).

هنا نوع من التمايز في مسألة (الإرادة) ما بين النسق عربياً، والسيميولوجيا يونانياً، وهو في قضية (الإشارة)، علماً انها في التعريف اليوناني ذاتية، أي من ذاتيات نفس القضية ونفس العمل، أي أساسية.

أما في التعريف العربي فهي عرضية، أي ليست ذاتية وليست أساسية، بل هي تأتي عرضاً، ولربما استطراداً.

٣ـ النسق القيمي:

فالمراد بالنسق القيمي هو: (مجموعة قيم الفرد أو المجتمع، مرتبة وفقاً لأولويتها، وهو إطار على هيأة سلم، تتدرج مكوناته تبعاً لأهميتها... وهو نموذج منظم للقيم في مجتمع أو جماعة ما، تتميز القيم الفردية فيه بالارتباط المتبادل؛ الذي يجعلها تدعم بعضها البعض الآخر، لتكون كلاً متكاملاً)([3]).

([1]) المعجم الفلسفي، مراد وهبة، مصدر سابق، ٣٧٨.

([2]) ظ: علم الإشارة السيميولوجيا، بيير جيرو، ترجمة: منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ـ سوريا، ط١١، ١٩٨٨م، ٩.

([3]) الطابور الخامس: أسلوب القيادة الإدارية بالتجسس والقضاء عليه، أحمد جابر حسنين، المجموعة العربية للتدريب والنشر، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠١٣م، ١١٥.

ثم ان البحث عن الانساق القيمية، والأنساق القرآنية يقودنا إلى التعريج على مسألة مهمة جداً ألا وهي (التماسك النصي)، فإن المراد بالتماسك النصي في اللغة هو الحبس والكف([1])، وما دار مدارهما في دلالة نفس المعنى المراد.

أما في الاصطلاح فقد عرفه محمد الخطابي بأنه هو: الاتساق([2])، كما ويعرف أصحاب الاختصاص التماسك النصي بكونه: الأدوات والعلاقات الشكلية أو الدلالية التي تساهم في عملية الربط ما بين عناصر النص الداخلية من جهة، وما بين النص وبيئته المحيطة به من جهة أخرى([3]).

إن (النسق النصي) و(التماسك النصي) كلاهما يدرسان العلاقات المهمة في عملية ربط (العناصر)، وبالخصوص المشتركة منها، مع التنويه أو الإشارة إلى بيئة النص والمؤثرات الأخرى.

يعد التماسك النصي (الاتساق) من أهم مقومات النص وركائزه، مع الإشارة إلى ان للنص عدة أدوات مهمة تؤدي مهمة تماسكه واتساقه وتناسقه منها: (الإحالة، والاستبدال، والحذف، والوصل، والانسجام المعجمي)، وكلها لها أهمية في تحديد أنواع العلاقات الدلالية، والتي أوردها أصحاب الاختصاص في كتبهم وبصور مفصلة.

٤ـ النسق القرآني اصطلاحاً:

أما النسق القرآني في الاصطلاح فهو: (التسلسل المعنوي بين الأغراض، والتناسب في الانتقال من غرض إلى غرض في سياق الآيات القرآنية)([4]).

فالنسق القرآني له ارتباط وثيق جداً بـ(السياق)، وموارد قرآنية أخرى، ذلك إن للنسق القرآني علاقة وطيدة ما بين علم المناسبات، والسياق، والوحدة الموضوعية، والنظام القرآني (نظام السور).

([1]) ظ: أساس البلاغة، جار الله الزمخشري، مصدر سابق، مادة (مسك).

([2]) لسانيات النص، محمد الخطابي، دار الملاك للنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، ط١، ٢٠٠٤م، ٥.

([3]) ظ: أسلوبية ونظرية النص، إبراهيم خليل، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٩٨م، ١٢٨.

([4]) مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، عادل أبو العلاء، دار الفكر الجديد، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٣م، ٨٢.

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز: (إن السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقضي بأن يكون هذا النحو من الدرس هو الخطوة الأولى فيه؛ فلا يتقدم الناظر إلى البحث في الصلات بين جزء منه، وهي تلك الصلات مبثوثة في مثاني الآيات ومطالعها ومقاطعها إلا بعد أن يحكم النظر في السورة كلها بإحصاء أجزائها وضبط مقاصدها على وجه يكون معوانًا له على السير في تلك التفاصيل عن بينة)([1]).

فالنسق القرآني قائم ضمن نظام متقن، سواء أكان للقرآن الكريم ككل، أم لكل سورة قرآنية على حدة.

وهنا يبين الفراهي المراد من نظام السورة فيقول: (أن تكون لكل سورة صورة مشخصة، فإن معاني الكلام إذا ارتبط بعضها ببعض وجرت إلى عمود واحد، كان الكلام ذا وحدانية، فحينئذٍ لا يكون إلا وله صورة مشخصة، ذلك أن الكلام الصحيح النظام لا بد له من عمود يجري إليه الكلام، فلا بد لطالب النظام أن يتأمل في مساق الكلام؛ ذلك أن السورة تحوي مطالب شتى، ولا تعلم ما هو العمود الذي سيق إليه المعاني، ولن تهتدي إلى معرفة اتصال الكلام بعضه ببعض دون معرفتك بمساق الكلام، ووجهته التي تسلك إليها أجزاؤه، حتى تراها منظومة في سلك واحد. وبالجملة فالنظام هو الذي يعطي السورة وحدانيتها التي بها صارت سورة كاملة مستقلة بنفسها ذات عمود تجري إليه أجزاؤها)([2]).
من شروط الباحث عن النظام القرآني الواقع ضمن (النسق القرآني) ان يتأمل في سياق الكلام حتى لا يحكم بسرعة من دون الإحاطة بكل ملابسات الآية القرآنية وعلاقتها بما قبلها وبما بعدها، حتى يتحقق الفهم الصحيح لما يراد بالكلمات والجمل والآيات القرآنية.

فالأنساق القرآنية ـ عموماً ـ تقسم إلى قسمين مهمين هما([3]):

ـ القسم الأول: وهو ما يتعلق بالأنساق داخل السورة القرآنية: والذي يراد به الأنساق الواضحة أو المستنتجة من داخل السورة القرآنية المباركة، والتي تتضح من خلال ترابط أجزاء السورة، وتناسب عناصر السورة، ولها عدة أشكال منها: تناسق بداية السورة مع خاتمتها، تناسق موضوعات السورة بينها وبين البعض، تناسق ألفاظ

([1]) النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، دار الرسالة للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٨٨م، ج ١ / ١٩٢.

([2]) دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣٦هـ، ٧٥.

([3]) ظ: النسق القرآني دراسة أسلوبية، محمد ديب الجاجي، نشر دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، جدة ـ السعودية، ط١، ١٤٣١هـ، ٦ ـ ٧.

السورة واتساقها، تناسق أساليب السورة، تناسق مقاصد السورة، تناسق اسم السورة مع محتواها.

ـ القسم الثاني: ما يتعلق بالأنساق في القرآن الكريم ككل: ويُدرج ذلك تحت موضوع (المناسبات)، أي مناسبة السورة لما قبلها ولما بعدها، وقد يطلق عليه بـ(علم المناسبات)، أو (علم المناسبة).

فعلم المناسبات هو: (علمٌ تُعرف منه علل أجزاء القرآن)([1])، أو هو: (العلم الذي يقصد به الارتباط بين الآي والسور)([2]).

بذلك يتوضح المراد بالأنساق القرآنية عموماً، وبيان أقسامها، وما يتعلق بها من مباحث مهمة.

٤ـ النسق القيمي القرآني:

لذا فالنسق القيمي القرآني بحسب ما توصل إليه الباحث هو: **الأساس اللفظي والمعنوي لآيات القيم والأخلاق في القرآن الكريم، المجموعة ضمن أطر محددة تجمع العناصر كلٌ بحسبه وفق نظام وترتيب وأنساق دقيقة جداً.**

المطلب الثاني: الأنساق القيمية القرآنية:

إن في القرآن عدة أنساق، ومنها ما يتعلق بالأنساق القيمية بالخصوص، وهناك ما يتحدد منها بالأنساق المتعلقة بآيات القراءة والدرس بشكلٍ أخص، لذلك فإن البحث سيبين الأنساق القرآنية عموماً، والأنساق القيمية خصوصاً، والأنساق المختصة بآيات القراءة والدرس بشكلٍ خاص، والتي هي:

١ـ النسق الصوتي المقطعي:

فالنسق الصوتي من أهم الأنساق وأكثرها تأثيراً، ثم ان النسق الصوتي القرآني له تأثيره الكبير على الإنسان، وهو مؤثر على تغيير سلوكه وأفعاله، ذلك انه يلامس الروح.

([1]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣٩هـ، ج ١ / ٦.

([2]) وحدة النسق في السورة القرآنية: فوائدها وطرق دراستها، رشيد الحمداوي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٧م، ١٣٩.

لقد عرف الجاحظ (ت٢٥٥هـ) الصوت اللغوي بأنه: (آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف)([١]).

فالصوت هو الآلة التي يعتمد عليها اللفظ واللسان والنطق في اخراج المراد، واخراج ما دار في العقل والنفس.

أما ابن جني (ت٣٩٢هـ) فقد عرف الصوت بأنه: (عَرَضٌ يخرج من النَفَس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرف)([٢]).

وهذا تعريفٌ آخر للصوت عند ابن جني، يصور فيه خروج ذلك (العَرَض) من النفس إلى الخارج.

ثم إن المراد بالنسق الصوتي المقطعي أو التقطيعي هو انتظام الحروف أو انتظام الألفاظ واندماجها وانضمامها، يهتم الدارس بهذا النسق بمسألة التوقف عند صفات وخصائص الحروف والألفاظ ([٣]).

ذلك فموارد التوقف معلومة، فهي تارة بسبب انتهاء المراد، او انتهاء الجملة، او حصول عارض.

وسورة (العلق) المباركة من السور القائمة صوتياً على أساس الفاصلة، إذ يلاحظ تناسب ألفاظها وآياتها داخلياً، وتناسقياً، ومقطعياً.

قال تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾([٤]).

([١]) البيان والتبيين، الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٨٨م، ج ١ / ٧٩.

([٢]) سر صناعة الإعراب، ابن جني (ت٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣٠هـ، ج ١ / ٦.

([٣]) ظ: الأنساق الصوتية ودلالتها في القرآن الكريم: سورة الحج مثالاً، جاسم غالي رومي، مجلة دراسات البصرة، السنة ١٠، العدد ١٩، ٢٠١٥ م، ١٨٤ ـ ١٨٦.

([٤]) سورة العلق، الآيات (١ ـ ٥).

نجد تناسباً صوتياً ما بين كلمات (خلق)، (علق)، وما بين كلمات (الأكرم)، (القلم)، (يعلم)، وهذا يسمى بمراعاة تناسب الحروف والايقاع الصوتي.

فمراعاة دقة مدلول الكلمة في السورة مهم جداً، إذ (يقع الاختيار عليها؛ لتناسب حروفها، وانسجام ايقاعها، مما لا ترقى إليه أداءات كلمة أخرى، فنغمة النطق ملحظ من ملاحظ الاختيار في القرآن، وذلك في توظيف يتسق مع جمال المعنى ودقته)([1]).

ومن إعجاز القرآن الكريم هو أعجازه الصوتي الإيقاعي الذي فاق كل أنواع الكلام والشعر والنثر، وابهر البلغاء، واسكت الحكماء.

نلاحظ في سورة العلق المباركة انه قد تناسبت فواصل الآيتين الأولى والثاني من سورة العلق المباركة في الوزن والجرس، وهي بذلك تعطي ايحاءً للمعنى العام لسورة العلق، فقد ختمت فاصلتا الآيتين (الأولى) و(الثانية) اللتين تمثلان أول وحي إلهي يؤكد على القراءة والتعلم بحرف (القاف) في (خلق) و(علق)، إن القاف صوتياً هو صوت شديد انفجاري، إذ يفتح مجرى الهواء عند النطق بـ(القاف) انفتاحاً كاملاً، فينطلق هذا الحرف إلى الأسماع بشكل مؤثر، فهو صوت (مجهور) تهتز بنطقه الأوتار الصوتية([2]).

ذلك يوحي بالقوة والأهمية، قوة الكلمة وأهمية محتواها ظاهراً وباطناً، أما ظاهراً فالأهمية واضحة في كون القلم والقراءة والعلم والدراسة مهمة جداً في حياة الإنسان، فالإنسان الذي يعرف ذلك يسمى (متعلماً)، والإنسان الذي لا يعرف ذلك يسمى (جاهلاً).

أما من حيث الباطن فإن المراد بهذه السورة المباركة، وبالخصوص مفتتحها ومطلعها هو التكليف بالنبوة الإلهية، وهي نبوة قائمة على العلم والقراءة والدراسة معاً.

ففعل الأمر (اقرأ) تدل صيغته على التسلط والقوة والعلو، في دلالة على القدرة الإلهية.

([1]) الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم، سعيد سالم فاندي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٢م، ١٠٢.

([2]) ظ: علم الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مصدر سابق، ٤٦.

لقد شكلت الفاصلة القرآنية عنصراً مهماً واساسياً في اللغة الإيقاعية داخل السورة القرآنية، وهذا ما ميز القرآن الكريم، فقد جاءت الفواصل في ختام الآيات القرآنية حاملة تمام المعنى مع تمام التوافق الصوتي المتناسق([1]).

أما في كلمات (الأكرم)، (القلم)، (يعلم)، فقد انتقل السياق إلى فاصلة أخرى انتهت بحرف (الميم).

فحرف (الميم) صوتياً من الأصوات المتوسطة، وسميت بذلك لأنها ليست اصواتاً انفجارية، ولا احتكاكية في خروج الهواء عندما ينطق بها، وقد سميت بـ(الأصوات المائعة)، وتسمى كذلك بـ(حروف الذلاقة)، وذلك لخفتها في النطق وسلاستها على اللسان([2]).

بذلك يتوضح النسق الصوتي عموماً، وفي سورة العلق خصوصاً، والتي وقع اختيار البحث عليها لما لها من مدخلية في موضوع الاطروحة.

٢ـ النسق الصرفي:

أو ما يسمى بالأنساق الصرفية، أو (الصيغية) وذلك نسبةً إلى الصيغة الصرفية، أو (علم الصرف).

ويراد بالأنساق الصرفية: (القالب الذي تصاغ الكلمات على قياسه، ويسمى الصيغة الصرفية، وهذه الصيغة تُعد مبنى فرعياً على مبنى التقسيم اسماً كان أو صفة أو فعلاً، وكل صيغة من هذه الصيغ الفروع تعبر عن معنى فرعي منبثق عما يفيده المبنى الأكبر من معنى تقسيمي عام كالاسمية والوصفية والفعلية)([3]).

فالنسق الصرفي مهم جداً، كونه القالب الحقيقي للكلمات، ومنه تفهم مادة الكلمة وكل ما يتعلق بها.

([1]) ظ: الأداء التصويري وإيقاع الفواصل في القرآن الكريم، (بحث)، محمد قطب عبد العال، موقع: دار العلوم ديوبند الهند: https://darululoom-deoband.com/arabicarticles/archives/١٧٦٧

([2]) ظ: علم الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مصدر سابق، ٢٤.

([3]) أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقي، مصدر سابق، ١٤٨.

ثم ان المراد بالنسق الصرفي هو طريقة انتظام وحدات الصرف (الصرفية)، بحيث انها تعطينا معنى مراد مشخص عندما تكون في (النسق)، أما لو جاءت من دون نسق فإنها لن تعطي أي معنى([1]).

ذلك ان أي كلمة لا توافق القالب أو النسق الصرفي تعد من الكلمات المهملة، أو الأجنبية، أو المبتدعة.

قال تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾([2]).

لقد تنوعت الأفعال في سورة (العلق) إلى ثلاثة أنواع هي: فعل الأمر، والفعل الماضي، والفعل المضارع، فقد بدأت السورة بفعل الأمر وهو (اقرأ) فإن هذا الفعل بطبيعته بنية صرفية فعلية مزيدة بحرف، وهو فعل أمر من المجرد الثلاثي المهموز (قرأ) على وزن (افعل) من باب (فَعَلَ ـ يَفعَلُ).

ولقد بلغ عدد الأفعال الماضية في سورة العلق المباركة (سبعة) أفعال، منهما فعلان يشيران إلى ما أنعم الله تعالى به على الناس من نعمتي (الخلق) و(التعليم)، هما (خلق)، و(علم).

لعل تكثيف ما يقارب السبعة أفعال في هذه السورة المباركة هو يعود إلى طبيعة الموضوعات التي تعالجها، وما تطبق عليه (جرياً وانطباقاً) في كل زمان ومكان، وهذه الأفعال كانت ضمن قوالب محددة ومعينة وافقت النسق الصرفي، ولم تخرج عنه.

٣ـ النسق النحوي الإعرابي:

فالنسق النحوي، أو النسق النحوي الإعرابي، أو النسق الإعرابي، مهم جداً؛ لكون القرآن الكريم عربي من جانب، وللتأكيد على إعراب القرآن الكريم في الأحاديث الواردة عن المعصومين عليهم السلام من جانب آخر.

([1]) ظ: الأنساق الصوتية ودلالتها في القرآن الكريم: سورة الحج مثالاً، جاسم غالي رومي، مجلة دراسات البصرة، السنة ١٠، العدد ١٩، ٢٠١٥ م، ١٨٥.

([2]) سورة العلق، الآيات (١ ـ ٥).

فالمراد بالنسق النحوي (الإعرابي) هو ترتيب أجزاء الجملة، سواء في الجملة الفعلية أم الجملة الأسمية، على حدٍ سواء([1]).

قال تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾([2]).

لذا فإعراب كلمات من سورة العلق يبين لنا جملة أمور مهمة في المراد بالنسق الإعرابي لها ومن ذلك([3]):

أ ـ اقْرَأْ: فعلُ أمرٍ مبني على السكون الظاهر على آخره، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره (أنت).

ب ـ عَلَّمَ: فعل ماضٍ مبني على الفتحة الظاهرة على آخره، والفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره (هو).

جـ ـ بِالْقَلَمِ: الباء حرف جر مبني على الكسر، القلم اسم مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره، والجار والمجرور متعلقان بالفعل (علم).

إن النسق الإعرابي النحوي لما تقدم من كلمات يدل على عربيتها، وعلى أهميتها، وعلى موافقتها للأنساق القرآنية.

النسق النحوي القائم على الدلالة النحوية التي تحصل من خلال العلاقات النحوية بين الكلمات التي تتخذ منها موقعاً معيناً محدداً في الجملة بحسب القوانين اللغوية([4]).

والنسق النحوي هو الذي يحدث من خلال عملية التفاعل بين الوظائف النحوية والمفردات المختارة في عملية بناء الجملة الواحدة.

نعم، تتآزر الأنساق والقرائن اللفظية والمعنوية ودلالات السياق المختلفة، وكذلك طرق التركيب اللغوي، في سبيل بلوغ المعنى الدلالي النسقي التام، إلا انه يكون

([1]) ظ: النص بين النسق والسياق، (مقال)، غدير عبد المجيد عبد الله الخدام، شبكة الألوكة، ٤/ ٧/ ٢٠١٧م، www.alukah.net

([2]) سورة العلق، الآيات (١ ـ ٥).

([3]) ظ: المدخل إلى التفسير التجزيئي، الشيخ ليث العتابي، أفكار للطباعة، النجف الأشرف ـ العراق، ط١، ٢٠٢١م، ١٥٩ ـ ١٦٠.

([4]) ظ: الدلالة النحوية عند العرب، عبد الكريم مجاهد، مصدر سابق، ١٩٤.

للنحو وللنسق النحوي النصيب الأكبر في ذلك([1]). وذلك لأهمية النحو أو الإعراب في ذلك، وأهمية ذلك واضحة جداً، ونذلك من خلال أحاديث المعصومين عليهم السلام التي أكدت على ذلك، ومنها قول الإمام الصادق عليه السلام: (أعرب القرآن فإنه عربي)([2]).

وغير ذلك من الأحاديث التي أشارت إلى ذلك صراحة، أو بالعرض، والتي أكدت على عربية القرآن الكريم، أي انه كتاب عربي خالص، ليست فيه ألفاظ أعجمية رغم وجود من يقول ذلك، إلا ان تصريح القرآن شاهد على عربيته، وانه عربي مبين، أي عربي خالص العربية، أما ما فيه من ألفاظ وأعلام غير عربية، فذلك من المنقولات التي نقلها لنا القرآن الكريم من الأمم السابقة.

٤ـ النسق البياني:

الأنساق (الصوتية، الصرفية، النحوية) هي أنساق مترابطة فيما بينها، والأصوات عندما تنتظم معاً تكون الكلمات، والكلمات تكون الجمل، والجمل تعطي المعاني، وهذه المعاني ترتبط بسياق ومقام معين محدد، وتعد المعاني هي الغاية من ذلك، فالمعاني غايتها التعبير عما في الداخل والإفصاح عنه للآخرين، وهنا يأتي دور النسق البياني، حيث انه يؤدي المعنى الواحد بعدة طرق مختلفة ومتعددة وغير مباشرة، وذلك بالطبع مع وجود قرائن لفظية ومعنوية دالة وصارفة([3]).

فالنسق البياني يختلف عن باقي الأنساق الأخرى في كونه يؤدي أو يوصل المراد بعدة طرائق، بعضها أجمل من بعض، وبعضها أجزل من بعض، وبعضها أوضح من بعض، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، مع وجود القرائن والدلائل الموضحة لما قد يختلط على الكثير.

([1]) ظ: الدلالة النحوية بين القدماء والمحدثين، زينب مديح جبارة، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، العدد ١٢، السنة ٢٠١٠م، ١٠.

([2]) أصول الكافي، الكليني، مصدر سابق، ج ٢ / ٦٤٠.

([3]) ظ: الأنساق القرآنية ومنهجية البحث فيها، أماني حسن القيسي، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات، غزة ـ فلسطين، مجلد ٢٩، العدد ٤، السنة ٢٠٢١م، ٣٦٣.

قال تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ([1]).

من الملفت للنظر أن تكون كلمة (اقرأ) هي أول ما ابتدأ به الوحي الإلهي إلى النبي الأكرم محمد ﷺ، و(الكتاب) - القرآن الكريم - معجزته صلوات الله عليه، فإن هذا البيان لهو أكبر دليل على أهمية (القراءة)، و(الكتاب)، ومن ثم أهمية (العلم)، و(القلم) والأمر بهم والحث عليهم.

فجاء النسق البياني مؤكداً على أهمية القراءة، دليل ذلك تكرارها مرتين في الآية الأولى والآية الثالثة، ثم تبع التأكيد عليها ثالثاً من خلال التأكيد على احدى أدواتها وهو (القلم)، ثم التأكيد عليها رابعاً ضمن اطارها العام ألا وهو (العلم).

هذا الإبداع في النسق البياني جلي واضح في كل آيات القرآن الكريم عموماً، وفي تفسير سورة العلق خصوصاً.

فالنسق البياني من أكثر الأنساق التي اهتم بها المفسرون، واطالوا في الكلام فيها في تفسيرهم للآيات والسور القرآنية.

٥ـ النسق الدلالي اللفظي:

واللفظة تمثل أصغر وحدة في سلسلة الكلام، والدليل، عند تعريف اللفظة نجد اتحاداً ما بينها وما بين الكلمة.

قال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) يعرف الكلمة بأنها: (اللفظة الدالة على معنى مفرد بالوضع)([2]).

فالكلمة أو اللفظة عند النحاة إما اسم أو فعل أو حرف، وهم لا يفرقون ما بين الكلمة واللفظة، فكلاهما على حدٍ سواء في علم النحو وعند النحاة.

والمراد بالنسق الدلالي، أو النسق الدلالي اللفظي هو انتظام الجمل معاً من أجل ان تعطي المعنى المراد، فالدارس للنسق الدلالي يهتم بالتغييرات التي تحدث على

([1]) سورة العلق، الآيات (١ ـ ٥).

([2]) المفصل في صنعة الإعراب، جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، مصدر سابق، ج ١ / ٢٣.

المعنى من جانب، والعلاقات ما بين المضامين من جانب ثاني، وتحليل مضمون الجمل والعبارات من جانب ثالث([1]).

فهذه أمور ثلاثة مهمة تتعلق بـ:

أ ـ التغييرات الحاصلة للمعنى.

ب ـ العلاقات ما بين المضامين.

جـ ـ تحليلي المضمون.

وذلك جلي واضح عندما نريد تفسير سورة العلق المباركة وفق النسق اللفظي.

قال تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾([2]).

فدلالة ألفاظ سورة العلق المراد تفسيرها هي:

أ ـ اقرأ: أي أوجد القراءة مبتدئاً أو مستعيناً باسم ربك المتفرد الخالق([3]).

ب ـ باسم ربك: أي بذكر ربك، والاسم لغة: مشتق من السمو، أي: الرفعة، واصطلاحاً: الاسم: هو ما دل على الذات([4]).

جـ ـ الذي خلق: الخلق هو التقدير المستقيم([5]).

د ـ الإنسان: هو المخلوق من ذرية آدم.

([1]) ظ: الأنساق الدلالية اللفظية في النصف الأول من القرآن الكريم، عقيلة بنور، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة ـ الجزائر، ٢٠٠٦ ـ ٢٠٠٧م، ١٧.

([2]) سورة العلق، الآيات (١ ـ ٥).

([3]) ظ: تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مصدر سابق، ج ٣٠ / ٤٣٥.

([4]) ظ: مختار الصحاح، الرازي، مصدر سابق، ١ / ١٥٥.

([5]) ظ: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج ٣٠ / ٤٣٥.

هـ ـ من علق: أي من الدم، والمراد: من علقة، وقال تعالى: (من علق)، ولم يقل: (من علقة)؛ لأن الإنسان في معنى الجمع، أو رعايةً للفاصلة([1]).

و ـ اقرأ وربك الأكرم: الكرم: التفضل بعطاء ما ينفع المعطى، ونعم الله تعالى عظيمة لا تحصى ولا تعد([2]).

ز ـ علم بالقلم: أي علم الكتابة بالقلم، وسمي قلماً لأنه يقلم أي يقطع، فهو أداة الكتابة([3]).

فما تقدم هو بيان للنسق الدلالي اللفظي لسورة العلق المباركة، وذلك من خلال بيان معاني المفردات المهمة فيها، وتفسيرها، وتوضيح الموارد مدار البحث الخاصة بها، والمتعلقة بالنسق القيمي القرآني فيها.

([1]) ظ: معاني القرآن، أبو زكريا الفراء، دار الكتاب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٣٩٩هـ، ج ٣ / ٢٧٨.

([2]) ظ: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج ٣٠ / ٤٤٠.

([3]) ظ: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق، ج ٣٠ / ٤٤١.

المبحث الثالث: أسس وضوابط القيم القرآنية:

المطلب الأول: الأسس والضوابط لغة واصطلاحاً:

أولاً: الأساس لغة واصطلاحاً:

١ـ الأساس لغة:

الأسس جمع أساس، (والأساس أصل البناء)([١])، ومادة (أس) من الهمزة والسين تدل على الأصل، وعلى الشيء الوطيد الثابت([٢])، وأسست داراً إذا بنيت حدودها، ورفعت قواعدها([٣])، كما ويقال للأس المبدأ([٤])، وأُس البناء: مبتدؤه([٥]).

٢ـ الأساس اصطلاحاً:

فتعريف الأساس في الاصطلاح هو: (مصدر وجود الشيء وعلته، ويطلق على أعم القضايا، وأبسط المعاني التي تستنبط منها المعارف أو التعاليم أو الأحكام، وهو كل أمر يؤصل للبحث في إحدى المسائل)([٦]).

فما يؤصل للبحوث في مسألة ما، ويكون مهماً فيها، ولا يمكن التخلي عنه، يسمى اساساً. نعم، هناك مفاهيم بينت معنى الأساس منها: الأصل، والقاعدة، والنظرية، فـ(الأصول والقواعد أحدهما يفسر الآخر في اللغة: فأصل الشيء قاعدته، والقواعد فروع النظرية... والنظرية مجموعة الأسس ذات القضايا المتعددة، في حين القاعدة ذات قضية واحدة تجمع الفروع والجزئيات لمن اثبت الفرق بينهما، ومنهم من نفى الفرق بين القاعدة والنظرية)([٧]).

([١]) تهذيب اللغة، الأزهري، مصدر سابق، ج ١٣ / ٩٦.

([٢]) ظ: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مصدر سابق، ٢٨.

([٣]) ظ: لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق، مجلد ١ / ٤٤.

([٤]) ظ: المخصص، علي بن إسماعيل ابن سيده، مصدر سابق، ١٢٤.

([٥]) ظ: مجمع البحرين، الطريحي، مصدر سابق، ج ٤ / ٤٥.

([٦]) معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ٣٢.

([٧]) الأسس المنهجية في نقد الأصول الرجالية حتى نهاية القرن الخامس الهجري، حسن كريم ماجد الربيعي، دار العارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط ١، ٢٠١٢م، ٣٣.

هذا الكلام ـ المتقدم ـ فيه الكثير من الخلط المفاهيمي، وذلك لأن القاعدة شيء، والأصل شيء، والنظرية ـ كذلك ـ شيء، فضلاً على ان الأساس شيء آخر، وهذا ما بيناه في الفصل التمهيدي من هذه الاطروحة.

بعد ما تقدم فالباحث يرى بأن الأساس في الاصطلاح هو: **قوام الشيء، ومركزه، وعلته، وما تدور حوله مسائل الشيء المبحوث، ومع عدم وجوده يفقد المبحوث عنوانه أو وجوده.**

هذا هو التعريف الذي يتبنه البحث للأساس.

ثانياً: الضوابط لغة واصطلاحاً:

١ـ الضوابط لغة:

الضوابط هي جمع: ضابط، مأخوذة من (الضبط) وهو: لزوم شيء لا يفارقه في كل شيءٍ، أو لزوم الشيء وحبسه([١])، فضبط الشيء حفظه بالحزم والرجل، وضابط: حازم، ورجل ضابط: قوي وشديد([٢]).

٢ـ الضوابط اصطلاحاً:

قد عُرف الضابط في الاصطلاح بأنه: الأمر الكلي المنطبق على جميع جزئياته([٣]).

وهناك من عرف الضوابط بأنها هي: ما اختص بباب وقُصد به نظم الصور المتشابهة([٤]).

فهناك من يقبل التعريف الأول للضابطة؛ وذلك لكونه تعريف القاعدة، والمشهور ان عناك فرقاً أو فروقاً كثيرة ما بين الضابطة والقاعدة.

وكلامنا ليس حول الفوارق ما بين الضابطة والقاعدة، انما الكلام هو حول الفروق ما بين الأسس والضوابط، والتي لا بدّ من تبيينها وتوضيحها، واو اجمالاً.

([١]) ظ: العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، مصدر سابق، ج ٧ / ٢٣.

([٢]) ظ: لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق، المجلد ٢ / ١٢٣٠.

([٣]) ظ: المصباح المنير، الفيومي، مصدر سابق، ٢٦٣.

([٤]) ظ: الأشباه والنظائر، السبكي، دار الإرشاد، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ، ج ١ / ٢١.

ثالثاً: الأسس والضوابط موارد الالتقاء ومكامن الافتراق:

لقد استنتج الباحث من خلال ما تقدم بأن هناك جملة من الفروق ما بين الأسس والضوابط، وهي:

١ـ الاساس مهم في وجود الشيء، أما الضابطة فمهمة في الحفاظ على الشيء.

٢ـ الأساس أسبق من الضابطة.

٣ـ الأساس جامع كلي، أما الضابطة فشيء موجود في الجزئيات.

٤ـ الأساس قد يوجد في أبواب ومواضيع متعددة، أما الضابطة فمحددة بباب أو موضوع واحد.

٥ـ الخلاف في الأساس أو الأسس محدود، أما الخلاف في الضابطة أو الضوابط فغير محدود.

المطلب الثاني: الأسس والضوابط المميزة للقيم القرآنية:

لا بدّ في هذا المطلب من ذكر أهم الأسس والضوابط المميزة للقيم القرآنية، وهي:

أولاً: أسس القيم القرآنية المميزة:

فأسس القيم القرآنية هي مصادرها ومنابعها من داخل القرآن الكريم، والتي منها:

١ـ مصدرها القرآن الكريم:

فالقرآن الكريم هو المصدر الأخلاقي الأول، ومصدر القيم الإسلامية والقرآنية.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾([1]).

فالقرآن الكريم كتاب هداية في كل مناحي الحياة التشريعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية، ذلك ان القرآن الكريم دستور أخلاقي لا يضاهيه أي دستور آخر.

([1]) سورة الإسراء، الآية (٩).

إن من أهم ما يميز الأسس والضوابط القرآنية كون مصدرها الأول والأساس هو القرآن الكريم، الكتاب السماوي المعجز، وخاتم الكتب السماوية، وكتاب النبي الأكرم محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين أجمعين.

٢ـ وضعت للتوافق مع القابليات البشرية:

فمن اليقين ان الله سبحانه وتعالى وفي كتابه العظيم (القرآن الكريم) أعلم بقابليات وطاقات الإنسان، لذلك وضع له ما يتوافق معها كلٌ بحسبه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾([1]).

وقال تعالى: ﴿لا يكلفُ اللهُ نفساً إلا وسعها﴾([2]).

الله سبحانه وتعالى لا يكلف أي نفس بشرية إلا بحسب طاقتها، وبحسب علمها، وبحسب وعيها، وبحسب إدراكها.

٣ـ أكدت على الرجوع إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لتبيينها:

فالمفسر الأول والمبين الأول للقرآن الكريم عموماً، ولما في القرآن الكريم من قيم وأخلاق خصوصاً، هو النبي الأكرم محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾([3]).

فالنبي الأكرم محمد ﷺ هو من يبين للناس ما نزل من آيات القرآن الكريم، ويوضخ لهم مفرداتها، ومرادها، وتطبيقاتها.

٤ـ أكدت الرجوع إلى الراسخين في العلم لتوضيحها:

القرآن الكريم أكد على أن من يعلم تأويل القرآن الكريم هم الراسخون في العلم، والراسخون في العلم المقصودون في الآية (السابعة) من سورة آل عمران هم أئمة أهل البيت عليهم السلام.

([1]) سورة قاف، الآية (١٦).

([2]) سورة البقرة، الآية (٢٨٦).

([3]) سورة النحل، الآية (٤٤).

وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم، وما أكدت عليه الأحاديث المباركة في تفسير الآية (السابعة) من سورة آل عمران المباركة، والتي وضحت حقيقة التأويل من جانب، ومن يعلمه من جانب آخر.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾([1]).

قال الإمام الصادق عليه السلام: (نحن الراسخون في العلم، فنحن نعلم تأويله)([2]).

٥ـ للإنسان الخيار في قبولها أو رفضها:

الله سبحانه وتعالى اعطى الحرية (بحسبها) للإنسان في قبول أو رفض الكثير من الأمور، ومنها القيم والأخلاق، وباقي الأنظمة والتشريعات.

قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾([3]).

لذلك فللإنسان حرية في الاختيار، فهو ليس بالمجبر، وليس بالمخير مطلقاً، وإنما أمرٌ بين أمرين.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (إنه أمرٌ بين أمرين، لا جبر ولا تفويض)([4]).

ثانياً: الضوابط المميزة للقيم القرآنية:

وهي الأمور الكلية الدالة على القيم القرآنية، والتي توجد في أجزاء تلك الأمور الكلية، إذ ان لها صفات أو مواصفات مهمة هي:

([1]) سورة آل عمران، الآية (٧).

([2]) تفسير العياشي، العياشي، مصدر سابق، ج ١ / ١٦٤، بحار الأنوار، المجلسي، ج ٨٩ / ٣٨٢.

([3]) سورة الإنسان، الآيات (٢ ـ ٣).

([4]) بحار الأنوار، المجلسي، مصدر سابق، ج ٥ / ٥٧.

١ـ إنها معانٍ كلية:

فالقيم القرآنية هي عبارة عن معانٍ كلية مطلقة ومجردة، لا يمكن فهمها، ولا يمكن إدراكها، إلا من خلال السلوك الذي يصدر عمن يمثلها بحق وحقيقة، ذلك ان القرآن الكريم قد بين كل ذلك.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾([1]).

ففي القرآن الكريم الكثير من العبر والقصص والأمثال لمن يريد العظة والاتعاظ، والعبرة والاعتبار.

٢ـ تمثل المرشد والموجه للإنسان:

القيم القرآنية هي بمثابة الموجه والمرشد للإنسان فرداً وجماعة، بشرط الوعي بها، وفهمها، وذلك عن طريق التعرف على طريقها الحقيقي ألا وهو القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾([2]).

فمن أراد الاهتداء بالنور الإلهي فهو على خير، ومن أبى فجزاؤه إلى شر في الدنيا والاخرة.

٣ـ مرتبة ترتيباً إلهياً رصيناً:

الله سبحانه وتعالى قد خلق كل شيء بحساب معين مرتب مقدر، وهناك حكمة كبيرة في ذلك، إذ ليست الأمور اعتباطية أو مزاجية كما عند الإنسان، بل هي أمور محكومة بقوانين إلهية دقيقة جداً.

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾([3]).

فالله سبحانه وتعالى اعطى كل شيء حقه من الخَلق.

([1]) سورة الإسراء، الآية (٨٩).

([2]) سورة المائدة، الآيات (١٥ ـ ١٦).

([3]) سورة القمر، الآيات (٤٩).

قال تعالى: ربنا الذي اعطى كلَّ شيءٍ خلقه ثم هدى﴾([1]).

٤ـ ظاهرة وباطنة:

فالقيم منها الظاهر ومنها الباطن، وهذا يشمل القيم الصالحة فقط دون غيرها.

قال تعالى: وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾([2]).

فمن عمل عملاً صالحاً فسوف يجازى بالحسنى، أما من عمل طالحاً فسوف يجازى بالخزي في الدنيا والأخرة.

٥ـ تنادي بمراقبة النفس وتحكيم الثوابت:

مراقبة النفس أهم الأسس والمرتكزات في بناء ونماء القيم الصالحة، وبالخصوص القيم المأخوذة من القرآن الكريم.

قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾([3]).

هذا إجمال ما يمكن ان يورده البحث لجملة من ضوابط القيم القرآنية، والتي اخرجها ـ البحث ـ بعد التمعن في آيات القرآن الكريم، كما وان ما أورده البحث بشأنها ليس حصراً لها، بل هي كثيرة جداً، بعدد آيات وكلمات القرآن الكريم، لكن البحث قد ذكر الأشهر والأبرز منها، وما يتعلق بالأطروحة من حيث الفصول والمباحث والمطالب وما يتفرع عنها.

ثالثاً: ضوابط القيم الإنسانية المأخوذة من القيم القرآنية:

المعلم المربي لا بدّ له من الالتزام بجملة ضوابط خاصة به في ميدان التربية والتعليم، والقراءة والدرس، وما تعلق بشؤون وظيفته، ومن تلك القيم الإنسانية المهمة المؤيدة قرآنياً، والمأخوذة من القرآن الكريم، هي:

([1]) سورة طه، الآية (٥٠).

([2]) سورة الأنعام، الآيات (١٢٠).

([3]) سورة النساء، الآيات (٥٨).

١ـ الوعي:

أي: وعي المربي وذلك من خلال فهمه للقيم التي يريد غرسها في داخل (المتعلم)، منطلقاً من كونه قدوة حسنة مؤثرة، بل أول قدوة في حياة المتعلم، وثاني قدوة بعد الأب.

وبعد وعيه بجميع جوانب القيم التي يريد غرسها، يجب أن يمتلك المهارة الكافية في عملية الغرس والمداراة والسقي وبالوسائل المفيدة الصحيحة والمبتكرة.

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (إن الإنسان تارة يسمع كلاماً ما إلا أنه كأن لم يسمعه، وفي التعبير السائد: يسمع بأذن ويخرج من الأخرى. وتارة أخرى يسمع الكلام ويفكر فيه ويتأمله، ويجعل ما فيه خير في قلبه، ويعتبر الإيجابي منه مناراً يسير عليه في طريق حياته، وهذا ما يعبر عنه بالوعي)([1]).

٢ـ مناسبة القيمة لعمر المتعلم:

فإن لمراعاة عمر المتعلم دوراً كبيراً في فهم القيمة الملائمة له، وطريقة زرع تلك القيمة في داخله.

ومن المهم ان يكون هناك تدريج أو تدرج في زرع القيم، ومن ثم سقيها بالشكل الصحيح، وبعدها المحافظة عليها من النباتات والحشرات الضارة، إلى ان تنمو بالشكل الصحيح، فتترسخ فيها القيم، وتكون مناراً ومعلماً للقيم في المستقبل.

٣ـ تنوع وتعدد الوسائل:

فغرس القيم يحتاج إلى تنوع وتعدد الوسائل من أجل غرسها داخل المتعلم، مراعياً بذلك الطرائق، والكيفيات، والوسائل، منتبهاً للميول والعواطف والاهتمامات.

٤ـ البيئة المناسبة:

والوسط البيئي الذي يعيش فيه المربي من جانب، والذي يعيشه المتعلم من جانب آخر، له الأهمية الكبرى في غرس القيم داخل المتعلم، فالبيئات متعددة ومتنوعة، وذات طباع خاصة بها، فالإنسان ابن بيئته.

([1]) الأمثل في تفسير القرآن المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، مصدر سابق، ج ١٨ / ٥٧٩.

فإن أشهر البيئات المؤثرة هي:

أ ـ الأسرة (البيت):

فالأسرة هي المكان الأول للتربية، وهي المسؤولة عن اعداد (الفرد) لكي يدخل في خضم الحياة، ومن ثم يكون عنصراً صالحاً، وفاعلاً، وحيوياً فيها.

إن الأسرة هي المنطلق في نشأة الفرد الإنساني، وهي مؤثرة عليه في كل مراحل حياته (سلباً أو إيجاباً)، وان لها الدور الكبير في المسار السلوكي للإنسان.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام: (وأما حق ولدك فتعلم أنه منك، ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنك مسؤول عما وليته من حسن الأدب والدلالة على ربه والمعونة له على طاعته عز وجل، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه)([1])

فدور الأسرة لا يتقيد بسلوك أفرادها فقط، بل يشمل جميع المقومات الشخصية للأفراد.

ب ـ المسجد (مكان العبادة):

فالمساجد (أماكن العبادة) تعد من أهم المؤثرات على سلوك الإنسان، فهي تعد بيئات ايمانية وتربوية روحية، فهي تسهم بشكلٍ فعال في تربية الإنسان واصلاحه ورقيه، ذلك ان المسجد هو خير بيئة للإنسان لكي يرتبط بالله سبحانه وتعالى، فهو يجعل الإنسان يعيش اجواءً روحية ومعنوية في قمة الرقي، وكأنه يعيش في عالمٍ آخر، وفي المسجد ينسى الإنسان همومه، ويتسامى على ملذات ومشاكل الحياة.

قال الإمام الحسن عليه السلام: (من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب إحدى ثمان: آية محكمة، وأخاً مستفاداً، وعلماً مستطرفاً، ورحمة منتظرة، وكلمة تدله على الهدى أو ترده عن ردى، وترك الذنوب حياءً أو خشية)([2]).

كما وقد تضافرت وتكثرت الروايات المؤكدة على أهمية المسجد (مكان العبادة) في بناء الشخصية، وفي بناء المجتمع.

([1]) تحف العقول، الحراني، مصدر سابق، ١٨٩.

([2]) تحف العقول، الحراني، مصدر سابق، ١٦٦.

جـ ـ المدرسة (مكان التعلم):

فللمدرسة أو (مكان العلم والتعلم) أهمية كبيرة في بناء الأفراد، وبالخصوص بعد التطور وعزل المدارس (أماكن الدرس) عن المؤسسات الدينية ودور العبادة.

لقد أصبحت المدرسة وحدة مركزية مستقلة، وان الطالب يقضي فيها أكثر ساعات يومه، لذلك فإن لها أهمية كبيرة في العلم والتعلم، وفي بناء القيم والأخلاق الصالحة عنده، وبالتالي بناء فرد صالح.

في الدول الإسلامية ـ من المفترض ـ أن تكون المدارس مبنية على وفق القيم القرآنية، تلك القيم العظيمة.

٥ـ البصيرة:

البصيرة هي المعرفة التي يمكن ان نميز بها الحق عن الباطل، والصحيح عن الخاطئ، سواء في أمور الدين أم في أمور الدنيا([1]).

والمعلم الواعي هو الذي يميز ما بين الحق والباطل، وما بين الصحيح والخطأ، وهو الذي يعلم طلابه كونه الأولى بالإتباع والاقتداء من قبلهم.

أما المعلم غير الواعي، أو الفاقد للوعي والبصيرة، فإنه سيكون متبعاً للهوى، وبالتالي فإنه يسير على غير هدى، مما سيؤدي إلى ضلاله وضلال كل من يتبعه.

٦ـ الشجاعة:

فمن صفات المعلم الناشر للقيم هي الشجاعة، والإرادة، والقوة، والعزم، وكل ذلك يحصل إذا آمن بالمبادئ والقيم التي ينادي بها، ويضحي من أجلها، مستمداً عزمه من الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليهم، ومن الأئمة المعصومين عليهم السلام، ومن المصلحين.

([1]) ظ: التبيان في تفسير القرآن، الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، مصدر سابق، ج ٦ / ٢٠٥.

المبحث الرابع: الخصائص المميزة للقيم القرآنية في آيات القراءة والدرس:

المطلب الأول: القراءة والدرس لغة واصطلاحاً:

١ـ القراءة لغة واصطلاحاً:

أ ـ القراءة لغة:

القراءة: مصدر للفعل (قَرَأَ) الدال على ضمّ الحروف وضم الكلمات ضمن أداء صوتي واحد ليكون منه كلاماً مفهوماً، والقراءة اللفظ أو التلفظ أو إخراج الحروف من الفم بحسب مخارجها([١]).

ب ـ القراءة اصطلاحاً:

القراءة اصطلاحاً هي: (فعل التعرف على الحروف وتركيبها؛ لفهم العلاقة الرابطة بين المكتوب والمَقُول)([٢]).

فـالقراءة مرتبطة بـ(النطق)، والذي هو معرفة الحروف أولاً، ثم التلفظ بها بشكل مفرد ثانياً، ثم تركيبها لتشكل كلماتٍ أو جمل مفيدة ثالثاً.

والقراءة مرتبطة بعنصر (الإخراج)؛ أي: إخراج الحروف من مخارجها، أو من الفم.

٢ـ الدراسة لغة واصطلاحاً:

أ ـ الدراسة لغة:

قال الراغب الأصفهاني(ت٤٢٥هـ): (دَرَسَ الكتَابُ، ودَرَسْتُ الْعِلْمَ: تَنَاوَلْتُ أثَرَهُ بالحفْظِ، ولما كان تَّناولُ ذلك بمُداومةِ القِراءَةِ عُبر عن إدامة القْراءِة بالدَّرْس، قال تعالى: (وَدَرَسُوا مَا فِيهِ)[٣]، وقال: (بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ)[٤]،

([١]) ظ: تاج العروس، الزبيدي، مصدر سابق، ج ١ / ٣٦٨.

([٢]) فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، محمد بن أحمد جهلان، مصدر سابق، ٤٦.

([٣]) سورة الأعراف، الآية (١٦٩).

([٤]) سورة آل عمران، الآية (٧٩).

(وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا)[١]، وقوله تعالى: (وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ)[٢]، وقُرئَ: (دَارَسْتَ) أي: جَارَيْت أهْلَ الكتَاب)[٣].

وقال ابن منظور(ت٧١١هـ): (دَرَسَ الكتابَ يَدْرُسُه دَرْساً ودِراسةً ودارَسَه، من ذلك، كأنه عانده حتى انقاد لحفظه. وقد قرئ بهما: وليَقُولوا دَرَسْتَ ، وليقولوا دَارَستَ، وقيل: دَرَسْتَ : قَرأت كتب أهل الكتاب ، ودَارَسْتَ : ذاكَرْتَهُم... ودَرَسْتُ الكتاب أدْرُسُه دَرْساً أي ذللته بكثرة القراءة حتى خَفَّ حفظه عليَّ)[٤].

وفي المعجم الوسيط: (دَرَسَ الكتابَ ونحوهَ دَرْساً، ودِرَاسَةً: قَرَأهُ وأقبل عليه ليحفظَه ويفهمه. ويقال: دَرَسَ العلْمَ والفنَّ... أدْرَسَ الكتابَ ونحوَه: درسه... تَدَارَسَ الكتاب ونحوه: دَرَسَه وتَعَهَّدَه بالقراءة والحِفظ لئلا ينساه)[٥].

ب ـ الدراسة اصطلاحاً:

الدِّرَاسَ: (الأعْمَالُ الْمَدْرَسِيَّةُ، أَي القِرَاءةُ وَتَحْصِيلُ العُلُومِ وَالْمَعَارِفِ)[٦].

إلا أن البعض جعل هذه المفردة مرادفة لمفردة (البحث)، وبعضهم جعل الدراسة أساس البحث، إذ من دون دراسة ومُدارسة لا يتحقق البحث، لذا قيل عن البحث بأنه: (دراسة دقيقة مضبوطة تستهدف توضيح مشكلة وحلها، وتختلف طرقها وأصولها باختلاف طبيعة المشكلة وظروفها)[٧].

فسواءً كانت الدراسة مرتبطة بالبحث أم منفصلة عنه، فإنها الفعل الذي يقوم به الفرد من أجل فهم مضمون معين من كل جوانبه.

---

(١) سورة سبأ، الآية (٤٤).

(٢) سورة الأنعام، الآية (١٠٥).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، مصدر سابق، ٣١١.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق، المجلد الأول، ١٢٥٧ ـ ١٢٥٨.

(٥) المعجم الوسيط، أحمد الزيات، مصدر سابق، ٢٧٩ ـ ٢٨٠.

(٦) موقع المعاني على شبكة النت، http://www.almaany.com/ .

(٧) المرشد في كتابة الابحاث، حلمي فودة، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، ط١، ١٩٧٥م، ١١.

اما الدراسة فإنها: (المراد بكلمة الدراسة معنى الممهدة والموطأة لهذا المقصد المعرفي، أو الجهد الذي ينتج عنه حفظ المضمون وفهمه والتأسيس عليه)[١].

فالدراسة مرتبطة بأمور مهمة لكي يصلح اطلاق هذا المصطلح عليها وهي:

أ ـ وجود مضمون معين يراد دراسته.

ب ـ بذل الجهد في سبيل الدراسة.

جـ ـ فهم ذلك الشيء المدروس.

أما منهج الدراسة فهو: (الخُطة المرسومة المحددة للدراسة، هذه الخطة لها قواعد وأسس ومنطلقات، ولها طرقٌ وأساليب وتطبيقات)[٢].

فإن لكل منهج دراسي أموراً مهمة لا بدّ منها هي:

أ ـ الخطة: إذ لا بدّ من خطة للمنهج الدراسي يسير عليها المعلم، ويفهمها المتعلم.

ب ـ الأهداف: لا بدّ من وجود أهداف، وإلا ستكون عبثية.

جـ ـ الوسائل: لا بدَ من وسائل مساعدة، كالوسائل التعليمية المتعددة على سبيل المثال.

د ـ الجدوى: إذ انه ومن دون جدوى فما الداعي للتعب، فلا بدّ من الجدوى.

هذه الأمور المتقدمة مهمة جداً في مجال فهم (الدراسة) من جميع جوانبها، حتى تكون دراسة حقيقية، وموضوعية، ومفيدة، تحقق المراد منها، ومع عدم توفر ذلك فإنها لا تعد ولا تسمى دراسة، بل هي مجرد تقولات أو آراء، أو كتابات من هنا وهناك.

فالدراسة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالقراءة، فإن ما يمكن قراءته هو من تتم دراسته، وبالتالي يتحقق المفهوم الكامل للعلم والتعلم، أما المعلم فإن عليه ان يميز ما بين الاثنين نظرياً وتطبيقياً، كونه المسؤول الأول والأخير على تطبيقهما.

---

(١) قضايا لغوية قرآنية، عبد الأمير زاهد، العارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٣٢ هـ، ٢١.

(٢) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق ـ سوريا، ط٣، ١٤٢٩ هـ، ١٦.

المطلب الثاني: خصائص القيم القرآنية:

للقيم القرآنية جملة من الخصائص، ويمكن التركيز على جملة خصائص في مجال البحث وخصوصية المبحوث وهذه الخصائص هي:

١ـ الاتساق والتناسق:

أول ما يلفت الانتباه عند تأمل القيم القرآنية الموجودة في آيات القرآن الكريم هي الاتساق والتناسق، وعدم التناقض وعدم التعارض، إذ انها قيم متسقة منسجمة متوافقة فيما بينها.

فلا يمكن إدراك اتساق القيم القرآنية إلا إذا عرف من يتعرض لتلك المعاني الصحيحة والدقيقة لكل قيمة وردت في القرآن الكريم، ومن دون ذلك سيكون هناك احتمال الخطأ في الحكم بسبب السطحية والتعجل([1]).

والقيم القرآنية هي تلك القيم التي تتسم بالتناسق والتنظيم والمناسبة والملائمة، والتي تراعي الزمان والمكان، وتراعي الأفراد على اختلاف الأعمار، وتراعي المجتمعات على اختلاف البيئات والثقافات.

قال تعالى: وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتابٍ مبين﴾([2]).

فعلم الله سبحانه وتعالى محيط بكل شيء، فهو تعالى لا يغيب عن علمه شيء مطلقاً، بل ان كل شيء منسق ومتسق ومقدر وفق قدرته تعالى، فإنه هو الخالق والقادر على كل شيء.

٢ـ الشمولية:

من أبرز خصائص القيم القرآنية هي الشمولية، والسعة، إذ هي تغطي جميع جوانب حياة الإنسان التي وردت في آيات وسور القرآن الكريم، علماً ان طبيعة الشمول داخل النص القرآني ذات طبيعة استيعابية على قدر الإناء، فهي تارة شمولية محددة، وتارة شمولية شاملة، فتارة الشمول لحياة الإنسان بما هو إنسان، وتارة الشمول للفرد المسلم بما هو إنسان مضافاً إلى كونه مسلم.

([1]) ظ: القيم في القصص القرآني الكريم، عبد الله محمد أحمد حريري، رسالة دكتوراه بقسم التربية الإسلامية المقارنة، جامعة طنطا، جمهورية مصر العربية، ١٩٨٨م، ٢١١.

([2]) سورة يونس، الآية (٦١).

قال تعالى: ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل﴾([1]).

الله سبحانه وتعالى قد صرفَ الأمثال والقصص والعبر في القرآن الكريم، لتشمل تلك الأمثال والقصص جميع البشر، وفي جميع مناحي الحياة البشرية.

٣ـ التكامل:

إذ تتصف القيم القرآنية بخصيصة التكامل بما هي قيم، ضمن النطاق الكلي للقيم القرآنية، فهي قيم يكمل بعضها البعض، لا تتعارض، ولا تتصادم، ولا تتناقض فيما بينها، بل هي كطابوق الجدار، كل واحدة مهمة في مكانها، وترص بعضها بعضاً، وتكمل بعضها البعض الآخر.

قال تعالى: ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾([2]).

فالقرآن الكريم كتابٌ كامل، صدر من عند الكامل المطلق، ألا وهو الله سبحانه وتعالى، فهو تعالى يعرف ما تحتاجه البشرية من يوم خلقهم وإلى يوم القيامة.

٤ـ الواقعية:

من خصائص القيم القرآنية اتصافها بالواقعية، فهي ليست نظرية أو فرضية، وليست خيالية أو ماورائية، بل هي حقيقية وواقعية، وواقعيتها في كونها قد خلقت لتوافق طبيعة بني الإنسان وقدراتهم، وطبائعهم.

من أروع مظاهر الواقعية في خصائص القيم القرآنية هي كونها ـ وفق آيات القرآن الكريم ـ قد أكدت على ضعف الإنسان من بين باقي المخلوقات، لذلك فإن الله تعالى قد خفف من ذلك الضعف بمساعدته عن طريق الهداية، وإرسال الأنبياء والرسل عليهم السلام، والكتب السماوية، والآيات، وغير ذلك من سبل التخفيف والهداية.

قال تعالى: يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾([3]).

أما من قال بأن في القرآن الكريم، أو في قصص القرآن الكريم أشياء غير واقعية، أو أساطير، فهو لا يفهم من القرآن الكريم شيئاً، بل هو يغرد خارج سرب العقلاء.

([1]) سورة الكهف، الآية (٥٤).

([2]) سورة الأنعام، الآية (٣٨).

([3]) سورة النساء، الآية (٢٨).

٥ـ الاتزان:

من خصائص القيم القرآنية هي الاتزان أو (التوازن)، إذ أنها قيم متوازنة لا إفراط فيها ولا تفريط، وهي كالدواء للعلة من طبيب حاذق، فتعطى بالقدر المحتاج له، وساعة الحاجة، وفي المكان الصحيح.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾([1]).

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ ([2]).

ومن خصائص القيم القرآنية هو الاتزان، فهي متزنة، وسطية، معتدلة، ليس فيها إفراط أو تفريط، خُلقت لتلائم طبائع البشر وقدراتهم، أما من لا يفعلها، أو لا يقبلها، فالخلل فيه هو، وليس في القيم نفسها.

٦ـ المرونة واللين:

فالقيم القرآنية لا تقبل بالجمود والنمطية والتقولب، بل تسير بالإنسان نحو التفكر الدائم، والتجدد من أجل استيعاب المتغيرات الزمانية والمكانية، والمتغيرات الطبيعية، والمتغيرات العلمية والمعرفية، فالمرونة تضمن الاتساع الواعي.

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾([3]).

ففي هذه الآية يؤكد القرآن الكريم على جانبٍ مهم من أخلاق النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إذ ان أخلاقه قرآنية بامتياز، وهو القدوة والأسوة الحسنة، فقد كان ﷺ، في قمة الرأفة والرحمة، واللين، والتواضع، وهذه هي أهم خصائص القيم القرآنية.

٧ـ الجلاء والوضوح:

يأتي هذا من خلال كونها القيم القرآنية قيم واضحة جلية، نستطيع فهم معانيها ومراداتها، واضحة في فهمها واستيعابها، واضحة في التعبير عنها.

([1]) سورة الإسراء، الآية (١١٠).

([2]) سورة البقرة، الآية (١٤٣).

([3]) سورة آل عمران، الآية (١٥٩).

قال تعالى: لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾([1]).

فجلاء ووضوح القيم القرآنية يجعل القرآن الكريم يصرح بعد ان أقرها وارشد لها: إن من نجا أو من هلك كان ذلك بعد البيان والتوضيح، ولم يكن هناك أي خفاء أو غموض في التبليغ والإرشاد.

٨ـ الوحيانية:

فبما ان ألفاظ القرآن الكريم إلهية، أو وحيانية، فإن من خصائص القيم القرآنية أنها وحيانية، أي انها من الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾([2]).

وقال تعالى: وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾([3]).

فوحيانية الألفاظ من جانب، ووحيانية القيم القرآنية من جانب آخر، يعطيها العصمة الذاتية من جانب، وتحقيق الفائدة للبشر ممن يلتزم بها من جانب آخر.

٩ـ تتسم بالإلزام:

القيم القرآنية ومن خصائصها الاتسام بالإلزام.

قال تعالى: وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾([4]).

وهذا الإلزام مهم وضروري حتى لا يقول أي شخص أنه لا يعلم، أو لم يعلم، أو لم يأتيه أي بلاغ.

([1]) سورة الأنفال، الآية (٤٢).

([2]) سورة الفرقان، الآية (٣٢).

([3]) سورة الشعراء، الآية (١٩٢).

([4]) سورة الأحزاب، الآية (٣٦).

١٠ـ مراعاة الفروق الفردية:

القرآن الكريم وفي جميع آياته عموماً، وفي الآيات الخاصة بالقيم والأخلاق خصوصاً، يراعي جميع الناس، وذلك في سبيل موافقة فهمهم وفطرتهم وقدراتهم.

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾([1]).

المراعاة والملائمة الأولى هي ملائمة الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها، فهو تعالى الأعلم بهم.

قال تعالى: ﴿أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعضٍ درجات﴾([2]).

فإن مراعاة الفروق الفردية من أهم ما يضبط القيم والأخلاق الإنسانية، والقرآن الكريم قد راعى ذلك بكل دقة وبكل وضوح.

١١ـ التكرار المفيد والنافع:

لقد جاء التكرار في القرآن الكريم عموماً، وفي مجال القيم والأخلاق خصوصاً، للتأكيد على أهمية القيم الأخلاقية القرآنية، وتعظيم شأنها، والتحذير من عدم تطبيقها.

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾([3]).

وقال تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾([4]).

وقال تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾([5]).

ففي القرآن الكريم جاء التكرار تارة متصلاً كما في الآيات المتقدمة، وتارة جاء منفصلاً كما في جملة من الآيات القرآنية منها:

([1]) سورة النساء، الآية (٢٨).

([2]) سورة الزخرف، الآية (٣٢).

([3]) سورة الشرح، الآيات (٥ ـ ٦).

([4]) سورة الهمزة، الآيات (٤ ـ ٥).

([5]) سورة الحاقة، الآيات (١ ـ ٣).

قال تعالى: فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾([1]).

والتي تكررت في سورة الرحمن (٣١) مرة.

وقال تعالى: إن ربك لهو العزيز الرحيم﴾([2]).

والتي تكررت في نفس السورة (الشعراء) ثماني مرات، يقول الألوسي (ت١٢٧٠هـ): (كررت ثماني مرات كل مرة عقب كل قصة، فالإشارة في كل واحدة بذلك إلى قصة النبي المذكور قبلها، وما اشتملت عليه من الآيات والعبر)([3]).

إن هذا التكرار في القرآن الكريم عموماً، وفي آيات القيم والأخلاق خصوصاً لهو دليل على أهميتها الكبيرة جداً للإنسان.

١٢ـ إنها قيم فطرية:

من خصائص القيم القرآنية أنها فطرية، أي نابعة من الفطرة السليمة الأولى للإنسان.

قال تعالى: فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾([4]).

فالقيم القرآنية فطرية بامتياز، أي انها نابعة من ذاتيات الإنسان الصالح وغير الملوث، وذلك كالرحمة، والتعاون، والحب، والرأفة، وغيرها.

كل تلك القيم ـ المتقدمة ـ هي قيم فطرية قد خرجت من فطرة الإنسان السليمة، وهي ان خفت في ساعات ومواقف، فمن الممكن اثارتها وارجاعها عن طريق مواقف ومحفزات أخرى تتعلق بكل ما يتعلق بالأخلاق الحميدة، والمواقف الإنسانية الجيدة، وما شاكل ذلك.

([1]) سورة الرحمن، الآية (١٣).

([2]) سورة الشعراء، الآية (٩).

([3]) روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، الألوسي، مصدر سابق، ج ٨ / ٦٣.

([4]) سورة الروم، الآيات (٣٠).

المطلب الثالث: الخصائص القيمية لآيات القراءة والدرس في القرآن الكريم:

إن لآيات القراءة والدرس خصائص مميزة لها في القرآن الكريم هي:

أولاً: الخصائص القيمية لآيات القراءة في القرآن الكريم:

لا بدّ من الوقوف ـ هنا ـ عند جملة من الخصائص القيمية لآيات القراءة في القرآن الكريم، وهي:

١ـ أساسها الاستماع الجيد الواعي:

من الخصائص القيمية للآيات القرآنية التي تكلمت عن القراءة في القرآن الكريم هو الاستماع الجيد الواعي.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾([1]).

وقال تعالى: ﴿ومنهم من يستمع إليك﴾([2]).

وقال تعالى: ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم﴾([3]).

وقال تعالى: ﴿إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يسمعون﴾([4]).

ثم ان السماع ـ يقيناً ـ يكون بالأذن، وهنا يأتي شرط ان تكون تلك الأذن واعية.

وقال تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾([5]).

إذن فمن أهم خصائص آيات القراءة في القرآن الكريم هو الاستماع الجيد، من جانب، وان يكون هذا الاستماع بواسطة الأذن الواعية، وان يكون المستمع غير مصاب بعارض أو مرض يمنعه من ذلك، وإلا فإن كان كذلك فإن هناك طرائق ووسائل أخرى تعوض عن مسألة القراءة أو الاستماع الطبيعي، من أجل إيصال المعلومات إليه.

([1]) سورة البقرة، الآية (٢٨٦).

([2]) سورة الأنعام، الآية (٢٥).

([3]) سورة الأنفال، الآية (٢٣).

([4]) سورة يونس، الآية (٦٧).

([5]) سورة الحاقة، الآية (١٢).

٢ـ القراءة حصن حصين:

إن القراءة للقرآن الكريم، والقراءة كعنصر للتوعية وإبعاد الشرور، يعطينا فهماً لأحد أهم فوائدها، وهي كونها حصن يمنع دخول كل ما هو مضر.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾([1]).

من خصائص آيات القراءة في القرآن الكريم انها حصن وحجاب وستر يمنع الشرور المعنوية أولاً عن القارئ، ثم يمنع الشرور المادية ثانياً بعد ان يصنع الإنسان الأشياء التي تمنع تلك الشرور من الوصول للمجتمع، وذلك كصناعة الأدوية التي تمنع شرور الأمراض، وصناعة المناهج الدراسية والعلمية الصحيحة التي تمنع الجهل، وصناعة مراكز الدراسات التي تمنع العمى الفكري والثقافي، وهكذا.

٣ـ القراءة تقود إلى معرفة حقيقة الخالق والإيمان به بحق وصدق:

فمن أهم خصائص آيات القراءة في القرآن الكريم أنها تقودنا إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، الخالق البارئ المصور، والإيمان به بحقٍ وصدق.

قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾([2]).

القراءة تقودنا إلى الاستدلال على وجود الخالق، ألا وهو الله سبحانه وتعالى، وذلك من خلال مخلوقاته وآياته ومعجزاته سبحانه وتعالى.

٤ـ القراءة تؤكد على ان الله سبحانه وتعالى هو المعلم الأول:

القرآن الكريم قد أكد في جملة من الآيات القرآنية على ان المعلم الأول للإنسان هو الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾([3]).

فالله سبحانه وتعالى هو الذي علم الإنسان بواسطة القلم، وعلمه علوماً لم يكن يعلمها اطلاقاً.

([1]) سورة الإسراء، الآية (٤٥).

([2]) سورة العلق، الآية (١).

([3]) سورة العلق، الآيات (٣ ـ ٥).

وقال تعالى: وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾([1]).

هنا نقرأ بوضوح ان المعلم الأول للإنسان الأول (آدم) هو الله سبحانه وتعالى.

ثانياً: خصائص آيات الدرس في القرآن الكريم:

لا بدّ من الوقوف ـ هنا ـ عند جملة من خصائص آيات الدرس في القرآن الكريم، وهي:

١ـ تحث إلى الوصول إلى الدرجات العالية:

من أهم خصائص آيات الدرس في القرآن الكريم أنها تحث على الوصول إلى الدرجات الرفيعة والعالية، والتي منها درجة الربانيين أو ما يساوقها.

قال تعالى: كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾([2]).

يقول الشيخ الطبرسي: كونوا علماء بما كنتم تعلمونه من القرآن الكريم، وبما كنتم تدرسونه لغيركم من الفقه والتشريع والعقائد والأخلاق الموجودة في آيات القرآن الكريم([3]).

٢ـ تؤكد على أهمية الدراسة والتدارس:

آيات القرآن الكريم الخاصة بالدرس تؤكد على الأهمية الكبرى للدرس والتدريس وكل ما يتعلق به.

قال تعالى: أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾([4]).

فهذه الآية تسأل هل لكم كتاب فيه تدرسون، وهي تسأل عن العلم ونوع العلم، والذي يكون أو يتكون عن طريق الدراسة والتدريس.

والسؤال ـ هنا ـ دلالة على أهمية المسؤول عنه، فيتفرع عن السؤال بحث عن أهمية المسؤول، وقيمته، ورفعته.

([1]) سورة البقرة، الآية (٣١).

([2]) سورة آل عمران، الآية (٧٩).

([3]) ظ: مجمع البيان، الطبرسي، مصدر سابق، ج ١ / ٧٨٣.

([4]) سورة القلم، الآية (٣٧).

٣ـ أهمية الدراسة في معرفة التاريخ والماضي:

فللدراسة أهمية كبيرة في التعرف على الماضي، وعلى الأمم السابقة، وذلك للاستفادة والاعتبار منها.

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾([1]).

أي يدرسون فيها، ومنها الكتب السماوية.

٤ـ أهمية الدراسة في معرفة الحق:

وذلك عبر مداومة الدرس، من خلال القراءة التي هي أداة مهمة من أدوات الدرس.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾([2]).

وإلا فإن لم يقوموا بذلك فإنهم سيتركونه ولا يعملون به([3]).

ثالثاً: خصائص آيات القراءة والدرس من خلال آيات العلم في القرآن الكريم:

لا بد هنا من الوقوف على خصائص آيات القراءة والدرس من خلال استعراض آيات العلم الواردة في القرآن الكريم، ومن هذه الخصائص:

١ـ في العلم طلب للزيادة الممدوحة والمحمودة:

من خصائص العلم، وآيات العلم في القرآن الكريم انها تحث على طلب العلم الممدوح والمحمود بشرط الزيادة.

قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾([4]).

فالعلم يقود إلى الهداية، والجهل يقود إلى الضلال، ومن اليقين ان الكل سيختار العلم، لكن بشرط ان يكون علماً نافعاً يحقق رضا الله سبحانه وتعالى، والابتعاد عن كل ما يسخط ويغضب الله سبحانه وتعالى.

([1]) سورة سبأ، الآية (٤٤).

([2]) سورة الأعراف، الآية (١٦٩).

([3]) ظ: المفردات، الاصفهاني، مصدر سابق، ٣١١.

([4]) سورة طه، الآية (١١٤).

٢ـ العلم يحقق الخشية من الله تعالى:

فالعالم المتعلم وصاحب العلم يكون أكثر الناس خشية من الله تعالى، وذلك لما وصل إليه من علم ويقين.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾([1]).

فإن أكثر وأشد الناس خشية من الله سبحانه وتعالى هم العلماء، وذلك لأن العلم هو الذي يقود إلى الإيمان الحقيقي والصحيح.

٣ـ العلم والتعلم درجات:

أكد القرآن الكريم قد على العلم، وكذلك فإنه قد بين وجود درجات في العلم، وكذلك وجود درجات ما بين العلماء.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾([2]).

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾([3]).

وقال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ ([4]).

هذه الآيات القرآنية المتقدمة تؤكد على وجود الدرجات في العلم عموماً، وفي العلم الخاص بمعرفة الله سبحانه وتعالى وطاعته خصوصاً.

٤ـ إن ارتباط التعليم الحقيقي هو بالكتاب والحكمة:

القرآن الكريم قد أكد على ارتباط العلم والتعليم الحقيقي بالكتاب، أي بالكتب الإلهية (السماوية)، وبالحكمة الربانية.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ([5]).

([1]) سورة فاطر، الآية (٢٨).

([2]) سورة الزمر، الآية (٩).

([3]) سورة المجادلة، الآية (١١).

([4]) سورة يوسف، الآية (٧٦).

([5]) سورة الجمعة، الآية (٢).

إذ لا بدّ من التطهير والتزكية من أدران الجاهلية وأدران الشرك، ومن ثم يتم تعليمهم أسس الشرائع والقوانين الإلهية، وتعليمهم الحكم والمواعظ، والعلوم والمعارف.

٥ـ أهم العلوم التفقه بالدين:

من أهم العلوم في القرآن الكريم هو التفقه في الدين سواء للشخص نفسه، أم لغيره، وذلك بأن يتعلم ومن ثم يعلمهم.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ([1]).

قال الشيخ الطبرسي: أي ليتعلموا القرآن الكريم، والسنن، والفرائض، والأحكام([2]).

وفي ذلك دليل على أهمية العلوم عموماً، والتفقه بالدين خصوصاً، مع العلم ان تلك الآية نزلت أثناء احدى الغزوات، إلا انها قد أكدت على وجوب وجود أناس يعملون بالعلم والتفقه حتى في أثناء الحروب.

٦ـ أهمية المرجعية في العلم والتعلم:

فوجود مرجعية علمية مهم جداً، وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم في العديد من آياته المباركة.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾([3]).

وقال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾([4]).

فوجود المرجعية، ووجود المعلم صاحب المواصفات الخاصة ضروري جداً، وهو يسمى بـ(الخبير) في مجاله واختصاصه، ويكون رجوع الناس إليه في الأمور المهمة والضرورية، وهذا مما أكد عليه القرآن الكريم.

([1]) سورة التوبة، الآية (١٢٢).

([2]) ظ: مجمع البيان، الطبرسي، مصدر سابق، ج ٥ / ١٤٤.

([3]) سورة النحل، الآية (٤٣).

([4]) سورة الكهف، الآية (٦٦).

المبحث الخامس: القراءة والدرس كوسيلة تعليمية للإنسان:

المطلب الأول: تعريف الوسائل لغة واصطلاحاً:

أولاً: الوسائل لغة:

الوسائل في اللغة جمع وسيلة: وهي ما يُتوصل به إلى الشيء برغبة وطلب([1])، وقيل بأنها: القُربة، والتقرب([2]).

ثانياً: الوسائل اصطلاحاً:

المراد بالوسائل اصطلاحاً هي: (الأفعال التي يُتوصل بها إلى تحقيق المقاصد)([3]).

فالوسائل هي أفعال يمكن التوصل من خلالها إلى المراد تحقيقه، أو المقصود تحقيقه.

كما وان الوسائل هي الفعل الذي يتوصل به إلى تحقيق المقصد المطلوب، والطرائق المفضية إلى ذلك([4]).

وهنا يكون للطرائق أهمية كبيرة في تحقيق المراد أو المقصود.

ذلك ان الوسائل هي كل ما أوصل إلى المقاصد، وهي مرتبطة بها من حيث الحصول وعدمه([5]).

الراغب الاصفهاني يقول في تعريفه للوسيلة: (الوسيلة: التوصل إلى الشيء برغبةٍ وهي أخص من الوصيلة؛ لتضمنها لمعنى الرغبة)([6]).

لذا ـ وبعد ما تقدم ـ يرى الباحث بأن تعريف الوسيلة في الاصطلاح هو: **الشيء الموصل إلى المراد بشكلٍ مباشر أو غير مباشر، محقق للرغبة المطلوبة، بأدوات وطرائق معلومة.**

([1]) ظ: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مصدر سابق، ١٠٥٢.

([2]) ظ: لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق: مجلد ٢ / ٤٨٣٧.

([3]) قواعد الوسائل، مصطفى مخدوم، مصدر سابق، ٤٧.

([4]) ظ: المقاصد الشرعية، نور الدين الخادمي، مصدر سابق، ج ١ / ٤٩.

([5]) الفروق، شهاب الدين القرافي، مصدر سابق، ج ٢ / ٣٢.

([6]) المفردات، الاصفهاني، مصدر سابق، ٨٧١.

ثالثاً: تعريف الوسائل التعليمية:

من المهم ـ هنا ـ من تعريف الوسائل التعليمية، لما لذلك من أهمية كبيرة جداً في البحث، فلقد عرفت الوسيلة التعليمية بجملة من التعريفات المهمة، منها:

١ـ عنصر:

الوسيلة التعليمية: (عنصر من عناصر النظام التعليمي الشامل، تسعى إلى تحقيق أهداف تعليمية محددة)([١]).

هذا التعريف جعل من الوسائل التعليمية (عنصر) من عدة عناصر ضمن النظام التعليمي.

٢ـ ما يستعان به:

فقد عُرفت الوسائل التعليمية بكونها: (كل ما يستعين به المعلم على تفهيم التلاميذ من الوسائل التوضيحية المختلفة)([٢]).

هذا التعريف جعل من الوسائل التعليمية أموراً (يستعان) بها من قبل المعلم من أجل تفهيم التلاميذ ما يحتاجون إليه.

٣ـ مجموعة المواد التعليمية:

عرفت الوسائل التعليمية أيضاً بكونها: (مجموعة المواد التعليمية التي يستخدمها المعلم والمتعلم في الموقف التعليمي لتسهيل عملية التعلم)([٣]).

هذا التعريف قد جعل من الوسائل التعليمية (مجموعة مواد) تعليمية يستخدمها المعلم لتسهيل عملية التعلم.

([١]) هندسة الوسائل التعليمية، عبد المعطي حجازي، دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، ط١، ٢٠٠٩م، ١٧.

([٢]) الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، عبد العليم إبراهيم، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠٠٢م، ٤٣٢.

([٣]) تكنولوجيا التعليم والوسائل التعليمية، محمد السيد علي، دار ومكتبة الإسراء للطباعة والنشر، عمان ـ الأردن، ط١، ٢٠٠٥م، ٤٧.

من أسباب الاختلاف في التعريفات المتقدمة هو:

أ ـ التعريف الأول ناظر إلى كون الوسائل التعليمية عنصر ضمن نظام من العناصر، وليس لها أي تمييز عن غيرها.

ب ـ التعريف الثاني ناظر إلى كون الوسائل التعليمية مجرد وسائل ايضاح لا أكثر ولا أقل.

جـ ـ التعريف الثالث كان أشمل من التعريف الأول، إلا انه اعتبر الوسائل التعليمية مجموعة من المواد، ولم يميز نوع وطبيعة تلك المواد المقصودة في تعريفه.

فالباحث يرى بأن تعريف الوسائل التعليمية هو: **مجموعة العناصر الأساسية الخاصة بالتعليم، والمساعدة على إيصال المادة التعليمية من قبل المعلم للمتعلم، مع مراعاة نوع الدرس، والعمر، والفروق الفردية، بأسلوب مشوق ونافع.**

رابعاً: الفرق بين الوسائل والمقاصد:

ما استنتجه الباحث مما تقدم من مصادر سابقة يؤكد بأن هناك عدة فروق ما بين الوسائل من جانب، والمقاصد من جانب آخر، منها([1]):

١ـ المقصد مقدم على الوسيلة، فالاهتمام ـ عند العلماء أصحاب الاختصاص ـ ينصب على المقصد قبل الوسيلة، وذلك لأن المقاصد مطلوبة لذاتها، والوسائل توصل للمقاصد وتوصل إلى غيرها.

٢ـ المقاصد تستمد قيمتها من ذاتها، أما الوسائل فتستمد قيمتها من الهدف الذي ترمي إليه.

٣ـ المقاصد مرادة بالقصد الأول لها، أما الوسائل فهي مرادة بالقصد الثاني لها.

٤ـ الوسائل تتبع المقاصد وليس العكس.

هناك جملة من التسميات للوسائل التعليمية منها:

أ ـ وسائل الايضاح.

ب ـ الوسائل المعينة على التدريس.

جـ ـ الوسائل السمعية البصرية.

([1]) ظ: مقاصد الشريعة عند العز بن عبد السلام، مصدر سابق، ٢٧٦.

د ـ الوسائل المعلوماتية.

هـ ـ الوسائل الحسية المتعددة.

و ـ وسائط التعليم.

ز ـ الوسائل الاختبارية.

ح ـ الوسائل المعيارية.

ط ـ الوسائل التقنية.

من المؤكد ان للوسائل التعليمية دوراً مهماً في عملية التعليم، ذلك ان المعلم يستطيع من خلالها ان يجعل حصص الدرس ناجحة ومشوقة ومفيدة، فيحول الدرس من رتيب إلى درس حيوي يشارك فيه الجميع، علماً ان تدريس مهارتي (القراءة) و(الكتابة) له ارتباط وثيق بتنوع وتعدد الوسائل التعليمية، وبالخصوص من خلال استغلال الوسائل الحديثة في ذلك.

المطلب الثاني: أهمية القراءة والدرس:

أولاً: أهمية القراءة:

القراءة هي من أهم المهارات التي يكتسبها الإنسان، وهذه المهارة تحقق عبرها نجاح ومتعة وتطور وتقدم وكسب وفائدة، فهي جزء مهم وضروري في حياة البشر، فبالقراءة تتطور الشعوب والأمم.

لقد أكدت الأديان السماوية عموماً والدين الإسلامي خصوصاً على أهمية القراءة، ففي الإسلام كانت أول آية من أول سورة في يوم تكليف النبي الأكرم بالوحي هي آية **(اقرأ).**

قال تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾([1]).

([1]) سورة العلق، الآيات (١ ـ ٥).

القراءة عمل يقصد منه الربط ما بين لغة الكلام والرموز المكتوبة، ذلك ان لغة الكلام مؤلفة من معاني، والألفاظ هي قوالب تلك المعاني، بذلك يكون للقراءة ثلاث أسس مهمة هي: المعنى، اللفظ، الرمز([1]).

والقراءة مهارة مهمة من مهارات اللغة، ولها أسس مهمة، واهمية تلك الأسس يكمن في الربط فيما بينها.

يقول الأستاذ محمد رشيد خاطر عن القراءة: (هي نشاط فكري متكامل، يبدأ بإحساس الإنسان بمشكلة ما، ثم يأخذ في القراءة لحل هذه المشكلة، ويقوم في أثناء ذلك بجميع الاستجابات التي يتطلبها حل هذه المشكلة من عمل وانفعال وتفكير)([2]).

ثانياً: أهمية الدرس والدراسة:

الدرس والدراسة ـ كذلك ـ من أهم المهارات التي يكتسبها الإنسان، وهي مفيدة له في جميع أطوار حياته المختلفة، ولقد أكد القرآن الكريم عليها في جملة من الآيات المباركة.

قال تعالى: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾([3]).

فدراسة القرآن الكريم هي أخص من قراءته، والدراسة يراد منها الفهم والإتقان، وايضاً قد يراد بها التمهل في حفظه وتدبره([4]).

لقد أكدت آيات القرآن الكريم على الدراسة والتدريس، وذلك في جملة آيات قرآنية مباركة مثل: الآية (٧٩) من سورة آل عمران، والآية (٣٧) من سورة القلم، والآية (٤٤) من سورة سبأ، والآية (١٦٩) من سورة الأعراف، والآية (١٠٥) من سورة الأنعام.

والتأكيد على أهمية الدرس والدراسة في القرآن الكريم جاء لأجل كون الدراسة هي الباب إلى العلم والفهم والتفقه والتفكر، وهو يفتح أبواب المعرفة أمام الإنسان، ويغلق كل أبواب الجهل.

([1]) ظ: أمة اقرأ لا بدّ ان تقرأ، أمير محمد المدري، مكتبة خالد بن الوليد، صنعاء ـ اليمن، ط٢، ١٤٣١هـ، ٢٧.

([2]) تطوير مناهج تعليم القراءة، محمد رشدي خاطر، مصدر سابق، ١٨.

([3]) سورة القلم، الآيات (٣٧).

([4]) ظ: التحرير والتنوير، ابن عاشور، مصدر سابق، ج ٣ / ٢٩٥.

إن الدراسة والدرس والتدريس مهمة جداً في الإسلام بشكلٍ عام، وهي مؤكدة الأهمية في القرآن الكريم، لذا كان للبحث اهتمام كبير بها في هذه الاطروحة.

ثالثاً: خصائص القراءة والدراسة الصحيحة:

١ـ التشويق:

فمن خصائص القراءة والدراسة الصحيحة انها تساعد أو تُفعل عنصر التشويق والتوق عند المتعلم، وتنمي عنصر الاكتشاف والاستكشاف داخله.

فليس هناك أفضل من خاصية التشويق من أجل تسهيل عملية القراءة والدرس وما وراءهما([1])، فإن التشويق له ثمار مهمة منها:

أ ـ شد انتباه المتعلم (الطالب)، وبالتالي المحافظة على الهدوء، ومنع الفوضى.

ب ـ يعلم المتعلم (الطالب) على الانتباه والتركيز.

جـ ـ يؤصل لدى المتعلم (الطالب) عنصر الصبر.

د ـ يثير عند المتعلم (الطالب) جملة من التساؤلات النافعة والمفيدة المحركة لعقله.

هـ ـ يطلق العنان لخيال المتعلم (الطالب) وتفكيره حول الموضوع المدروس.

و ـ يمنع تطرق الملل إلى المتعلم (الطالب) ويزيد عنصر المواظبة عنده في الدروس اللاحقة.

٢ـ التنظيم:

من خصائص القراءة والدراسة الصحيحة انها تحافظ على التنظيم، وبذلك تمنع أو تحارب التشتت عند الطلبة([2]).

ثم ان النظام والتنظيم و (النظم) هو من أساسيات القرآن الكريم والإسلام، وذلك واضح في الكثير من الأحاديث المباركة التي أكدت على ذلك، والتي بينت أهمية (النظم) في كل شيء.

([1]) ظ: تكنولوجيا التعليم والوسائل التعليمية، محمد السيد علي، دار ومكتبة الإسراء، ط١، ٢٠٠٥م، ٥٤.

([2]) ظ: الوسائل التعليمية تصميمها وانتاجها، عبد الحافظ محمد جابر سلامة، دار البداية، عمان ـ الأردن، ط١، ٢٠٠٦م، ٢٢.

٣ـ التعلم:

من خصائص القراءة والدراسة الصحيحة انها تفيد في التعلم، وهو الهدف الأساس والرئيس للقراءة والدراسة، فالتعلم يتحقق عن طريق القراءة والدراسة، وما يتعلق بهما من أمور ووسائل وتقنيات.

٤ـ الذكاء:

من أهم خصائص القراءة والدراسة الصحيحة انها تبني وتزيد الذكاء لدى المتعلم (الطالب)، وتعزز هذا الأمر بالوسائل المساعدة عليه، من خلال دعمه وتشجيعه والحث عليه.

٥ـ البناء:

من أهم خصائص القراءة والدراسة الصحيحة انها تساهم في بناء المتعلم (الطالب) البناء العلمي والقيمي والأخلاقي الصحيح، وبالتالي بناء جيل قادر على حمل العلم مع القيم والأخلاق ليكون خير ممثل لبلده ولدينه ولمجتمعه.

المطلب الثالث: أهمية التعليم للإنسان:

أولاً: أهمية التعليم:

للتعليم أهمية كبيرة، تؤكد على هذه الأهمية وجود فوائد كثيره له، كما وتوجد للتعليم فوائد كثيرة منها:

١ـ التخلص من الجهل:

التعليم يساعد على التخلص من الجهل في كل شيء، وليس التخلص من الجهل في القراءة والكتابة، بل أكثر من ذلك، لذا نقرأ في القرآن الكريم آيات تؤكد على نبذ الجهل والجهلاء.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾([1]).

([1]) سورة الزمر، الآية (٦٤).

وقال تعالى: وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾([1]).

فالقرآن الكريم قد ذم الجهل والجهلاء، وعدهم من المانعين لكل طرق الخير، والمانعين لكل أنواع العلم والمعرفة.

٢ـ التقدم والتطور:

للتعليم أهمية كبيرة جداً في التقدم والتطور فردياً ومجتمعياً، فالبلدان تتقدم وتتطور بواسطة العلم، ومن دون العلم لا يبقى لها أي ذكر، فالكثير من الحضارات والدول اندرست وانتهت لأنها لم تكن ذات علم، وليست صاحبة لغة مدونة مكتوبة.

٣ـ البقاء والذكر الطيب:

للعلم والتعليم مكانة كبيرة مجتمعياً ودولياً، وان للعالم الذكر الطيب، وذكره باقٍ ما بقي الدهر.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في وصيته لكميل بن زياد النخعي: (يا كميل، هلك خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر؛ أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة)([2]).

٤ـ إنقاذ الأفراد والشعوب:

إن العلم والتعلم قادر على انقاذ الأفراد والجماعات والشعوب من كل الأخطار المادية والمعنوية التي تعترضهم.

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾([3]).

فالمؤمن بالله تعالى، والمتعلم الواعي، سوف يجنب نفسه وأهله ومجتمعه وشعبه جميع المخاطر، ومن اهمها الجهل والتجهيل، والأمراض، والتخلف، والاستغلال، وما شاكل ذلك.

([1]) سورة الفرقان، الآية (٦٣).

([2]) نهج البلاغة، الحكمة: ١٤٤.

([3]) سورة التحريم، الآية (٦).

٥ـ مقارعة الأعداء:

التعليم سلاح فعال في مواجهة الأعداء، ومن ثم ردّ مكائدهم بجميع الوسائل العلمية والمعرفية التي تدفعهم، وتخلص الشعوب منهم.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾([1]).

فالاستعداد ليس حربياً فقط، بل ان الاستعداد الحقيقي هو العلمي والمعرفي والثقافي، فالحروب قد تحولت من حروب صلبة إلى حروب ناعمة، والغزو تحول من غزو عسكري إلى غزو ثقافي، ويعمل الأعداء بدل غزو الأراضي إلى غزو العقول عن طريق الكتابات، والمعارف، والانترنيت، والتلفزيون، ووسائل التواصل الاجتماعي، وما شاكل ذلك.

لذا فإن على المعلم والمتعلم التصدي لكل ذلك، ومن خلال وسائل تلائم حجم التحدي.

ثانياً: الإنسان والعلم والتعليم:

إن آيات القرآن الكريم قد أكدت على العلم والتعلم كثيراً، وقد جاء ذلك في جملة من الآيات القرآنية المباركة، منها:

قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآَيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾([2]).

وقال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾([3]).

إن القرآن الكريم قد بين دور من (أوتوا العلم) في التأكيد على العلم والتعلم نظرياً وعملياً.

([1]) سورة الأنفال، الآية (٦٠).

([2]) سورة العنكبوت، الآية (٤٩).

([3]) سورة سبأ، الآية (٦).

ثم أكد القرآن الكريم على الفارق ما بين العالم وغيره.

قال تعالى: قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾([1]).

كذلك فقد بين القرآن الكريم مكانة (أهل العلم) عند الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾([2]).

كما وقد بين القرآن الكريم مكانة (العلماء) ودورهم في توحيد الله تعالى، والتأكيد عليه.

قال تعالى: شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط﴾([3]).

خلاصة الفصل الثاني:

١ـ تعريف القيم القرآنية هو: **الأسس الأخلاقية والسلوكية ذات المصدر الإلهي، والموجودة في آيات القرآن الكريم، والتي تهدف إلى جعل الإنسان خليفة لله تعالى في الأرض.**

٢ـ المباني القيمية التربوية والتعليمية هي: **الأسس المنهجية للقيم في مجال التربية والتعلم.**

٣ـ المباني القيمية القرآنية هي: **الأسس المنهجية ذات المصدر القرآني للقيم في مجالات الحياة المختلفة لبني الإنسان.**

٤ـ النسق القيمي هو: **الأساس اللفظي والمعنوي لآيات القيم والأخلاق في القرآن الكريم، المجموعة ضمن أُطر محددة تجمع العناصر كلٌ بحسبه، وفق نظام وترتيب دقيق جداً.**

٥ـ الأساس هو: **قوام الشيء، ومركزه، وعلته، وما تدور حوله مسائل الشيء المبحوث، ومع عدم وجوده يفقد المبحوث عنوانه أو وجوده.**

([1]) سورة الزمر، الآية (٩).

([2]) سورة المجادلة، الآية (١١).

([3]) سورة آل عمران، الآية (١٨).

٦ـ إن القيم القرآنية هي: **تلك القيم التي تتسم بالتناسق والتنظيم والمناسبة والملائمة، والتي تراعي الزمان والمكان، والأفراد على اختلاف الأعمار، والمجتمعات على اختلاف البيئات والثقافات.**

٧ـ تعريف الوسيلة هو: **الشيء الموصل إلى المراد بشكلٍ مباشر أو غير مباشر، محقق للرغبة المطلوبة، بأدوات وطرائق معلومة.**

٨ـ تعريف الوسائل التعليمية هو: **مجموعة العناصر الأساسية الخاصة بالتعليم، والمساعدة على إيصال المادة التعليمية من قبل المعلم للمتعلم، مع مراعاة نوع الدرس، والعمر، والفروق الفردية، بأسلوب مشوق ونافع.**

الفصل الثالث

الفصل الثالث: التلازم القيمي بين التربية والتعليم في آيات القراءة والدرس:

المبحث الأول: التشابك اللفظي في آيات القراءة والدرس، المعاني وتنوع الألفاظ:

المبحث الثاني: مديات القراءة والدرس في التوجيه (الإسلامي/القرآني) وعلاقته بالحضارة الإنسانية:

المبحث الثالث: اهتمام القرآن بالقراءة والدرس من خلال الاهتمام بالعلم والمعلم:

المبحث الرابع: رؤية المفسرين لآيات القراءة والدرس ودورها في المباني القيمية:

المبحث الأول: التشابك اللفظي في آيات القراءة والدرس، المعاني وتنوع الألفاظ:

المطلب الأول: التشابك اللفظي لغة واصطلاحاً:

١ـ التشابك لغة:

قال ابن فارس: (شبك: الشين والباء والكاف أصلٌ صحيح يدل على تداخل الشيء. يقال شبَكَ أصابعه تشبيكاً، ويقال: بين القوم شُبْكةُ نَسَبٍ، أي مُداخلة، ومن ذلك الشبَّكة)([١]).

كما وقال ابن منظور: (الشَّبكُ: من قولك شبكت أصابعي بعضها في بعض فاشتبكت وشبكتها فتشبكت على التكثير. والشبكُ: الخلط والتداخل)([٢]).

٢ـ التشابك اصطلاحاً:

التشابك ـ في الاصطلاح ـ لم يخرج عن معناه اللغوي، والذي يراد به: الخلط، التداخل، الالتباس، دخول الشيء بعضه في بعض، التشارك.

وهو تارة يراد به التداخل، وتارة التشابه، وتارة التناوب، وتارة التلازم، وكل واحدة من هذه الاطلاقات لها جنبة اشتراك وجنبة خصوصية، كما وان لها امثلتها الخاصة بها.

٣ـ اللفظ لغة:

ورد تعريف اللفظ لغة في معجم مقاييس اللغة بأنه: (اللام والفاء والظاء كلمة صحيحة تدل على طرح الشيء، وغالب ذلك أن يكون من الفم. تقول: لفظ بالكلام يلفظ لفظا، ولفظت الشيء من فمي)([٣]).

قال الراغب الاصفهاني: (اللفظ بالكلام مستعارٌ من: لفظ الشيء من الفم، ولفظ الرحى الدقيق، ومنه سُمي الديكُ اللافظة؛ لطرحه بعض ما يلتقطه للدجاج)([٤]).

فإن اللفظ هو الإخراج، أي إخراج الشيء من الفم إلى الخارج، فكل ما يخرج من الفم هو ملفوظ، ومنه الكلام.

([١]) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مصدر سابق، ٥٢٦.

([٢]) لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق، مجلد ١ / ١٩٦٩.

([٣]) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مصدر سابق، ٩٢٣.

([٤]) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، مصدر سابق، ٧٤٣ ـ ٧٤٤.

٤ـ اللفظ اصطلاحاً:

اللفظ في الاصطلاح هو: (مجموعة من الوحدات الصوتية المؤلفة بطريقة معينة؛ لكي ترمز إلى الأشياء الحسية، والأفكار المجردة، والصوت هو المادة للفظ)([1]).

٥ـ التشابك اللفظي اصطلاحاً:

يرى الباحث ان المراد بالتشابك اللفظي اصطلاحاً هو: **التداخل الحاصل ما بين الألفاظ، والذي يحتاج إلى أدلة وقرائن مميزة لحل ذلك التشابك، ويحتاج إلى تأمل وتدبر، وإلى خبرة وموهبة، وبالخصوص عند التعامل مع ألفاظ القرآن الكريم.**

هذا هو تعريف التشابك اللفظي بحسب ما يراه البحث، وبحسب ما توص إليه بعد معرفة التعريفات الأخرى للتشابك اللفظي التي عليها العديد من الملاحظات في المفردات، وفي الصياغة.

٦ـ مصطلحات مقاربة للتشابك اللفظي:

هناك مصطلحات أخرى مقاربة للتشابك اللفظي منها:

أ ـ التنوع اللفظي:

وهو: وجود أنواع مختلفة من الكلمة نفسها، يوجد بينها تباين في اللفظ، واشتراك في المعنى، وقد تساوق (الإبدال) في مراده([2]).

ب ـ التشابه اللفظي:

وهو: ما تشابه من الكلام المنطوق([3]).

نعم، قد يؤدي التشابه إلى وقوع اللبس، لذا فقد تم تقييده بـ(اللفظي) لإخراج غيره كالمتشابه المعنوي.

([1]) صور من جمالية اللفظ القرآني لدى سيد قطب على ضوء كتابه في ظلال القرآن، تكر أبو بكر، بحث، مجلة الدراسات اللغوية (مالم)، العدد ١٠، محرم ١٤٣٥هـ ـ ديسمبر ٢٠١٣م، ١١٨.

([2]) ظ: إعانة الحفّاظ للآيات المتشابهة الألفاظ، محمد طلحة بلال منيار، دار نور المكتبات، ط١، ١٤٢٤هـ، ٥٤.

([3]) ظ: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط٣٥، ١٤١٨هـ، ١٩٣.

أما في القرآن الكريم فيعرف التشابه اللفظي بأنه: (الآيات التي تكررت أو تشابهت في النظم الكريم لفظاً، وعرضت بأساليب متنوعة؛ إما من حيث اختلاف الحروف أو المفردة أو الجملة، وذلك بحسب ما يتطلبه المقام، ويقرره المقصد)([1]).

جـ ـ التناسب اللفظي:

وقيل عنه: (هو التوافق والانسجام بين مجموعة من الألفاظ، بحيث يكون كل لفظ منها موافقاً لغيره، من غير تنافر، ولا تضاد)([2]). وقد يسمى ـ كذلك ـ بالتشاكل اللفظي.

د ـ التناوب اللفظي:

وهو: الانتقال من قبل المتحدث بين اسلوبين أو لغتين أو أكثر، وذلك في سياق محادثة واحدة([3]).

المطلب الثاني: تنوع الألفاظ الدالة على القراءة والدرس في القرآن الكريم:

إن في القرآن الكريم ألفاظ متعددة قد دلت على القراءة والدرس، أو تؤدي معنى القراءة والدرس، أو هي من الطرائق الممهدة المهمة للقراءة والدرس، ومن هذه الألفاظ:

١ـ التفكر:

التفكر هو ترتيب الأمور المعلومة في هدف معرفة المجهول من خلالها، ولقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم كثيراً، وفي آيات متعددة، منها:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾([4]).

([1]) متشابه القرآن العظيم، أحمد بن جعفر المنادي، تحقيق: عبد الله الغنيمان، مكتبة لينة للنشر، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٩٩م، ٥٩.

([2]) بغية السائل من أوابد المسائل، وليد المهدي، دار الراف، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٩هـ، ١٤٣٠.

([3]) ظ: التناوب اللغوي، محمد جابر، موقع فيلادلفيا المعرفة: arknowledge.net

([4]) سورة آل عمران، الآية (١٩١).

وقال تعالى: وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾([1]).

فمن هذه الآيات القرآنية المباركة وغيرها يمكن ان نفهم بـ(ان العقل الإنساني يستطيع ان يقارن ويوازن، ويمكن ان يستخرج نتائج صحيحة بعد ان تتوفر المعطيات الحسية والعلمية... في مجالات التفكر التي سطرها القرآن... ومواد الأحكام الشرعية التي ألزم الله بها الإنسان... في مجال الحياة الدنيا للتبصر والاعتبار... فالقرآن الكريم يدعو إلى التفكر، ويهيئ الأرضية لمثل هذه الممارسة، ويرسم الطريق الناجح والمستمر إليها)([2]).

فالتفكر لفظ من الألفاظ الدالة على القراءة والدرس، وهي احدى الطرائق المهمة في عملية القراءة والدرس، والتعلم.

٢ـ التدبر:

التدبر هو: أخذ الشيء بعد الشيء، أي التأني في التعامل فعلاً وقولاً، ولقد وردت الآيات القرآنية بذلك، منها:

قال تعالى: أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾([3]).

وقال تعالى: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾([4]).

التدبر لفظ من الألفاظ الدالة ـ كذلك ـ على القراءة والدرس في القرآن الكريم، وهي مهمة جداً في مجال التعليم والتعلم، في مجالات المعرفة، ذلك ان التدبر فعل لا يختص بالدين، أو في الآيات القرآنية فقط، نعم هو يتأكد في الآيات القرآنية، لكن تدبر وتأمل المعلومات يوصل إلى فهمها، وإلى معرفتها حق المعرفة، وبالتالي الوصول إلى مرحلة الانتاج المعرفي، إذ يكفي بقاء الفرد مجتراً لمعارف غيره، فعليه من خلال التدبر والتأمل ان ينتج معرف جديدة ومفيدة.

([1]) سورة الجاثية، الآية (١٣).

([2]) نظرية العلم في القرآن، غالب حسن، دار الهادي للنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢١هـ، ١٨ ـ ١٩.

([3]) سورة المؤمنون، الآية (٦٨).

([4]) سورة صاد، الآية (٢٩).

٣ـ أولو الألباب:

أي أصحاب العقول، أو العقلاء، ولقد وردت الآيات القرآنية في الدلالة على ذلك منها:

قال تعالى: الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾([1]).

وقال تعالى: يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾([2]).

فإن أصحاب العقول هم من (يستمعون القول)، ومن تأتيهم (الحكمة)، وذلك عن طريق القراءة والدرس.

٤ـ العقل والتعقل:

العقل والتعقل قد ورد في آيات القرآن الكريم، والتي منها:

قال تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾([3]).

وقال تعالى: وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾([4]).

إذن فإن (التعقل عملية فكرية تشمل أو يمكن ان تشمل أهم مفردات الوجود، عملية فكرية آلتها الحس والعقل، ميدانها الكون والتاريخ والحياة والأخلاق، تبدأ من أمور معلومة واضحة للوصول إلى نتائج غائبة. وهو بهذا كالتفكر، ولكن كما يبدو أنه أعمق منه)([5]).

([1]) سورة الزمر، الآية (١٨).

([2]) سورة البقرة، الآية (٢٦٩).

([3]) سورة البقرة، الآية (١٦٤).

([4]) سورة الرعد، الآية (٤).

([5]) نظرية العلم، غالب حسن، مصدر سابق، ٢٣.

يقول الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي عن الإدراك العقلي ما نصه: (فإن ما يدركه العقل بمفرده وبقطع النظر عن التجربة الخارجية هو مجموعة من المفاهيم الكلية الخاصة، أي البديهيات الأولية، والشيء الذي نعلمه الآن هو ان العقل بأي صورة كان قد أدرك يتمتع بإدراك مجموعة من المفاهيم الكلية وكيفية العلاقات بينها، وهذه بذاتها لا تنفع شيئاً كثيراً في مجال تعيين مسيرة الحياة) [1].

٥ـ التفقه:

الفقه أو التفقه قد ورد في القرآن الكريم في آيات متعددة، منها:

قال تعالى: وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[2].

وقال تعالى: قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾[3].

وقال تعالى: وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾[4].(الفقه، أي الوعي المعمق بالكون والحياة، ومعاني الكلام، وهو ذو درجات... إن العقل هو أداة الفقه)[5].

٦ـ الحكمة:

القرآن الكريم هو كتاب الحكمة، نزل من عند الحكيم المطلق، وان آيات الحكمة وما يدل عليها قد ورد في القرآن الكريم، منها:

قال تعالى: يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[6].

([1]) معارف القرآن، اليزدي، تعريب: محمد عبد المنعم الخاقاني، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ، ج ٤ / ٥.

([2]) سورة التوبة، الآية (١٢٢).

([3]) سورة الأنعام، الآية (٦٥).

([4]) سورة الأنعام، الآية (٩٨).

([5]) نظرية العلم، غالب حسن، مصدر سابق، ٤٧.

([6]) سورة البقرة، الآية (٢٦٩).

وقال تعالى: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾([1]).

فالقرآن الكريم قد بين في آياته المباركة ركائز مهمة في طريق التعليم والتربية والتبليغ، وما شاكلها.

لقد ورد في تفسير الآية (٢٦٩) من سورة البقرة المباركة انه (أمر الله تعالى نبيه محمد ﷺ ان يدعو عباده المكلفين بالحكمة، وهو: ان يدعوهم إلى أفعالهم الحسنة التي لها مدخل في استحقاق المدح والثواب عليها)([2]).

وأي عمل أفضل مدحاً وثواباً من تعليم الأجيال، ورفع الجهل والجهالة والتجهيل عنهم، فذلك فيه رضا الله سبحانه وتعالى، وفائدة الشعوب والأوطان.

٧ـ الذكر والتذكر:

الآيات القرآنية قد أكدت على (الذكر) و(التذكر) وذلك في آيات متعددة، متوزعة في جميع القرآن الكريم، منها:

قال تعالى: وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾([3]).

وقال تعالى: وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾([4]).

وقال تعالى: فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾([5]).

فمن أهم الأساليب التي ينبغي للمعلم اعتمادها وتبنيها هو (التذكير)، وذلك لما له من أهمية في استعادة المخزون الموجود في (الذكريات)، وأخذ العبرة والفائدة منها، فـ(التذكير) من أحسن طرائق التربية والتعليم، وهي طريقة الأنبياء عليهم السلام، وطريقة الأئمة المعصومين عليهم السلام، وطريقة المصلحين.

([1]) سورة النحل، الآية (١٢٥).

([2]) التبيان، الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، دون طبعة، دون تاريخ، ج ١ / ١٧٨.

([3]) سورة البقرة، الآية (٢٦٩).

([4]) سورة البقرة، الآية (٢٢١).

([5]) سورة الأعلى، الآية (٩).

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((الذاكرُ في الغافلين، كالمقاتل في الفارين))([1]).

وطريقة التذكر أو التذكير من أهم طرائق التعليم، ومن الوسائل المفيدة جداً في استعادة المعلومات الغائبة، أو المشوشة، أو الصعبة من خلال ضرب أمثلة مقاربة لها، أو بتصويرها، وذلك عن طريق الكلمات، أو الأصوات، أو القصص، أو الألعاب، وما شاكل ذلك.

٨ـ بصائر:

الآيات القرآنية الدالة على (البصيرة) و(البصائر) كثيرة، منها:

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾([2]).

وقال تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾([3]).

وقال تعالى: ﴿هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾([4]).

البصيرة أو البصائر مهمة جداً، فـ(تأتي البصيرة كعلم قوي، ولا أفهم من هذا التعبير إلا مستوى راقي من المعرفة، متأتياً عن إدراك دقيق وبرهان ساطع... ويتصل بكل ذلك البصر الذي هو العلم بالشيء على نحوٍ جلي)([5]).

٩ـ النظر (ينظرون):

النظر ـ كذلك ـ قد ورد في آيات كثيرة في القرآن الكريم منها:

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾([6]).

([1]) مكارم الأخلاق، الطبرسي، مصدر سابق، ٣٧٣.

([2]) سورة الأنعام، الآية (١٠٤).

([3]) سورة الأعراف، الآية (٢٠٣).

([4]) سورة الجاثية، الآية (٢٠).

([5]) نظرية العلم، مصدر سابق، ٤٨.

([6]) سورة الغاشية، الآية (١٧).

وقال تعالى: قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾([1]).

وقال تعالى: انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ﴾([2]).

فالمراد من النظر في القرآن الكريم عموماً، وفي ما يخص آيات القراءة والدرس خصوصاً هو التأمل والفحص، فـ(النظام اللغوي لاستعمال هذه المادة في القرآن الكريم في غاية التنوع والتشكل، فقد جاء على سبيل الحث والمطالبة والتشجيع والاستفهام، مما يدلل على الأهمية الكبيرة التي يوليها كتاب الله للوظيفة المذكورة)([3]).

وآيات (النظر) في القرآن الكريم قد أكدت على أهمية ذلك سواءً بواسطة العين، أو بواسطة العقل.

١٠ـ الإصلاح:

الإصلاح وما يدور مداره قد ورد في آيات قرآنية كثيرة منها:

قال تعالى: إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾([4]).

الإصلاح وما يتعلق به من أساليب هو ديدن وعمل الأنبياء عليهم السلام، والمصلحين، والمبلغين، والمعلمين، وهو أرقى الأساليب في مجال التربية والتعليم، ومجال القراءة والدرس، والعلم والتعلم.

١١ـ السمع ـ البصر:

القرآن الكريم يتحدث عنهما بلحاظ معرفي، كونهما طريقين من طرائق العلم والمعرفة، وهما أهم اداتين في ذلك، ولقد وردت الآيات القرآنية في ذكرهما، ومنها:

قال تعالى: وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا﴾ ([5]).

([1]) سورة يونس، الآية (١٠١).

([2]) سورة الأنعام، الآية (٩٩).

([3]) نظرية العلم، مصدر سابق، ٢٣.

([4]) سورة هود، الآية (٨٨).

([5]) سورة الأنفال، الآية (٣١).

وقال تعالى: ومنهم من يستمع إليك﴾ ([1]).

نعم، يطلق (السمع) في آيات القرآن الكريم، والمراد منه (الفهم)، ذلك ان الفهم مستوى من مستويات العلم.

إن التأكيد على ثنائية (السمع ـ البصر) من الأمور المهمة في التعليم، وهذا ـ طبعاً ـ للأشخاص الأسوياء ممن لا يوجد أي خللٍ عندهم في السمع أو في البصر، كونهما الأساس في الفهم والتعلم.

١٢- يرون:

فإن (رأى): أصلٌ يدل على نظر وإبصار، وان له احوالاً حتى في القرآن الكريم، منها:

أ ـ الرؤية بالعين:

قال تعالى: فقالوا أرنا الله جهرةً﴾ ([2]).

ب ـ الرؤية الوهمية:

قال تعالى: فلما رآها تهتز كأنها جان﴾([3]).

جـ ـ الرؤية العاقلة:

قال تعالى: ما كذب الفؤاد ما رأى﴾([4]).

د ـ الرؤية بالدلائل والشهود:

قال تعالى: رب أرني أنظر إليك﴾([5]).

([1]) سورة محمد، الآية (١٦).

([2]) سورة النساء، الآية (١٥٣).

([3]) سورة النمل، الآية (١٠).

([4]) سورة النجم، الآية (١١).

([5]) سورة الأعراف، الآية (١٤٣).

هـ الرؤية بالمنام:

قال تعالى: انـي أرى في المنام أنـي أذبحك﴾([1]).

إن موضوع الرؤية واسعٌ جداً حتى في آيات القرآن الكريم، وهو يشمل كل مفردات ومناحي الحياة والكون والمخلوقات، لكن ما يهمنا فيه هو ما ذكرناه مما يتصل بالعلم والمعرفة، وما يفيد في القراءة والدرس.

المطلب الثالث: ألفاظ العلم واختصاصها:

ألفاظ القرآن هي ألفاظ حياة، وهي ألفاظ لكل البشرية، ولكل الناس، ولكل الخلق، لا تحده حدود، أو يقتصر على لغة، أو مجتمع، أو إطار معين.

قال تعالى: وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾([2]).

قال رسول الله ﷺ: ((عليكم بالقرآن، فاتخذوه إماماً وقائداً))([3]).

هنا سؤال مهم جداً هو: هل ألفاظ العلم مختصة بالدين أم بكافة العلوم؟

هناك تصور سائد عند جملة من البشر في إن الآيات القرآنية المباركة، والأحاديث الشريفة التي تكلمت عن العلم هي خاصة بالعلوم الدينية فقط.

فهذا تصور خاطئ، ليس له أي أساس من الصحة، والأدلة القرآنية والحديثية لا تساعد عليه، بل ان آيات القرآن الكريم قد سمّت علوماً كثيرة، ومنها علم الدين والفقه (التفقه بالدين)، لكن هناك الكثير غيرها، كعلم القراءة والدراسة، وعلم البيان، وعلم تأويل الأحلام وما يتعلق بها، وعلم الاقتصاد والتدبير، وعلم إدارة وقيادة الناس، وعلم صناعة الدروع والأسلحة، وعلم إدارة شؤون المجتمع، وعلم اللغات البشرية وغيرها، وعلم الحكمة، وما شاكل ذلك.

الشواهد القرآنية كثيرة في كون العلم في القرآن الكريم لا ينحصر بالعلوم الدينية فقط، ومن تلك الآيات:

([1]) سورة الصافات، الآية (١٠٢).

([2]) سورة الروم، الآية (٥٨).

([3]) كنز العمال، المتقي الهندي، مصدر سابق، ٤٠٢٩.

١ـ تعليم آدم عليه السلام:

فالله سبحانه وتعالى قد علم الإنسان الأول (آدم) أهم العلوم، وهو علم معرفة الأسماء، فهو الأساس في القراءة وتشكل الحروف وبناء الكلمات.

قال تعالى: وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾([1]).

هذا العلم هو العلم الأول، وهو من أجل واسمى العلوم، وهو ما يميز الإنسان عن الملائكة والجن، وباقي المخلوقات.

٢ـ تعليم الإنسان البيان وهو الكلام والنطق:

الله سبحانه وتعالى بعد ان علم الإنسان (علم الأسماء) كما في الآية (٣١) من سورة البقرة المباركة، فإنه قد علمه البيان.

قال تعالى: خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾([2]).

علم البيان هو علم معرفة إيصال الكلام، وحسن التعبير، ودقة اختيار الكلمات المناسبة للمواقف المناسبة.

٣ـ تأويل الأحلام علم من العلوم:

العلم لا يختص بالأشياء الموجودة ضمن نطاق الحياة المادية فقط، بل يتعداها إلى ما وراء ذلك، كعلم البرزخ، وعلم يوم القيامة، وهلم تأويل الأحلام (الرؤى).

قال تعالى: قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآَخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾([3]).

يتضح من الآية أن أساس تأويل الأحلام من العلوم الإلهية التي اختصت بالأنبياء عليهم السلام، ثم انتقلت إلى الصالحين، ثم إلى العارفين المدركين لها.

نعم، انها قد خرجت عن مسارها المرسوم لها، واصبحت تجارة، إلا ان ما يهمنا ـ هنا ـ ان القرآن الكريم عدها علماً من العلوم.

([1]) سورة البقرة، الآية (٣١).

([2]) سورة الرحمن، الآيات (٣ ـ ٤).

([3]) سورة يوسف، الآية (٣٧).

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (من الملفت هنا هو ان علم تعبير المنام من العلوم ذات الأهمية القليلة، وبالرغم من ذلك فإن قصة يوسف عليه السلام في القرآن تكشف بوضوح عن ان علمه بتعبير الرؤيا أدى إلى إنقاذه من سجن عزيز مصر، كما أدى إلى إنقاذ مصر من القحط والمجاعة، لأن العزيز رأى مناماً عجيباً عجز المفسرون عن تأويله، إلا ان أحد السجناء الذين قد أُطلق سراحهم وسبق ليوسف ان فسر رؤياه في السجن كان حاضراً في البلاط آنذاك فقال: إني أعرف من يفسر الرؤيا جيداً، وعندما فسر يوسف عليه السلام له ما رآه في منامه الذي يتعلق بالأمور الاقتصادية لسبع سنوات مقبلة، أطلق سراحه وتهيأت مقدمات حكومته من جهة، ومن جهة أخرى استطاع ان يضع برنامجاً دقيقاً لإنقاذ أهل مصر من المجاعة خلال سنوات القحط المقبلة)([1]).

٤ـ علم الاقتصاد والتدبير من العلوم المهمة:

فعلم الاقتصاد والتدبير من أهم العلوم التي ذكرها القرآن الكريم، وأكد عليها في آيات متعددة.

قال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾([2]).

فإن من أهم العلوم هو علم تدبير أمور الأفراد والمجتمعات اقتصادياً، وهو علم قد أكد عليه القرآن الكريم في الكثير من آياته المباركة، وذلك لأهميته الكبيرة جداً، فنجد في القرآن الكريم منظومات اقتصادية متكاملة من السور والآيات القرآنية، والتي تؤكد على عدم الإسراف، وعلى التدبير الحسن، وعلى المكاتبة ما بين الشركاء، وما شاكل ذلك من محللات ومحرمات في التجارة والبيع والشراء.

وعلم الاقتصاد والتدبير مهم جداً للفرد المتعلم، وللفرد المسلم في داخل المجتمع الإسلامي، فهو من أهم العلوم لبناء اقتصاد إسلامي متكامل وصحيح، يحفز ويبني القيم الاقتصادية الإسلامية.

٥ـ علم إدارة وقيادة الناس من العلوم المهمة:

إدارة وقيادة الناس من أهم العلوم التي أكد عليها القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾([1]).

([1]) نفحات القرآن، ناصر مكارم الشيرازي، مصدر سابق، ج ١ / ٥١.

([2]) سورة يوسف، الآية (٥٥).

إننا نجد اليوم علم الإدارة والقيادة من أهم العلوم في الكليات والجامعات كافة، إذ لا بدّ للدارس فيها ان يتعلم الإدارة والقيادة تمهيداً له في حال استلامه لمنصب إداري أو قيادي، فالمعلم قائد أولاً، وإداري ثانياً، ومربي ثالثاً، وهو من يصنع الأجيال، فهو صانع القادة، وبناء الأوطان.

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (والجدير بالذكر ان طالوت الذي كلف بمهمة قيادة بني اسرائيل لمقارعة الملك القوي والظالم، كان قروياً مجهولاً يعيش في إحدى القرى الساحلية، وكان يرعى مواشي أبيه ويزرع. لكنه كان ذا قلبٍ واعٍ، وجسمٍ قوي، ومعرفة دقيقة وعميقة بكثير مما يجري حوله، ولهذا عندما رآه النبي "اشموئيل" عينه قائداً على بني اسرائيل ولم يعبأ باعتراضاتهم على تعيينه، تلك الاعتراضات الناشئة عن معايير وهمية في انتخاب القائد كامتلاك الثروة والأموال الطائلة والسمعة والتقاليد الموروثة من الآباء، حيث كانوا يعترضون بأنه مع ما عندنا من أشخاص ذوي سمعة وثروة، وهم أجدر من طالوت لهذه المسؤولية، فكان يجيبهم النبي: إن هذا الاختيار هو انتخاب إلهي والكل يجب ان يسلم لأمره)([2]).

٦ـ صناعة الأسلحة والدروع علم من العلوم المهمة:

فصناعة الأسلحة والدروع وما يتعلق بها هو من العلوم التي ذكرها القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾([3]).

فالإنسان معرض للهجمات من قبل الحيوانات، أو من المؤثرات الخارجية، أو من إنسانٍ آخر، لذلك فلا بدّ له من درع يحميه، وسلاح يدافع به عن نفسه، فكانت صنعة السلاح والدروع علم من العلوم المهمة.

وذكرها هنا ضمن نطاق القيم، لكي تستخدم بالشكل الصحيح، ولا تخرج عن نطاق القيم، وعن نطاق الاستخدام الصحيح لها.

٧ـ علم سياسة شؤون المجتمع من العلوم المهمة:

([1]) سورة البقرة، الآية (٢٤٧).

([2]) نفحات القرآن، مصدر سابق، ج ١ / ٥٣.

([3]) سورة الأنبياء، الآية (٨٠).

فعلم سياسة أو (سوس) شؤون الناس افراداً وجماعات من أهم العلوم التي ذكرها القرآن الكريم.

قال تعالى: فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾([1]).

علم سياسة شؤون الناس له أهمية كبيرة، حتى عُد من العلوم الإلهية التي يعطيها الله سبحانه وتعالى لمن ارتضى من عباده، ولمن هو مؤهل لذلك، وهي درجة وعلم خاص قد يعطى لأشخاص قد اصطفاهم الله سبحانه وتعالى من غير الأنبياء والمرسلين، ودليل ذلك قصة الخضر عليه السلام، مع نبي الله موسى عليه السلام، مع ان موسى عليه السلام من أنبياء أولي العزم، وصاحب رسالة ودين من الأديان الكبيرة المعروفة، وما ذلك إلا دلالة على ان علم سياسة شؤون المجتمع من العلوم المقدسة عند الله تعالى.

٨ـ معرفة منطق الطير ولغة أو اشارات الحيوانات علم من العلوم:

معرفة لغات الطيور والحيوانات من أهم العلوم التي ذكرها القرآن الكريم، وقد عدها البعض فناً من الفنون المهمة التي أكد عليها القرآن الكريم.

قال تعالى: وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾([2]).

نعم، فإن (لغة الحيوانات: هي فن من فنون الخالق تعالى، إذ جعل لكل كائن لغته الخاصة به، وليس بالضرورة ان تكون بالشكل المعتاد للبشر، أو مما يفهمه البشر. من الملاحظ ان غالبية الحيوانات لا غنى لها عن الصوت، فهو يكاد يكون قاسماً مشتركاً بينها جميعاً، وتختلف درجة هذا الصوت في الحيوانات ـ قوةً وضعفاً وشدةً ورخاوةً ـ تبعاً لحالته)([3]).

٩ـ الحكمة علم من العلوم المهمة:

([1]) سورة الكهف، الآية (٦٥).

([2]) سورة النمل، الآية (١٦).

([3]) علم الإنسان القرآني: الانثروبولوجيا القرآنية، الشيخ ليث العتابي، دار القارئ، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٨م، ٨٨.

القرآن الكريم قد أكد على ان الحكمة علم من العلوم المهمة.

قال تعالى: فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾([1]).

فمن مواصفات القائد، والمصلح، والمعلم الحقيقي هي: الحكمة، فهي علم مهم من العلوم التي لا توجد عند الكل، ولا يحصل عليها الكل، بل هي (موهبة) من الله تعالى، تقذف في قلوب من ارتضى تعالى من عباده.

إن الأحاديث التي وردت في الحكمة كثيرة جداً، قد أكدت عليها وعلى أهميتها، وعلى فوائدها للفرد والمجتمع.

١٠ـ الدين علم من العلوم القرآنية المتعددة:

الدين، أو علم الكتاب، من أهم العلوم التي ذكرها القرآن الكريم.

قال تعالى: إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾([2]).

فعلم (الكتاب) و(الحكمة) من أهم العلوم الإلهية أولاً، والتي يجب تعلمها على الذين يدرسون العلوم الدينية ثانياً.

لذلك كان من اللازم على الإنسان المتدين تعلم علوم الدين، وعلوم الكتب المقدسة، وما يتعلق بها من عبادات وتعاملات؛ لأنها الأساس في العلوم الدينية، نظرياً وتطبيقياً.

قال رسول الله ﷺ: ((يا أيها الناس؛ إن دين الله يُسر))([3]).

١١ـ علم القراءة والتعلم:

علم القراءة من أهم العلوم التي أمد عليها القرآن الكريم.

([1]) سورة البقرة، الآية (٢٥١).

([2]) سورة المائدة، الآية (١١٠).

([3]) كنز العمال، المتقي الهندي، مصدر سابق، ٥٤١٨.

قال تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾([1]).

علم القراءة مهم جداً في تحصيل العلوم التي كانت غائبة عن الإنسان قبل القراءة، والدليل قوله تعالى: **(علم الإنسان ما لم يعلم)**، أي: ما لم يعلمه لولا القراءة.

هناك علاقة وثيقة جداً ما بين (العلم) و(العمل)، فإن (العمل شيء مهم ومطلوب، خصوصاً ان فائدته لا تعود على العامل وحده، بل على المجتمع بأسره. ومن أهم أساسيات العمل هو اختيار المهنة، أو العمل بمهنة مفيدة تضمن المعيشة وتدر الأرباح، وتخدم المجتمع)([2]).

لذلك فقد أكد القرآن الكريم على أهمية (العلم) و(العمل)، ولقد ذكر علوماً كثيرة مهمة، وكذلك قد ذكر اعمالاً كثيرة قد وردت في آيات القرآن الكريم.

([1]) سورة العلق، الآيات (١ ـ ٥).

([2]) علم الإنسان القرآني، الشيخ ليث العتابي، مصدر سابق، ١٨٨.

المبحث الثاني: مديات القراءة والدرس في التوجيه (الإسلامي/القرآني) وعلاقته بالحضارة الإنسانية:

المطلب الأول: التوجيه والحث الإسلامي على العلم والقراءة والدرس:

المنظومة الإسلامية متمثلة بالقرآن والسنة عموماً، وبالأحاديث خصوصاً قد حثت على العلم والقراءة والدرس، دلت على ذلك آيات القرآن الكريم من حيث العموم الموجود فيها.

قال تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾([1]).

وقال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ([2]).

كما دلت الأحاديث المباركة للنبي الأكرم محمد ﷺ، وكذلك أحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام على التوجيه والحث على أهمية العلم والقراءة والدرس.

أولاً: في مجال الحث على العلم:

الإسلام قد حث على العلم، وجاء ذلك في أحاديث كثيرة.

قال الرسول الأكرم محمد ﷺ: ((أطلبوا العلم ولو بالصين، فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم))([3]).

الرسول الأكرم ﷺ قد حث على طلب العلم حتى لو كان في الصين من حيث البعد، وحتى لو كان في الصين من حيث الاختلاف الديني، والاختلاف الثقافي، ذلك ان طلب العلم فريضة، وقد حث القرآن الكريم والأحاديث المباركة عليه.

فقد قال ﷺ: ((طلب العلم فريضة على كل مسلم، ألا إن الله يحب بغاة العلم))([4]).

([1]) سورة القلم، الآية (١).

([2]) سورة العلق، الآيات (١ ـ ٥).

([3]) بحار الأنور، محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين والأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٨م، ج ١ / ١٨٠.

([4]) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، الكافي، منشورات الفجر، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٧م، ج ١ / ٣٠.

إذ قد جعل النبي الأكرم محمد ﷺ العلم فريضة من الفرائض، أي واجب من الواجبات (الكفائية) التي على المسلم ان يلتزم بها، أو التي يتحقق فيها كمال إسلامه وتمام إيمانه، فهي تزيد من قيمة الإنسان وتجعله محترماً في مجتمعه، مهاباً بين اقرانه، واثقاً بنفسه.

قال رسول الله ﷺ: ((أكثر الناس قيمةً أكثرهم علماً، وأقل الناس قيمةً أقلهم علماً))([1]).

فالعلم يعطي القيمة الكبرى والعليا للناس، ويجعلهم افراداً محترمين في مجتمعاتهم، لذا فإن المعلم محترم مقدر في الإسلام، وقد وردت أحاديث كثيرة في مكانته، وفي احترامه وتقديره.

والعلم فضيلة من الفضائل التي لا تدانيها أي فضيلة أخرى، وقد جاءت الأحاديث في بيان ذلك.

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ((رأس الفضائل العلم))([2]).

العلم أسمى وأرقى الفضائل، وهو يقود الإنسان إلى الفضائل الأخرى، وهو يقود إلى الخير والصلاح، وهو يقوده إلى النجاة وإلى تحقيق رضا الله سبحانه وتعالى.

كما وقد جاءت الأحاديث في بيان فضل العالم حتى على العابد، فالعالم يفيد غيره، والعابد يفيد نفسه.

قال الإمام الباقر عليه السلام: ((عالمٌ يُنتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد))([3]).

فالعالم يفيد غيره، ويفيد الأجيال، ويخرج أجيالاً تسير على خطاه، وهكذا.

أما العابد فلا يفيد إلا نفسه، وهو منزوٍ وبعيد عن المجتمع، ومشغول بالعبادة لنفسه فقط.

إن الإسلام قد حارب الرهبانية المتطرفة، وأكد على الاعتدال في كل شيء حتى في العبادة، وأكد على ان تكون العبادة عن علم ومعرفة.

ثانياً: فضل طالب العلم:

([1]) أمالي الصدوق، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، مصدر سابق، ٤.

([2]) غرر الحكم، الآمدي، مصدر سابق، ٥٢٣٤.

([3]) الاختصاص، الشيخ المفيد، مصدر سابق، ٢٤٥.

لطالب العلم فضل كبير وكثيراً قد أكدت عليه الأحاديث الشريفة، منها:

قال رسول الله ﷺ: ((طالبُ العلم بين الجهال كالحي بين الأموات))([1]).

فهذا التوصيف الجميل من قبل النبي الأكرم ﷺ جعل من طالب العلم كالحي ما بين الأموات، وذلك لأنه الأعرف بالحياة الحقيقية، وهو من يبعث الحياة لغيره، وهو من يحيي المجتمعات.

كما وقد بينت الأحاديث المباركة المكانة العليا لطالب العلم في الآخرة.

قال رسول الله ﷺ: ((إذا جاء الموت لطالب العلم وهو على هذه الحالة مات وهو شهيد))([2]).

هذا الحديث قد بين مكانة طالب العلم الأخروية، وانه من الشهداء، وانه لو مات وهو يطلب العلم فهو شهيد لا يختلف عن الشهداء، علماً ان الشهادة منزلة عظيمة لا ينالها أي شخص، بل هي اصطفاء إلهي من الله سبحانه وتعالى.

بل ان هناك أحاديث اعطت لطالب العلم أجر المجاهد في سبيل الله تعالى.

قال رسول الله ﷺ: ((من طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع))([3]).

وهذا الحديث مع الأحاديث التي قبله تعطينا صورة واضحة عن طالب العلم، فهو في الحياة حاله حال المجاهد الحقيقي في سبيل الله تعالى، وان مات وهو يطلب العلم فهو شهيد في سبيل الله تعالى.

ففضل ومكانة طالب العلم كبيرة جداً لا يدركها إلا من عرفه الله تعالى حقائق الأمور، وبصره بالدين، وباتباع الدين الإسلامي، والقرآن الكريم، والنبي الأكرم ﷺ، والأئمة المعصومين عليهم السلام.

ثالثاً: فضل المُعلم:

فالأحاديث المباركة قد أكدت على فضل المعلم ومكانته.

([1]) كنز العمال، المتقي الهندي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٠هـ، ٢٨٧٢٦.

([2]) الترغيب والترهيب، المنذري، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٣٣٩هـ، ج ١ / ٩٧.

([3]) منية المريد، الشهيد الثاني زين الدين العاملي، دار انصاريان، قم ـ إيران، ط١، ١٤١٥هـ، ١٠٠.

ورد في كتاب تنبيه الخواطر: ((أوحى الله تعالى إلى موسى: يا موسى، تَعلم الخير وعلمه الناس؛ فإني مُنورٌ لمُعلمي الخير ومتعلميه قبورهم؛ حتى لا يستوحشوا بمكانهم))([1]).

فإن المعلم عموماً، ومعلم الخير بشكلٍ خاص، ومعلم الناس العلم المزيح للجهل بشكلٍ أخص؛ هو المرضي عند الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة.

ولقد وردت الأحاديث الكثيرة في فضل المعلم، ومكانته في المنظومة الإسلامية والحديثية.

قال رسول الله ﷺ: ((ألا أخبركم عن الأجود الأجود؟ الله الأجود الأجود، وأنا أجود ولد آدم، وأجودكم من بعدي رجلٌ عُلِمَ علماً فنشر علمه، يُبعث يوم القيامة أمة وحده، ورجلٌ جاد بنفسه لله عز وجل حتى يُقتل))([2]).

المعلم الناشر للعلم والمعرفة، والمحارب للجهل والتجهيل هو أفضل ولد آدم بعد النبي الأكرم محمد ﷺ وأهل بيته المعصومين عليهم السلام.

رابعاً: في فضل الكتاب:

المنظومة الحديثية الإسلامية حافلة بالأحاديث المباركة المبينة لفضل الكتاب ومكانته.

قال رسول الله ﷺ: ((قيدوا العلم بالكِتاب))([3]).

فإن العلم ان لم يقيد بـ(الكتاب) فإنه لن يبقى، بل سيضيع وينتهي، ولن يبقى منه شيء، فتقييده هو للحفاظ عليه، وللاهتمام به، وبالتالي إخراجه ساعة الحاجة له، فالعلم المقيد بالكتاب هو الكنز الحقيقي، الكنز الذي يعادل، بل افضل من جميع الكنوز الزائلة.

للكتب مكانة كبيرة عند من يعرفها، وعند من يعطيها حقها، وعند من يثمنها.

قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ((الكُتبُ بساتين العلماء))([1]).

([1]) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، مجموعة ورام، ورام بن عيسى (٦٠٥هـ)، قسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء ـ العراق، ط١، ١٤٣٤هـ، ج ٢ / ٢١٢.

([2]) الترغيب والترهيب، المنذري، مصدر سابق، ج ١ / ١١٩.

([3]) كنز العمال، المتقي الهندي، مصدر سابق، ٢٩٣٣٢.

فكما ان البساتين والجنان الخضراء متعة للناظر، فإن الكتب هي أكبر المتع للعلماء.

وتاريخياً (ترجع معرفة المسلمين بمواد الكتابة واستخدامهم لها في شبه الجزيرة العربية إلى ما قبل الإسلام. فقد عُرف عن عرب الجاهلية، وخاصة في مكة وما حولها، استخدامهم لوسائط كتابية متعددة، مثل الرقوق المصنوعة من جلود الحيوانات، والألواح الحجرية، والجريد أو سعف النخيل، وأوراق البردي، ذلك بجانب استعمالهم لعظام الحيوان وخاصة الجمال والأغنام)([٢]).

كما ويشير ابن النديم إلى معرفة عرب الجاهلية بالكتابة والخط، ومنه الخط الحبشي وغيره، وكذلك تمكنهم من التدوين بخطوط قبائل جنوب الجزيرة من سبأ وحمير([٣]).

هذا وغيره دليل على فضل الكتاب في المنظومة الإسلامية بدءً بالقرآن الكريم، والأحاديث المباركة، وصولاً إلى اهتمام المسلمين بذلك.

قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ((رسولك ترجمان عقلك، وكتابك أبلغ ما ينطق عنك))([٤]).

لذلك فمن اللازم ان يكون الكتاب معبراً تعبيراً حقيقياً عن صاحبه، وعما في داخله من أفكار وعلوم ومعارف.

يقول جون ديوي عن أهمية الكتاب: (إن جميع ما يرثه البشر من المواريث لا يستفاد منه بصورة مباشرة من قبل الأفراد، وبالتالي يجب ان يُعلم قسم مهم وضروري منه إلى الأفراد بشكلٍ من الأشكال، وهنا نتبين أهمية وضرورة التعلم والتربية الإلزاميين، والدروس المكتوبة، أو المقروءة، ولا يمكن نقل الإرث الحضاري الثمين دون استخدام اللغة التي يعتبر الخط صورة عنها، ولهذا السبب فإن التعليم والتربية في المجتمعات المتحضرة يرتبطان بالكتاب)([٥]).

خامساً: فضل الكتابة:

([١]) غرر الحكم، الآمدي، مصدر سابق، ٩٩١.

([٢]) مكتبات المساجد دراسة تاريخية، مكي السباعي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ، ٦٩.

([٣]) ظ: الفهرست، ابن النديم، مصدر سابق، ٨.

([٤]) نهج البلاغة، الشريف الرضي، مصدر سابق، الحكمة ١.

([٥]) مقدمة على فلسفة التربية والتعليم، جون ديوي، مصدر سابق ٤٤.

الأحاديث المباركة قد حثت على فضل الكتابة، منها:

قال رسول الله ﷺ: ((اكتبوا العلم قبل ذهاب العلماء، إنما ذهاب العلم بموت العلماء))([1]).

في تأكيد منه ﷺ على أهمية الكتابة، وما بها من فوائد مادية ومعنوية، تلك الفائدة التي انتجت مهنة (الوراقين) في الإسلام.

فـ(لقد كان لهؤلاء الوراقين وحوانيتهم تأثير فكري كبير على المجتمعات التي وجدوا فيها، وكان لهم أثر فعال في تطوير المجتمعات الإسلامية، وتنمية قدراتها الأدبية والعلمية، خلال تلك الحقبة الزمنية التي وصفت بأنها العصر الذهبي للإسلام. كما يمكن الحكم على قيمة الخدمات التي أدتها مهنة الوراقة لنظام التعليم الإسلامي، وفنون الكتابة، وتقديرها حق قدرها، وذلك إذا ما رصدنا حركة تأليف الكتب ونشرها، وحجم تداولها في المجتمعات التي كانت تقدم فيها هذه الخدمة)([2]).

قال الإمام الصادق عليه السلام: ((اكتبوا؛ فإنكم لا تحفظون حتى تكتبوا))([3]).

فالكتاب هو خازن للمعرفة، وهو خزين العلم، وهو كنز العلماء، ولا يمكن ان يحفظ هذه الكنوز إلا عن طريق (الكتابة) التي هي الأداة المثلى والوحيدة في ذلك.

والكتابة هي من يحفظ العلوم حتى في الذاكرة، إذ ان الذاكرة أو (القلب) يتكل عليها.

قال الإمام الصادق عليه السلام: ((القلب يتكلُ على الكتابة))([4]).

لذلك يقال بأن (الكتابة نعمة مَنَ بها الله تعالى على بني الإنسان، ولولاها لما حصل تواصل بين الأباعد ولا بين الأجيال المتعاقبة، ولتقطعت السبل، ولأعاد الإنسان دورات الحياة في كل مرة ليقع في أخطاء متكررة قد وقع فيها قبله العشرات. فالكتابة تجربة مكتسبة تضيف للإنسان تجارب أخرى لم يعشها)([5]).

([1]) كنز العمال، المتقي الهندي، مصدر سابق، ٢٨٧٣٣.

([2]) مكتبات المساجد، السباعي، مصدر سابق، ٧٩.

([3]) الكافي، الكليني، مصدر سابق، ج ١ / ٥٢.

([4]) الكافي، الكليني، مصدر سابق، ج ١ / ٥٣.

([5]) ثلاثية المعرفة، الشيخ ليث العتابي، مصدر سابق، ٣٥.

الكتابة مهمة جداً، واهميتها تتوضح من التأكيد السماوي عليها، وتأكيد الأنبياء والمرسلين عليهم السلام عليها.

ففي حديث للإمام الصادق عليه السلام للمفضل بن عمر الجعفي يبين فيه عليه السلام أهمية الكتابة بقوله: (وكذلك الكتابة، التي بها تقيد أخبار الماضين للباقين، وأخبار الباقين للآتين، وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها، وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحسابات، ولولاها لانقطعت أخبار بعض الأزمنة عن بعض، وأخبار الغائبين عن أوطانهم، ودرست العلوم، وضاعت الآداب، وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في أمورهم ومعاملاتهم، وما يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم، وما روي لهم مما لا يسعهم جهله)([1]).

المطلب الثاني: القراءة والدرس ودورهما في الحضارة (الإنسانية/ الإسلامية):

للقراءة والدرس دور مهم ورئيس في الحضارة الإنسانية عموماً، وفي الحضارة الإسلامية خصوصاً، وهذا الدور يتضح من خلال الاهتمام بهما، واقامة أماكن يتعلم بها الأفراد القراءة والدرس سميت بأماكن العلم، أو المدارس، أو المجامع، أو الجامعات.

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (العلماء الذين بحثوا تاريخ الحضارة الإسلامية وكتبوا كتباً في ذلك، ومنهم علماء الغرب خصصوا فصلاً مهماً من تاريخ الحضارة الإسلامية للنهضة العلمية عند المسلمين، وعددوا فروع علوم مختلفة انتشرت واتخذت رونقاً خاصاً عندهم مع ذكر رواد تلك العلوم المسلمين فرداً فرداً)([2]).

فإن للإسلام، وللعلوم الإسلامية، وللعلماء المسلمين دوراً وفضلاً على الحضارات التي جاءت بعد الإسلام، إذ كان لهم الدور الكبير في إخراج تلك الأمم من الظلام (العصور المظلمة) إلى النور (عصور التنوير)، فكانوا بواسطة تلك العلوم أمم محترمة ذات شأن وتأثير واضح ومستمر.

يقول المستشرق الألماني (ماكس مايرهوف)([3]): (لقد كانت علوم العرب المسلمين كالقمر المنير الذي يضيء ظلمات ليالي أوربا القرون الوسطى، ولما ظهرت العلوم

([1]) بحار الأنوار، المجلسي، مصدر سابق، ج ٣ / ٨٢.

([2]) نفحات القرآن، الشيرازي، مصدر سابق، ج ١٠ / ٢٣٧.

([3]) ماكس مايرهوف: مستشرق ألماني: (١٨٧٤-١٩٤٥م).

الجديدة خفت نور ذلك القمر، ولكن كان ذلك القمر هو الذي هدانا في تلك الليالي الظلماء حتى وصلنا إلى هذا المستوى، ويمكننا القول بأن نور القمر لا زال معنا)([1]).

لقد كان للمسلمين، وللعلوم الإسلامية السبق في انارة الدرب للمجتمعات وللحضارات، وكان ولازال هذا النور باقي وان تنكر له من تنكر، إلا ان الشمس لا يحجبها الغربال أبداً.

نعم، فـ(إن التطور الكبير والملفت الذي شهده الغرب والمتمثل بعصر النهضة، كان بفضل العلوم والنظريات والكتب التي ترجمها علماء الغرب من اللغة العربية، ومن الحضارة الإسلامية. ويمكن التأكد من ذلك بمجرد مراجعة الكتب التي كتبت وتخصصت في مثل هذه البحوث)([2]).

ولقد أكد جملة من المستشرقين المنصفين على هذه الحقيقة التي لا جدال فيها، وفي كتابات مشهورة لهم.

فتقول المستشرقة الألمانية (زيغريد هونكة)([3]): (إن ذكر زمن منصرم كان العرب فيه رواد شعوب الأرض في الحضارة والتجارة، ومانحي بلاد الغرب الفقيرة من بضائعهم التجارية وكنوزهم الفكرية، لا تزال تعيش بين الأضلاع في أشكال عديدة)([4]).

فإن انكر البعض ذلك، أو اهملوه، أو ادعوا خلافه، فذلك لا يستقيم، ولا يساعد عليه الواقع، ولا تدعمه الأدلة التاريخية والآثارية.

فلقد كان للحضارة العربية الإسلامية الفضل الكبير على بزوغ عصر النهضة في أوربا.

([1]) تراث الإسلام، جوزيف شاخت وآخرون، مصدر سابق،١٣٤.

([2]) الأدوات المعرفية، ليث العتابي، مصدر سابق، ١٢٤.

([3]) زيغريد هونكة: مستشرقة ألمانية: (١٩١٣ـ١٩٩٩م).

([4]) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكة، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ط٨، ١٩٩٣م، ٥١.

وفي هذا الشأن يقول (مايكل هاميلتون مورجان)([1]): (إن الحضارة الإسلامية ألقت ببذور عصر النهضة الأوربي وساهمت في ظهور الكثير من جوانب الحضارة الغربية والعالمية الحديثة)([2]).

نعم، و(على الرغم من اعتراف بعض مفكري أوربا بتأثير التراث الحضاري العربي الإسلامي على الحضارة الغربية، إلا انه ساد اتجاه ناكر ومتنكر لهذه الحقيقة التاريخية من خلال السعي نحو طمسها أو التقليل من شأنها، وقد دعم هذا الاتجاه حركة الاستعمار الأوربي للعالمين العربي والإسلامي)([3]).

كل ما تقدم من أحاديث وكلام جاء به البحث هو للتأكيد على أهمية القراءة والدرس في الحضارة (الإنسانية/ الإسلامية)، ومدى اهتمام الإسلام بذلك، والتأكيد عليه، والحث على طلبه، والسعي له.

المبحث الثالث: اهتمام القرآن بالقراءة والدرس من خلال الاهتمام بالعلم والمعلم:

المطلب الأول: المعلم في القرآن الكريم:

([1]) مايكل هاميلتون مورجان: مستشرق أمريكي: (١٩٥١-....م).

([2]) تاريخ ضائع: التراث الخالد لعلماء الإسلام ومفكريه وفنانيه، مايكل هاميلتون مورجان، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠٠٧م، ١٤.

([3]) الأدوات المعرفية، ليث العتابي، مصدر سابق، ١٢٨ ـ ١٢٩.

إن القرآن الكريم هو الكتاب التعليمي الأول (إسلامياً)، إذ لم يكن هناك أي كتاب غيره عند المسلمين، وكان كل مسلم يتعلم منه القراءة والكتابة، مباشرةً، أو لكون آياته المباركة تحث على ذلك وتؤكد عليه.

قال تعالى: وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾([1]).

القرآن الكريم، كتاب الهداية عموماً، والهداية إلى العلم والنور بشكلٍ خاص، ويبعد عن الناس كل أنواع الجهل والعمى والباطل.

قال تعالى: وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾([2]).

القرآن الكريم ككتاب ودستور إسلامي قد أكد على أهمية العلم، وحث عليه، وبين أهميته للفرد والمجتمع.

وعن أهمية العلوم قرآنياً وإسلامياً يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (إن تعلم وتعليم كل العلوم التي يرتبط بها قوام المجتمع البشري مادياً ومعنوياً لازم وضروري، سواء كان واجباً عينياً أو كفائياً، ولهذا فإن أي مسلم لا يحق له أن ينفصل عن التطورات العلمية الحديثة... ولا شك في أن المسلمين لو قصروا في هذا المجال وصاروا سبباً في تأخر الدول الإسلامية عن المجتمع البشري، فإنهم سيكونون مسئولين أمام الله)([3]).

هذا إسلامياً، ومن حيث التكليف الشرعي لكل المسلمين، أما قرآنياً فإن للمعلم مكانة كبيرة وعظيمة في القرآن الكريم، وهذه المكانة هي مكانة إلهية.

إننا حين نتأمل في حقيقة المعلم في نصوص القرآن الكريم يزيدنا ذلك فخراً واعتزازاً، خصوصاً أن المعلم الأول في القرآن هو الله سبحانه وتعالى، سواء قبل الإسلام، أم في الإسلام.

قال تعالى: وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾([4]).

([1]) سورة الإسراء، الآية (١٠٦).

([2]) سورة فصلت، الآيات (٤١ ـ ٤٢).

([3]) نفحات القرآن، ناصر مكارم الشيرازي، مصدر سابق، ج ١٠ / ٢٣٩.

([4]) سورة البقرة، الآية (٣١).

المعلم الأول للإنسان الأول (آدم) هو الله سبحانه وتعالى، الذي فضل هذا المخلوق بالعلم والمعرفة، والقراءة والدرس، والكتابة، والتعليم والتعلم، ودليل ذلك موجود في آيات القرآن الكريم.

قال تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾([1]).

فتكرار كلمة (اقرأ) لهو دلالة على أهميتها، ومركزيتها، وبالخصوص في الكتب السماوية من جانب، وفي الرسالة الإسلامية (القرآنية) من جانب ثاني، وعلى لسان خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ من جانب ثالث.

نعم، فلقد (كررت كلمة القراءة عدة مرات؛ ليكون التكرار قانونياً يحكم الربط بين المؤثر والاستجابة، وليزداد الشوق والتشويق حتى يبلغ أقصى درجات التلهف إلى ما تتوق إليه النفس المتعطشة إلى الاطلاع على دروب المعرفة الإلهية)([2]).

فكانت كلمة (اقرأ) هي شعار الدين الإسلامي، وهي شعار الفرد المسلم، وهي شعار كل من يؤمن بالله تعالى، ممن يملك الإيمان الحقيقي، والتقوى الحقيقية.

قال تعالى: وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾([3]).

والتقوى أهم الطرائق لتهذيب الإنسان، فهي تهذب العقل، وتهذب الروح، وتهذب النفس، وبذلك هي تهيئ الإنسان للعلم الصالح الصحيح الذي يعطي الخير للفرد والمجتمع.

نعم، (يحدد القرآن طريقة الله تعالى في تعليم خلقه بأن منحهم الاستعداد الفطري وتعهدهم عن طريق الوحي بالكتب أو عن طريق الاتصال الروحي والعقلي وان لم يشعروا بهذا الاتصال)([1]).

([1]) سورة العلق، الآيات (١ -٥).

([2]) القرآن أصل التربية وعلم النفس، أحمد جهان الفورتيه، دار الملتقى للنشر، ليماسول - قبرص، ط١، ١٩٩٤م، ١٣.

([3]) سورة البقرة، الآية (٢٨٢).

أما المعلم الثاني في آيات القرآن الكريم فهو النبي الأكرم محمد ﷺ، وهذا بنص القرآن الكريم.

قال تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾([٢]).

على ان التعليم يكون بشروط منها ان يكون ذلك التعليم بلسان يفهمونه ويعرفونه، وبلغة يفهمونها ويعرفونها.

فكانت الرسالات السماوية تأتي على لسان (لغات) الأنبياء والمرسلين عليهم السلام وشعوبهم.

قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾([٣]).

فشرط التعليم هو ان يكون بلسان مفهوم ومعلوم، وهو لسان القوم الذين أرسل إليهم، والمسمى قرآنياً (لسان قومه)، أي لغتهم المعروفة.

يقول الشيخ الطبرسي: (أي لم يرسل فيما مضى من الأزمان رسولاً إلا بلغة قومه حتى إذا بين لهم فهموا عنه، ولا يحتاجون إلى من يترجمه عنه)([٤]).

وحتى لا يحتجّون بعدم الفهم، وعدم إيصال المطلوب لهم، وعدم فهمهم للمراد، وما شاكل ذلك من حجج وتحججات باطلة.

المطلب الثاني: صفات المعلم في القرآن الكريم:

إن القرآن قد ذكر صفات المعلم القرآنية، والتي على المسلم أن يقتدي بها في طريق التعليم والتعلم، ومن هذه الصفات:

([١]) التعليم والتعلم في القرآن الكريم، حامد عبده الهوال، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت ـ الكويت، ط١، ١٤٠١هـ، ٣٤.

([٢]) سورة الجمعة، الآية (٢).

([٣]) سورة إبراهيم، الآية (٤).

([٤]) مجمع البيان، الطبرسي، مصدر سابق، مجلد ٣ / ٤٦٦.

١ـ الخلق العظيم:

المعلم الأول في الإسلام هو النبي محمد ﷺ، ولقد وصفه الله تعالى في القرآن الكريم بصاحب الخلق العظيم.

قال تعالى: وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾([1]).

يقول الشيخ الطبرسي: (وحقيقة الخلق ما يأخذ به الإنسان من الآداب، وإنما سمي خُلقاً لأنه يصير كالخِلقة فيه، فأما ما طبع عليه من الآداب فإنه الخِيم، فالخلق: هو الطبع المكتسب، والخِيم: هو الطبع الغريزي. وقيل الخلق العظيم: الصبر على الحق، وسعة البذل، وتدبير الأمور على مقتضى العقل، بالصلاح والرفق والمداراة)([2]).

وقال رسول الله ﷺ: ((إن أحبكم إلي وأقربكم مني يوم القيامة مجلساً أحسنكم خُلقاً، وأشدكم تواضعاً))([3]).

لذلك واقتداءً وتأسياً بالنبي الأكرم محمد ﷺ (المعلم الأول) في الإسلام، فإن على المعلم (المسلم) ان يتصف بالأخلاق، فهو يعطي الأخلاق قبل العلم، وكل علم لا توجد فيه أخلاق فهو علم فارغ، علم لا يحمل القيم الأخلاقية في طياته، لذا فإن على المعلم ان يأخذ القيم من (المنظومة القيمية) الموجودة في آيات القرآن الكريم، والموضحة تفسيرياً وعملياً من قبل النبي الأكرم محمد ﷺ، وأهل بيته المعصومين عليهم السلام.

فأسس (المباني القيمية) للتربية والتعليم موجودة في آيات القرآن الكريم عموماً، وفي آيات القراءة والدرس بشكلٍ خاص، وان البحث قد استخرجها، ووضحها، وعضدها بالأحاديث والتفاسير، وبين المراد بها، كل ذلك في وضع اسس نظرية في (المباني القيمية) لتكون منهجاً في التربية والتعليم يفيد الأفراد والمجتمع، ويفيد الحكومة، والوزارات ذات العلاقة.

٢ـ الرأفة والرحمة:

من صفات المعلم في القرآن الكريم (الرأفة والرحمة)، فهما صفتان مهمتان، قد أكد عليهما القرآن الكريم.

([1]) سورة القلم، الآية (٤).

([2]) مجمع البيان، الطبرسي، مصدر سابق، ج١٠ / ٧٢ـ٧٣.

([3]) البحار، المجلسي، مصدر سابق، ج٧١ / ٣٨٥.

قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾([1]).

فمن صفات المعلم للناس أجمعين، ألا وهو النبي الأكرم محمد ﷺ انه جاء رحمة للعالمين.

ولقد وصفه القرآن الكريم بصفات تدل على ذلك، وتبين انه خير وبركة، وانه رأفة ورحمة للناس.

قال تعالى: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾([2]).

فلقد جاء النبي الأكرم محمد ﷺ (المعلم الأول) رحمة للعالمين، وهو رؤوف رحيم بالناس.

قال ﷺ: ((تعرضوا لرحمة الله بما أمركم به من طاعته))([3]).

لذلك فإن على كل معلم ان يقتدي بـ(المعلم الأول)؛ وهو النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ويكتسب من صفاته الحسنة، فإن كل صفاته حسن، وكل أفعاله خير، وكل نصائحه بلسم.

٣ـ واجبه التبيين والتوضيح:

فمن صفات المعلم ان يبين ما خفي ولم يتضح، وان يرشدهم بوضوح، وعن علم ومعرفة ودراية.

قال تعالى: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾([4]).

يقول السيد الطباطبائي: (أن تبين للناس ما نزّل تدريجاً إليهم؛ لأن المعارف الإلهية لا ينالها الناس بلا واسطة، فلا بدّ من بعث واحد منهم للتبيين والتعليم، وهذا هو غرض الرسالة، ينزل إليه الوحي، فيحمله، ثم يؤمر بتبليغه وتعليمه وتبيينه)([5]).

([1]) سورة الأنبياء، الآية (١٠٧).

([2]) سورة التوبة، الآية (١٢٨).

([3]) تنبيه الخواطر وتنزيه النواظر، الحسين ورام الحلي (ت٦٠٥هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف ـ العراق، ط١، ١٩٦٤م، ج٢ / ١٢٠.

([4]) سورة النحل، الآية (٤٤).

([5]) تفسير الميزان، الطباطبائي، مصدر سابق: ج ١٢ / ٢٥٩.

فإن النبي الأكرم محمد ﷺ (المعلم الأول) كان من واجبه تبيين ما نزل للناس من القرآن الكريم حتى يفهموه، ويعلموه، ومن ثم يعملون به، وهذه صفة على المعلمين الاتصاف بها.

٤ـ يتمتع بأسلوب حكيم:

القرآن الكريم وفي آياته المباركة قد بين جملة من الصفات للمعلم، والتي منها اسلوب التعليم والدعوة بـ(الحكمة والموعظة الحسنة)، كونهما من أفضل الصفات والطرائق التي من الواجب توفرهما في المعلم الحقيقي والناجح.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾([1]).

ثم إن الحكمة لها اطلاقات متعددة فهي تطلق على: طاعة الله تعالى، وعلى التفقه في الدين، وعلى الفهم، وعلى الخشية، وعلى الورع، وعلى التفكر، وعلى التعلم، وعلى التعليم([2]).

لذلك فإن من اهم صفات المعلم كما في القرآن الكريم هو ان يتصف بالحكمة، وان يكون اسلوبه في التوعية والإرشاد من خلال (الحكمة) و(الموعظة الحسنة)، واللين، والرفق، والرأفة.

٥ـ لا يبخل على الناس بالمعلومة:

المعلم الناجح هو من لا يبخل بالمعلومة على طلابه، لذلك فإن من صفاته في القرآن الكريم (عدم البخل) عليهم بأي معلومة وفائدة.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾([3]).

يقول السيد الطباطبائي: (وتعليم الكتاب؛ بيان ألفاظ آياته وتفسير ما أُشكل من ذلك، ويقابله تعليم الحكمة وهي المعارف الحقيقية التي يتضمنها القرآن، والتعبير عن القرآن تارة بالآيات وتارة بالكتاب للدلالة على أنه بكل من هذه العناوين نعمة)([4]).

([1]) سورة النمل، الآية (١٢٥).

([2]) ظ: تاج العروس، الزبيدي، مصدر سابق، ج ١٦ / ١٦١.

([3]) سورة الجمعة، الآية (٢).

([4]) تفسير الميزان، مصدر سابق، ج ١٩ / ٢٧٦.

فالرسول الأكرم محمد ﷺ لم يبخل على قومه بأي نصيحة، وأي ارشاد، وأي معلومة، وكان نعم المعلم، ونعم الناصح، ونعم المرشد.

المطلب الثالث: ممن يؤخذ العلم في القرآن الكريم:

من اليقين ان نعرف ونفهم من أين يؤخذ العلم عموماً، وان نعرف ونفهم ما تكلم به القرآن الكريم حول من يؤخذ العلم منهم، من هم؟ وما هي صفاتهم؟ وكيف يؤخذ العلم منهم؟ مع بيان جملة من الإيضاحات حول ما يتعلق بذلك من شروط وشرائط، لذلك فإن آيات القرآن الكريم قد وضحت بأن العلم يؤخذ من:

١ـ من الهداة:

الهادي هو القادر على هداية غيره، لذلك فإن العلم يؤخذ ممن اتصفوا بصفة الهداية.

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾([1]).

فمن يهدي إلى الحق، وإلى الصدق، وإلى طريق المعرفة هو الأولى بالإتباع، دوناً عن غيره، وانه الأولى بالتعلم، وهو المعلم الحقيقي، والمؤهل للتعليم.

لذلك فإن القرآن الكريم قد مدح الهداة، وأمر باتباعهم، والاقتداء بهم، وفضلهم، وبين مكانتهم، فإن مكانتهم عظيمة، إذ أن هداية البشر بين أيديهم، وهم طريق من الطرق الإلهية.

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾([2]).

القدوة الحسنة مهمة جداً على وجه العموم، وتتأكد أهميتها في مجال التعليم، ذلك ان (الطالب) يعد المعلم قدوة له، لذلك فإن صفة الهداية مهمة وضرورية في المعلم، حتى يكون مؤهلاً لأن يؤخذ العلم منه، ذلك ان فاقد الشيء لا يعطيه.

وعن تفسير الآية (٩٠) من سورة الأنعام المباركة يقول الشيخ الطبرسي: (أولئك الذين قبلوا هدى الله واهتدوا بلطف الله الذي فعله بهم، فاقتد بطريقتهم في التوحيد، والأدلة، وتبليغ الرسالة)([1]).

([1]) سورة يونس، الآية (٣٥).

([2]) سورة الأنعام، الآية (٩٠).

فأولئك وبما يعملونه من صفات فإنهم مؤهلون للاقتداء بهم، ومؤهلون لأن تأخذ الناس منهم، ومن تعاليمهم.

٢ـ أهل الذكر:

العلم يؤخذ ممن هم أهلٌ للذكر، والأعلم بالذكر، والأعرف بالله تعالى ودينه وكتبه ورسله.

قال تعالى: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾([٢]).

الله سبحانه وتعالى قد أمر بسؤال أهل الذكر دوناً عن غيرهم، لأنهم المؤهلون للجواب، وذلك لما يمتلكونه من علوم إلهية، وصفات خلقية عالية.

٣ـ الرسول الأكرم ﷺ:

الرسول الأكرم محمد ﷺ هو أحد أهم الذين يؤخذ العلم منهم، وذلك بنص القرآن الكريم.

قال تعالى: وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾([٣]).

وهذا امرٌ مشدد على ان كل ما أمر به الرسول الأكرم ﷺ عن الله تعالى يجب أن يؤخذ به، وان كل ما نهى عنه يجب ان يترك، وذلك لأنه ﷺ ما ينطق عن الهوى، وهو المعلم الأول والمبين والموضح الأول للقرآن الكريم.

قال تعالى: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾([٤]).

([١]) مجمع البيان، الطبرسي، مصدر سابق، المجلد ٢ / ٥١٣.

([٢]) سورة النحل، الآية (١٦).

([٣]) سورة الحشر، الآية (٧).

([٤]) سورة النحل، الآية (٤٤).

فالله سبحانه وتعالى قد أمر النبي الأكرم ﷺ ان يبين للناس ما نزل عليهم من آيات القرآن الكريم، كونه أفضل من يؤخذ منه العلم عموماً، وأفضل من يؤخذ منه تفسير القرآن الكريم بشكلٍ خاص.

٤ـ الراسخون في العلم:

الراسخون في العلم تأتي مرتبتهم بعد النبي الأكرم محمد ﷺ، وهم من يؤخذ منهم العلم بنص القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾([1]).

الله سبحانه وتعالى قد حدد مسار أخذ العلم في الآية (٧) من سورة آل عمران ضمن ثلاثة مراحل لمن يؤخذ منهم العلم وهم:

أ ـ الله سبحانه وتعالى.

ب ـ النبي الأكرم محمد ﷺ.

جـ ـ الراسخون في العلم عليهم السلام.

لذلك فإن من يؤخذ منهم العلم ـ هنا ـ هم الراسخون في العلم، وهم الأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام.

هذه المراحل الثلاثة في أخذ العلم الحقيقي حددها القرآن الكريم، وهي بالتالي عن الله سبحانه وتعالى، أنزلها على نبيه الأكرم ﷺ ليبينها للناس، وأي خلاف فيها سيكون خلافاً لأمر الله سبحانه وتعالى، وهذا سيؤدي لعدم التوفيق في العلم أو في طلب العلم، بل سيؤدي إلى طلب العلم من غير اهله، ومن غير محله، ولربما من أعداء الله تعالى ورسله وأنبياء عليهم السلام.

٥ـ الذين أتوا العلم:

فالعلم في القرآن الكريم يؤخذ من الذين أوتوا العل، الذين ذكرهم القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات﴾([2]).

([1]) سورة آل عمران، الآية (٧).

([2]) سورة المجادلة، الآية (١١).

وقال تعالى: بل هو آياتٌ بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾([1]).

يقول الشيخ الطبرسي: (يعني ان القرآن دلالات واضحات في صدور العلماء، وهم النبي ﷺ والمؤمنون به، لأنهم حفظوه ووعوه ورسخ معناه في قلوبهم)([2]).

هؤلاء الذين (أتوا العلم) هم من يؤخذ العلم منهم بحسب الآيات القرآنية المتقدمة، وغيرها.

٦ـ من نفس الإنسان أو من إنسانٍ آخر:

فالدرجة السادسة ـ هنا ـ ممن يؤخذ منهم العلم هو نفس الإنسان، أو من إنسانٍ آخر كالمعلم والمرشد والموجه، وهذا ما أورده القرآن الكريم في آياته المباركة.

قال تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾([3]).

فنظر وتفكر الإنسان في نفسه، وفي طعامه وشرابه، وفي الخلق يعطيه اهلية ان يكون مؤهلاً لإعطاء العلم من جانب، ولأخذ العلم منه من جانب آخر.

وقد يكون المعلم نبياً من الأنبياء، أو من الصالحين الذين اختصهم الله تعالى ليعلمون حتى الأنبياء، كما في قصة الخضر عليه السلام مع نبي الله موسى عليه السلام.

قال تعالى: قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾([4]).

فهذه الآية القرآنية تعطينا دروساً كثيرة في تواضع الأنبياء عليهم السلام للمعلم، ولمن يعلمهم ما يحتاجون إليه من علوم إلهية.

المبحث الرابع: رؤية المفسرين لآيات القراءة والدرس ودورها في المباني القيمية:

المطلب الأول: المراد بـ(سلطان) في الآية (٣٣) من سورة الرحمن المباركة:

([1]) سورة العنكبوت، الآية (٤٩).

([2]) مجمع البيان، مصدر سابق، ج ٨ / ٢٩.

([3]) سورة عبس، الآية (٢٤).

([4]) سورة عبس، الآية (٢٤).

من أهم ما يمكن للدارس في القرآن الكريم ان يكون واعياً للرموز القرآنية، وساعياً إلى حلها، أو الوصول إلى حلول عقلانية مقنعة لها، ومن ذلك بعض الكلمات القرآنية المتعلقة بالعلم، ومنها كلمة (سلطان) في الآية رقم (٣٣) من سورة الرحمن المباركة.

قال تعالى: يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴾ ([1]).

هذه الآية القرآنية المباركة فيها خطاب للجن والإنس، وفي تحدي مشروط لهم للنفوذ إلى أقطار السماوات وأقطار الأرض، وان هذا النفوذ لن يتحقق إلا بـ(سلطان)، فما هو هذا (السلطان)، وما معانيه، والمراد به.

يقول السيد الطباطبائي: (والمعنى: يا معشر الجن والإنس ـ وقدم الجن لأنهم على الحركات السريعة أقدر ـ إن قدرتم أن تفروا بالنفوذ من نواحي السماوات والأرض والخروج من ملك الله والتخلص من مؤاخذته ففروا وانفذوا... لا تقدرون على النفوذ إلا بنوع من السلطة على ذلك، وليس لكم، والسلطان القدرة الوجودية، والسلطان البرهان أو مطلق الحجة، والسلطان الملك)([2]).

أولاً: معاني (سلطان) في القرآن الكريم:

لكلمة سلطان في القرآن الكريم عدة معاني أوردها أصحاب الاختصاص ومنهم إسماعيل بن أحمد النيسابوري (ت ٤٣١ هـ) في كتابه (وجوه القرآن) وهي([3]):

١ـ الحجة: كما في الآية (١٥١) من سورة آل عمران، والآية (٨١) من سورة الأنعام، والآية (٧١) من سورة الحج، والآية (٩٦) من سورة هود، والآية (٢٣) من سورة الطور، والآية (٢١) من سورة النمل، والآية (١٥٦) من سورة الصافات.

٢ـ الغلبة والمُلك: كما في الآية (٤٢) من سورة الحجر، والآية (١٠٠) من سورة النحل، والآية (٢١) من سورة سبأ، والآية (٣٠) من سورة الصافات.

فهذان معنيان قد ذكرهما النيسابوري لكلمة (سلطان) الواردة في القرآن الكريم، وما يتلاءم مع البحث، وما يتوافق مع آيات القراءة والدرس، والعلم والتعلم والتعليم في

([1]) سورة الرحمن، الآية (٣٣).

([2]) تفسير الميزان، مصدر سابق، ج ٢٧ / ١١٠ ـ ١١١.

([3]) ظ: وجوه القرآن، إسماعيل بن أحمد النيسابوري (ت٤٣١هـ)، تحقيق: نجف عرشي، مؤسسة الطبع التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، مشهد ـ إيران، ط١، ١٤٢٢هـ، ٣١١ ـ ٣١٢.

القرآن الكريم، فالبحث سيهتم بما هو ملائم لموضوع الاطروحة، ولن يخرج أو يسهب فيما هو خارج عن العنوان.

ثانياً: الآراء التي ذكرها الشيخ الطبرسي لكلمة (سلطان):

١ـ القوة:

يقول الشيخ الطبرسي (ت٥٤٨هـ): (ومعنى السلطان القوة التي سلط بها على الأمر، ثم الملك والقدرة والحجة كلها سلطان)([١]).

إن (القوة) هي أحد معاني السلطان، ولذلك نجد ان من ملازمات السلطة والسلطان هي القوة والهيمنة.

٢ـ الخروج من السماوات والأرض:

يقول الشيخ الطبرسي: (وقيل لا تنفذون إلا بسلطان أي لا تخرجون إلا بقدرة من الله وقوة يعطيكموها بأن يخلق لكم مكاناً آخر سوى السماوات والأرض، ويجعل لكم قوة تخرجون بها إليه، فبين سبحانه بذلك أنهم في حبسه، وأنه مقتدر عليهم لا يفوتونه، وجعل ذلك دلالة على توحيده وقدرته، وزجراً لهم عن معصيته ومخالفته)([٢]).

٣ـ العلم:

يقول الشيخ الطبرسي: (وقيل إن المعنى في الآية إن استطعتم أن تعلموا ما في السماوات والأرض فاعلموا فإنه لا يمكنكم ذلك، لا تنفذون إلا بسلطان، أي: لا تعلمونه إلا بحجة وبيان)([٣]).

٤ـ توحيد الله تعالى:

يقول الشيخ الطبرسي: (وقيل لا تنفذون إلا بسلطان معناه، حيث ما شاهدتم حجة الله وسلطانه الذي يدل على توحيده)([٤]).

([١]) مجمع البيان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج ٥ / ٣١٠.

([٢]) م، ن، ج ٥ / ٣١٠.

([٣]) م، ن، ج ٥ / ٣١٠.

([٤]) مجمع البيان، مصدر سابق، ج ٥ / ٣١٠.

فهذه اربعة معاني أوردها الشيخ الطبرسي للمراد بكلمة (سلطان) في القرآن الكريم في تفسيره مجمع البيان.

ثالثاً: رأي الشيخ محمد جواد مغنية في كلمة (سلطان):

ـ التوبة:

يقول الشيخ محمد جواد مغنية (ت ١٤٠٠هـ): (أبداً لا نجاة لكم من لقاء الله، ولا مهرب من أرضه وسمائه إلا أن تفروا من الله إلى الله بتوفيق منه إلى التوبة والإقلاع عن الذنب)([١]).

إن الشيخ محمد جواد مغنية قد أورد معنى واحد للمراد بكلمة سلطان، وعرف معناها بملازماتها، أو بما يراد منها، ألا وهي (التوبة).

رابعاً: آراء السيد محمد حسين الطباطبائي في كلمة (سلطان):

١ـ يوم القيامة:

يقول السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ): (الخطاب ـ على ما يفيده السياق ـ من خطابات يوم القيامة، وهو خطاب تعجيزي)([٢]).

٢ـ الفرار:

يقول السيد الطباطبائي: (إن قدرتم أن تفروا بالنفوذ من نواحي السماوات والأرض والخروج من ملك الله والتخلص من مؤاخذاته ففروا وانفذوا)([٣]).

٣ـ القدرة والاقتدار:

يقول السيد الطباطبائي: (أي لا تقدرون على النفوذ إلا بنوع من السلطة على ذلك، وليس لكم والسلطان والقدرة الوجودية)([٤]).

([١]) التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية (ت١٤٠٠هـ)، مصدر سابق، ج ٧ / ٢١١.

([٢]) الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج ١٩ / ٥٢.

([٣]) م، ن، ج ١٩ / ٥٢.

([٤]) تفسير الميزان، مصدر سابق، ج ١٩ / ٥٢.

٤ـ البرهان والحجة:

يقول السيد الطباطبائي: (السلطان البرهان، أو مطلق الحجة)([1]).

٥ـ النفوذ العلمي:

يقول السيد الطباطبائي: (وقيل المراد بالنفوذ المنفي في الآية النفوذ العلمي في السماوات والأرض من أقطارهما، وقد عرفت أن السياق لا يلائمه)([2]).

فهذه خمسة معاني قد أوردها السيد محمد حسين الطباطبائي لكلمة (سلطان) في القرآن الكريم.

ما يمكن ان نستفيده من مجمل ما ذُكر من معاني لكلمة (سلطان) في الآية (٣٣) من سورة الرحمن المباركة، وبالنظر إلى زماننا، وإلى التطور المعرفي، بأن أفضل دلالة للسلطان هنا هو (العلم).

الوصول إلى أقطار السماوات من جانب، وإلى أقطار الأرض من جانب آخر، ليست مستحيلة، لكنها صعبة، ويحتاج إلى (سلطان)، والسلطان هنا هو (العلم)، أو (النفوذ العلمي) بحسب تصريح السيد الطباطبائي.

الجن من جانب، والإنس من جانب آخر، لو وصلا إلى ذلك (العلم) و(النفوذ العلمي) فإنهم سيصلون إلى أقطار السماوات وأقطار الأرض، وسيتمكنون من الوصول إلى ما كان مجهولاً عليهم، وإلى ما كان خفياً عنهم.

المطلب الثاني: المراد بـ(الذي عنده علم الكتاب) في القرآن الكريم:

من المهم تبيين المراد بـ(الذي عنده علم الكتاب) ضمن مورد فهم لذلك في القرآن الكريم.

([1]) م، ن، ج ١٩ / ٥٢.

([2]) تفسير الميزان، مصدر سابق، ج ١٩ / ٥٢.

قال تعالى: وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ ([1]).

وقال تعالى: قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ ([2]).

فمن المهم توضيح آراء المفسرين بالمراد بـ(الذي عنده علم الكتاب) من خلال التعرض لآرائهم:

أولاً: آراء الشيخ الطبرسي:

فالآراء عند الشيخ الطبرسي بخصوص الآية (٤٠) من سورة النمل تنقسم إلى قسمين، القسم الأول فيما يخص من لديه العلم، والقسم الثاني فيما يخص المراد بالكتاب.

١ـ الآراء في المراد بـ(الذي عنده العلم):

أ ـ آصف بن برخيا:

قال الشيخ الطبرسي (ت٥٤٨هـ): (وهو آصف بن برخيا، وكان وزير سليمان وابن أخته، وكان صديقاً يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب)([3]).

ب ـ رجل اسمه بلخيأ:

يقول الشيخ الطبرسي: (وقيل إن الذي عنده علم من الكتاب كان رجلاً من الإنس يعلم اسم الله الأعظم اسمه بلخيأ)([4]).

جـ ـ جبرائيل عليه السلام:

يقول الشيخ الطبرسي: (وقيل إن الذي عنده علم الكتاب هو جبرئيل عليه السلام، أذن الله له في طاعة سليمان عليه السلام بأن يأتيه بالعرش الذي طلبه)([1]).

([1]) سورة الرعد، الآية (٤٣).

([2]) سورة النمل، الآية (٤٠).

([3]) مجمع البيان، الطبرسي، مصدر سابق، ج ٤ / ٣٤٩.

([4]) م، ن، ج ٥ / ٣٤٩.

هذه ثلاثة معاني أوردها الشيخ الطبرسي في المراد بـ(الذي عنده العلم) التي ذكرها في تفسيره.

٢ـ الآراء في المراد بـ(الكتاب):

أ ـ اللوح المحفوظ:

يقول الشيخ الطبرسي: (وأما الكتاب المعرف في الآية بالألف واللام فقيل انه اللوح المحفوظ)([٢]).

ب ـ جنس الكتاب الإلهي:

يقول الشيخ الطبرسي: (وقيل أراد به جنس كتب الله المنزلة على أنبيائه وليس المراد به كتاباً بعينه، والجنس قد يعرف بالألف واللام)([٣]).

جـ ـ كتاب سليمان عليه السلام إلى بلقيس:

يقول الشيخ الطبرسي: (وقيل ان المراد به كتاب سليمان إلى بلقيس)([٤]).

هذه ثلاثة معاني أوردها الشيخ الطبرسي للمراد بـ(الكتاب) في تفسيره مجمع البيان.

ثانياً: آراء السيد محمد حسين الطباطبائي:

الآراء عند السيد الطباطبائي بخصوص الآية (٤٠) من سورة النمل تنقسم إلى قسمين، القسم الأول فيما يخص من لديه العلم، والقسم الثاني فيما يخص المراد بالكتاب.

١ـ الآراء في المراد بـ(الذي عنده العلم):

أ ـ آصف بن برخيا:

([١]) م، ن، ج ٥ / ٣٤٩.

([٢]) مجمع البيان، مصدر سابق، ج ٥ / ٣٤٩.

([٣]) م، ن، ج ٥ / ٣٤٩.

([٤]) م، ن، ج ٥ / ٣٤٩.

يقول السيد محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ): (وقد وردت الروايات عن أئمة أهل البيت أنه كان آصف بن برخيا وزير سليمان ووصيه)([1]).

ب ـ الخضر عليه السلام:

يقول السيد الطباطبائي: (وقيل هو الخضر عليه السلام) ([2]).

جـ ـ رجل عنده اسم الله الأعظم:

يقول السيد الطباطبائي: (وقيل رجل كان عنده اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أجاب) ([3]).

د ـ جبرائيل عليه السلام:

يقول السيد الطباطبائي: (وقيل جبرائيل) ([4]).

هـ ـ هو النبي سليمان عليه السلام:

يقول السيد الطباطبائي: (وقيل هو سليمان عليه السلام نفسه)([5]).

إن هذه خمسة معاني قد أوردها السيد الطباطبائي حول المراد بـ(الذي عنده العلم) في كتاب الميزان في تفسير القرآن.

٢ـ الآراء في المراد بـ(الكتاب):

أ ـ جنس الكتب السماوية:

يقول السيد الطباطبائي: (جنس الكتب السماوية) ([6]).

ب ـ اللوح المحفوظ:

يقول السيد الطباطبائي: (اللوح المحفوظ) ([1]).

([1]) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، مصدر سابق، ج ١٦ / ١٥٧.

([2]) م، ن، ج ١٦ / ١٥٧.

(٣) تفسير الميزان، مصدر سابق، ج ١٦ / ١٥٧.

([4]) م، ن، ج ١٦ / ١٥٧.

([5]) م، ن، ج ١٦ / ١٥٧.

([6]) م، ن، ج ١٦ / ١٥٧.

هذان معنيان قد أوردهما السيد الطباطبائي حول المراد بـ(الكتاب) في تفسير الميزان.

المطلب الثالث: المراد بـ(ظهير) في الآية (٨٨) من سورة الإسراء:

إن من المهم وفي مجال توضيح الكلمات القرآنية في هذا الفصل ان يوضح البحث المراد بـ(ظهير) الواردة في الآية (٨٨) من سورة الإسراء المباركة.

قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ ([٢]).

من المهم الوقوف عن معاني كلمة (ظهير) في القرآن الكريم.

أولاً: معاني (ظهير) و(ظهور) في القرآن الكريم:

لقد أورد أبو عبد الرحمن النيسابوري (ت٤٣١هـ) جملة من المعاني لكلمة (ظهور) أوصلها إلى عشرة معاني، منها مما له مدخلية بالبحث ما يلي([٣]):

١ـ التعاون: كما في الآية (٨٨) من سورة الإسراء، والآية (٤) من سورة التحريم، والآية (٥٥) من سورة الفرقان.

٢ـ الارتقاء: كما في الآية (٩٧) من سورة الكهف، والآية (٣٣) من سورة الزخرف.

ثانياً: رأي الشيخ الطبرسي في معنى (ظهير):

يقول الشيخ الطبرسي: (معناه قل يا محمد لهؤلاء الكفار لئن اجتمعت الإنس والجن متعاونين متعاضدين على ان يأتوا بمثل هذا القرآن في فصاحته وبلاغته ونظمه على الوجوه التي هو عليها من كونه في الطبقة العليا من البلاغة والدرجة القصوى من حسن النظم وجودة المعاني وتهذيب العبارة والخلو من التناقض واللفظ المسخوط والمعنى الدخول على حد يشكل على السامعين ما بينهما من التفاوت

([١]) تفسير الميزان، مصدر سابق، ج ١٦ / ١٥٧.

([٢]) سورة الإسراء، الآية (٨٨).

([٣]) ظ: وجوه القرآن، النيسابوري، مصدر سابق، ٣٨٩.

لعجزوا عن ذلك ولم يأتوا بمثله **"ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيرا"** أي معيناً على ذلك، مثل ما يتعاون الشعراء على بيت شعر فيقيمونه)([1]).

الشيخ الطبرسي يوضح المراد بالآية من خلال بيان تفسيرها بحسب ما أوردته النصوص الحديثية، وما يتعلق بأسباب النزول.

ثالثاً: رأي السيد الطباطبائي في معنى (ظهير):

يقول السيد الطباطبائي: (الظهير هو المعين، مأخوذ من الظهر كالرئيس من الرأس، وقوله: **"بمثله"** من وضع الظاهر موضع المضمر وضميره عائد إلى القرآن. وفي تحدٍ ظاهر، وهي ظاهرة في ان التحدي بجميع ما للقرآن من صفات الكمال الراجعة إلى لفظه ومعناه لا بفصاحته وبلاغته وحدها، فإن انضمام غير أهل اللسان إليهم لا ينفع في معارضة البلاغة شيئاً وقد اعتنت الآية باجتماع الثقلين وإعانة بعضهم لبعض. على ان الآية ظاهرة في دوام التحدي وقد انقرضت العرب العرباء أعلام الفصاحة والبلاغة اليوم فلا أثر منهم، والقرآن باقٍ على إعجازه متحد بنفسه كما كان)([2]).

السيد الطباطبائي قد وضح المراد بتفسير هذه الآية المباركة، مع توضيحها وبيانها، وبيان المراد بها.

خلاصة الفصل الثالث:

١ـ يرى الباحث ان تعريف التشابك اللفظي هو: **التداخل الحاصل ما بين الألفاظ، والذي يحتاج إلى أدلة وقرائن مميزة لحل ذلك التشابك، ويحتاج إلى تأمل وتدبر، وإلى خبرة وموهبة، وبالخصوص عند التعامل مع ألفاظ القرآن الكريم.**

٢ـ في القرآن الكريم ألفاظاً متكررة ومتنوعة في الدلالة على القراءة والدرس منها: التفكر، التدبر، أولو الألباب، العقل والتعقل، التفقه، الحكمة، الذكر والتذكر، بصائر، النظر، الإصلاح.

٣ـ لفظ العلم في القرآن الكريم ليس مختصاً بالعلوم الدينية فقط، بل هو يشمل علوماً ومهناً أخرى غير الفقه والعلوم الدينية.

([1]) مجمع البيان، الطبرسي، ج٣ / ٦٧٦.

([2]) تفسير الميزان، الطباطبائي، مصدر سابق، ج ١٣ / ٨٦.

٤ـ القرآن الكريم أولاً، والإسلام ثانياً قد حثانا على العلم، وعلى أهمية القراءة والدرس.

٥ـ للقراءة والدرس دوراً مهماً في بناء الحضارة الإنسانية، والحضارة الإسلامية على حدٍ سواء.

الفصل الرابع

الفصل الرابع: المباني القيمية وأثرها العقدي في التعلم في آيات القراءة والدرس.

المبحث الأول: المباني القيمية للتعلم وأثرها في معرفة التوحيد والصفات:

المبحث الثاني: المباني القيمية للتعلم وأثرها في معرفة الوحي والنبوة والإمامة:

المبحث الثالث: المباني القيمية للتعلم وأثرها في معرفة حقيقة اليوم الآخر والمعاد:

المبحث الرابع: مسائل عقدية متفرقة لها علاقة بالتعلم والقراءة والدرس:

المبحث الأول: المباني القيمية للتعلم وأثرها في معرفة التوحيد والصفات:

المطلب الأول: العقائد وعلاقتها بالعلم والمعرفة:

للعقائد ارتباطاً وثيقاً بمسائل العلم والمعرفة، بل أن العقائد قائمة على العلم والمعرفة، ومحاربة الجهل والتجهيل، إذ لا عقائد صحيحة من دون علم ومعرفة.

يقول الشيخ اليزدي: إن (عرض معارف القرآن بشكل نظام فكري منسجم ومترابط، بحيث يستطيع الباحث ان يبدأ من نقطة معينة، ثم يسير بشكل متسلسل فهو يربط حلقات معارف الإسلام بعضها ببعض، ليصل في خاتمة المطاف إلى هدف الإسلام والقرآن الكريم)[1].

إذ لا بدّ للعالم، والمعلم، ومن يريد ارشاد الناس من سلوك طريقة التعليم والعرض السهل اليسير، والسير التدرجي في تعليمهم العلوم عموماً، وعلوم العقائد خصوصاً.

أولاً: الطريق لمعرفة العقيدة الإسلامية:

النظر والاستدلال الذي يورث القطع واليقين، هو الطريق لمعرفة العقيدة الإسلامية، ولا يجوز الاعتماد على الظن أو تقليد الآخرين مهما كانوا، وإنما اقتصر على هذا الطريق فحسب؛ لأن المطلوب في العقيدة أن يحصل للمكلف العلم واليقين بربه ونبيه ومعاده وإمامه، فدعت الشريعة كل إنسان إلى ان يتحمل بنفسه مسؤولية عقائده. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى: فإن أصول العقيدة محدودة عدداً أولاً، ومنسجمة مع فطرة الناس عموماً ثانياً، وذات أهمية قصوى في حياة الإنسان ثالثاً[2].

فالنظر والاستدلال هو الطريق الوحيد، والمفيد، والمنجي للإنسان، أما التقليد، وما شاكله، فإنه غير مفيد، ذلك ان أساس العقيدة هو الاعتقاد.

وهذا ما أكدت عليه ـ عموماً ـ الآيات النازلة في أول الرسالة الإسلامية، فـ(إن المتأمل في القسم المكي من الكتاب يلحظ أنه يغلب عليه البناء العقدي، وتأسيسه للتصورات والمفاهيم الإسلامية الكلية العامة التي تعرض الإسلام في أصوله وقواعده الجامعة... لأن القضية الكبرى في العقيدة هي معرفة المعبود، فهذه هي محور العقيدة ولُبها وسرها وجوهرها، والطريق الموصل إليها هو القرآن)[3].

فالآيات القرآنية عموماً، والآيات المكية خصوصاً، والآيات العقائدية ـ فيها ـ بشكلٍ أخص هي الطريق القرآني الملائم للبحث عن العقيدة الإلهية الصحيحة.

([1]) معارف القرآن، محمد تقي مصباح اليزدي، إعداد: محمد عبد المنعم الخاقاني، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ، ج ١ /١٠.

([2]) ظ: عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ، ١٣ـ١٦.

([3]) الكليات الشرعية في القرآن الكريم، الحسن حريفي، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ودار ابن القيم للنشر والتوزيع، الدمام ـ السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ،٣٩.

نعم، لقد وقعت اختلافات ـ كما تقدم في تعريف العقائد اصطلاحاً ـ إلا انه يمكن حل هذا الالتباس والاختلاف من خلال معرفة حقيقة المراد بالاعتقاد؛ من خلال شرحه وتوضيحه أكثر، فإن(الاعتقاد ـ كمصطلح ـ يُطلق ويُستعمل في الموارد التي تدخل في مجال الفكر والنظر وأفعال القلب والجوانح، دون الجوارح، فالعقائد هي مجموعة التصديقات والمعلومات التي يحملها الإنسان تجاه هذا الكون، فيؤمن بها ويعقد عليها قلبه، سواء كانت من قبيل الاعتقاد بالله ورسله، أم مما يتعلق بتوصيف الحياة الأخرى، أو بإثبات أوصاف خاصة لهذا الكون، وتقسيم الموجودات إلى موجودات مادية وأخرى مجردة، وسواء كانت تندرج في حيز الحديث عن أهمية بعض الكائنات ومدى سعتها الوجودية والمسؤوليات والوظائف التي تمارسها في هذا الكون، من قبيل الملائكة والجن وسائر الكائنات الغيبية، فإن هذا كله يندرج في دائرة المسائل العقدية، والآيات التي تتحدث عنه في القرآن هي التي نعبر عنها بـ: الآيات العقدية، أو آيات العقائد)[1].

القرآن الكريم مملوء بالآيات العقائدية، أو الآيات القرآنية التي تقود الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى، وبالتالي الإيمان به تعالى، والاعتقاد به جل شأنه.

على الإنسان القارئ للقرآن الكريم النظر بعين البصيرة، ليرى آيات الله الحقيقية، الدالة على العقيدة وكل ما يتعلق بها من حجج وبراهين وأدلة، وذلك واضح بالقراءة، لكنه يتضح وسيتضح أكثر وأكثر بالبصيرة، إذ لا ينفع البصر في كثيرٍ من الأحيان في التمييز ما بين الأشياء العادية، فكيف بآيات القرآن الكريم التي تحتاج إلى دقة في القراءة، ودقة في الفهم، ونوع خاص من التعليم، قائم على نظام خاص في التدريس، ووسائل تعليمية خاصة تتلاءم مع القرآن الكريم، كل ذلك هو واجب المعلم الصالح، والمؤمن بالقرآن الكريم.

ثانياً: مصادر العقيدة الإسلامية:

(1) فقه القرآن المبادئ النظرية لدراسة آيات الأحكام، محمد علي أيازي، ترجمة: علي محسن، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٣م، ٤٧٣ـ٤٧٤.

المصادر هي: المنابع والأصول التي تؤخذ منها الأفكار والمفاهيم العقيدية، وتشمل العقل، والقرآن، والسنة، والتعليم والتدريس([1])، ويمكن لنا ترتيبها على الترتيب المسبق، ثم بيان ما يراد بها، مع توضيحٍ لها، كالآتي:

أ ـ العقل:

فهو قوة إدراك الخير والشر والتمييز بينهما، والتمكن من معرفة أسباب الأمور ذوات الأسباب، وما يؤدي إليها وما يمنع منها، وهو آلة التفكير والنظر لدى الإنسان، ويؤدي العقل وظيفته بالاستفادة من الحواس ومن المبادئ العامة التي زوده الله بها، كمبدأ العلية ومبدأ عدم التناقض وغيرهما.

فالمقصود العقائدي من العقل كمصدر هو: العقل الفطري السليم، البعيد عن تأثير أهواء النفس، والبعيد عن المصالح الشخصية، فإذا تم ذلك سيُعد من المصادر المعتبرة في التشريع والعقيدة([2]).

نعم، لقد وردت الأحاديث الشريفة في بيان أهمية العقل، ومكانته.

قال الإمام الكاظم عليه السلام: ((يا هشام، إن لله على الناس حجتين، حجة ظاهرة، وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة فالعقول))([3]).

ثم ان العقل عموماً، وفي المجال العقائدي خصوصاً يستعمل على اطلاقين هما([4]):

ـ **العقل المصباحي:** وهو القوة (المدركة) المستعدة لقبول العلم في نفس القابل للتكليف.

ـ **العقل البرهاني:** وهو المتعلق بـ(البراهين العقلية)، والتي يتحصل عليها الإنسان بواسطة تلك القوة نفسها.

([1]) ظ: فلسفتنا، محمد باقر الصدر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ، ٧٤.

([2]) ظ: منطق تفسير القرآن، محمد علي الرضائي، تعريب: أحمد الأزرقي وهاشم أبو خمسين، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣٦هـ، ٦١.

([3]) الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، منشورات الفجر، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٧م، ج ١ / ٦.

([4]) ظ: منطق تفسير القرآن، محمد علي الرضائي، مصدر سابق، ٦٢.

بذلك يتوضح المراد بالعقل ـ عموماً ـ كمصدر رئيس في بيان العقيدة، والاستدلال عليها، كونه الدليل الأول في المسائل العقائدية، ومن دونه لا يتم الاستدلال العقائدي الصحيح.

ب ـ القرآن الكريم:

فالقرآن: هو كلام الله تعالى في لفظه وأسلوبه ومعناه الذي أوحاه الله تعالى إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ.

القرآن الكريم هو من أهم المصادر الإسلامية، وهو مصدر التشريع الأول، لكنه في الاستدلال العقائدي يأتي بعد العقل، كونه مصدر نقلي، والعقل في العقيدة مقدم على النقل.

في بيان تعريف القرآن الكريم قد ذكرت العديد من التعريفات منها:

القرآن الكريم هو: (كتاب الله تعالى الذي نزل بطريق الوحي لفظاً ومعنى على رسول الله محمد ﷺ بلسانٍ عربي، ونُقل إلينا نقلاً متواتراً)([1]).

القرآن الكريم ـ هنا ـ هو المصدر الثاني من المصادر العقائدية، وهو الأساس في إيراد الآيات القرآنية العقائدية، وهو يفسر بعضه بعضاً، أو ـ مع عدم الفهم ـ فإن السنة المطهرة هي المفسرة له، لذلك فإن القرآن الكريم هو أصدق مصدر، وأوضح كتاب، وأجلى دليل.

جـ ـ السنة المطهرة:

وهي كل ما صدر عن المعصوم (النبي والإمام) من قول أو فعل أو تقرير.

فالسنة المطهرة هي المصدر الثالث من المصادر العقائدية المهمة، وهي المفسرة والمبينة لآيات القرآن الكريم.

لذلك فقد عُرفت بأنها: (قول من لا يجوز عليه الكذب والخطأ، وفعله وتقريره، غير قرآن ولا عادي، وما يحكي أحد الثلاثة يسمى: خبراً، أو حديثاً)([2]).

([1]) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مصطفى الزلمي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد ـ العراق، ط١، ١٩٨٦م، ٦٤.

([2]) مقباس الهداية في علم الرواية، عبد الله المامقاني (ت١٣٥١هـ)، تحقيق: محمد المامقاني، مطبعة نكارش، قم ـ إيران، ط٢، ١٣٩٣هـ، ج ١ / ٥٩.

يقول الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي: (من واجبات النبي ﷺ إزاء الأمة؛ بيان آيات الله تعالى. يقول القرآن الكريم مخاطباً النبي ﷺ: **"وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزل إليهم"**. أي: إننا أنزلنا إليك القرآن، وواجبك أن تقرأه على الناس، وتبين لهم معارفه)([1]).

علماً ان السنة المطهرة تشمل أحاديث النبي الأكرم ﷺ، وكذلك أحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام.

د ـ التعليم والتدريس:

التعليم المستمر عموماً، والتعليم على الأمور والقضايا، والأسس والأصول العقائدية مهم جداً، وبالخصوص في البيت أولاً، ثم في المدرسة ثانياً.

ومع وجود دروس عقائدية تعلم الأطفال العقائد في دراستهم الابتدائية الأولية، وهذا أمرٌ مهم جداً، وذلك لكي يتشرب الطفل بالعقيدة، ويعرف عقيدته الصحيحة، ما هي، وما أصول الدين، ما هو عددها، فإن من المهم على نظام التعليم في جمهورية العراق أن يعزز مناهج التعليم ، وخاصة في مادة التربية الإسلامية ، بمفردات تعليمية تبين معنى كل أصل ، تعريفه، علاقة الأصول العقائدية الأخرى، ، فائدته ، تطبيقاته، الخطوط المشتركة بين العقائد الحقة، والدعوة لاحترامها ، إن كانت اختلافاتها ناجمة عن تفاصيل لا تتعارض مع ثوابت العقيدة السليمة ، فضلاً عن تبيين العقائد الفاسدة والمنحرفة ، للتحذير منها وتجنب اعتناقها.

فإن تم لنا ذلك، ومع التعليم المستمر الدائم، فإن العقيدة ستكون راسخة متينة عند الأطفال في دراستهم الأولية، وحينها أدينا واجبنا، وبنينا الطفل بناءً قوياً ورصيناً.

ثالثاً: العوامل المؤثرة على عقيدة الإنسان:

هناك مجموعة عوامل تؤثر على عقيدة الإنسان، صحةً وخطأً، وقوةً أو ضعفاً، أبرزها ما يلي:

أ ـ الوراثة:

إن علم الوراثة يؤكد ان الخصائص الجسمية والعقلية والنفسية يمكن ان تنتقل من الأب والأم وغيرهما من الأقرباء إلى الفرد عند انعقاد نطفته، فصحة الجسم ـ مثلاً ـ

([1]) تجلي القرآن في نهج البلاغة، محمد تقي مصباح اليزدي، ترجمة: ماجد الخاقاني، مركز اصدارات مؤسسة الإمام الخميني للتعليم والبحث، قم ـ إيران، ط٢، ١٤٢٨هـ، ١٨.

والذكاء وطبيعة المزاج وغيرها من الصفات من شأنها أن تؤثر على تفكير الإنسان واختياره، حتى ورد في ذلك العديد من الأحاديث، منها:

قال الرسول الأكرم ﷺ: ((إياكم وخضراء الدمن، قيل يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت سوء))([1]).

وكذلك ما روي عن النبي ﷺ: ((تزوجوا في الحُجز الصالح، فإن العرق دساس))([2]).

هذان الحديثان وغيرهما الكثير يحثان على دور الوراثة المؤثر على عقيدة الإنسان، فإن للوراثة الدور الكبير في رسم طريقة وطبيعة العقيدة التي ينمو عليها الإنسان، ذلك ان فترة الطفولة والمراهقة هي الأساس في تكوّن عقيدة الإنسان (العقائدية) عموماً، والعقيدة (الأخلاقية) خصوصاً، المبنية على أسس علمية صحيحة.

ب ـ البيئة:

إن الكلام عن البيئة يقود إلى الكلام عن أنماطها، وهي نمطان:

١ـ المادية:

ونعني بها الأجواء المادية من الهواء والغذاء والحرارة والرطوبة والازدحام والانفتاح وما شابه ذلك، فإن مثل هذه الظروف تؤثر على نمو الإنسان ونفسيته، وبالتالي على تفكيره الذي له علاقة بمعتقداته.

٢ـ المعنوية:

وهي من أهم العوامل المؤثرة على تكوين معتقدات الإنسان، من وسائل تعليم، وتشجيع، وتربية صالحة، وما شاكل ذلك.

للبيئة بكل أنواعها وانماطها التأثير الكبير على الطفل والمراهق أولاً، وعلى نشأته وتعليمه وأخلاقه ثانياً، لذلك فإن وضع الطفل وتربيته في بيئة صالحة مهم جداً، وبالخصوص البيئة التعليمية المناسبة، وتعليمه القراءة والكتابة في بيئة ملائمة تصنع منه شخصاً محباً ومبدعاً، ومن ثم فاعلاً في مجتمعه ووطنه.

([1]) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٨٦م، ج ٣ / ٣٩١.

([2]) كنز العمال، المتقي الهندي، مصدر سابق، ج ١٦ / ٢٩٠. والحجز: بالضم والكسر: الأصل.

فللبيئة التأثير الكبير على تكون عقائد الإنسان، مع العلم ان هناك فرقاً ما بين الاعتقاديات الجماهيرية البيئية، وما بين العقائد الإسلامية الحقة، وما نريد بيانه هو تأثير البيئة عموماً على عقائد الإنسان، وتأثير البيئة الإسلامية الصحيحة في بناء وتكون العقائد الصحيحة عند الإنسان.

جـ ـ التربية:

للتربية شكلان:

١ـ التربية المقصودة:

وهي عملية التغيير المخطط لها، كما هو الحال في المدارس والمعاهد والكليات، وكذلك الأسرة، والدولة، وكل مؤسسة اجتماعية هادفة في برامجها.

٢ـ التربية غير المقصودة:

وهي عملية التغيير غير المخطط لها، كما يحصل ذلك بسبب الصداقة أو الجوار أو الشارع العام الذي يرتاده الإنسان.

لقد ورد عن الرسول ﷺ انه قال: ((المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل))([1]).

نعم، فإن الصديق والرفيق، وكل شيء مرافق للإنسان أو يرافقه كالتلفزيون، أو المذياع، أو الهاتف (الهاتف النقال حديثاً)، والألعاب العادية والالكترونية، وما شاكل ذلك. إن لها التأثير الكبير والواضح على تربية الإنسان عموماً، وعلى الطفل والمراهق خصوصاً، لذلك فإن مراعاة الطرائق الصحيحة في التربية مهم جداً، تتلو ذلك المراقبة وتفقد الرفيق الذي جعله الطفل والمراهق رفيقاً له، ومن ثم تقنين تلك الرفقة لكي تكون صالحة ومفيدة.

د ـ التعليم:

فكما ان التعليم مع التدريس كان مصدراً مهماً من مصادر العقيدة للطفل، كذلك فإن للتعليم تأثيره الواضح والجلي على عقيدة الإنسان وبناءها البناء العلمي الصحيح.

لقد أكدت الآيات القرآنية المباركة على التعليم والقراءة والدرس في كل حلقات عمر الإنسان، ولقد أكدت على ما تقدم من أمور عقائدية، وكذلك شرعية وأخلاقية، وذلك حتى يكون الإنسان (مسلماً) بحق، و(رسالياً) حقيقةً.

([1]) أمالي الطوسي، الشيخ الطوسي، مصدر سابق، ٥١٨.

إن التعليم له أثره في بناء عقيدة الإنسان الصحيحة، ومع وجود المناهج الدراسية الملائمة والمناسبة، سيكون الطفل والمراهق في أيدي أمينة، ما بين يدي معلم ملتزم، ومنهج رصين، حينها سيكون ذلك أساساً صحيحاً في البناء الواعي للتعليم الواعي للطفل والمراهق.

فالتعليم الواعي والصحيح هو الأساس في بناء شخصية الفرد من الصغر، وهو الصورة المنعكسة لما سيكون عليه في الكبر.

هـ ـ العامل الغيبي:

ويراد به؛ الرعاية الإلهية التي تتخذ أشكالاً متعددة، منها: التسديد والإراءة (الرؤية) للواقع الصحيح لمن سار في طريق الله تعالى.

قال تعالى: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا﴾([1]).

نعم، إن للعامل الغيبي دوره المهم على عقيدة الإنسان، فهو العامل المسدد من جانب، وهو العامل المنبه من جانبٍ آخر.

قد لا يقبل البعض بهذا الطرح، ويعده نوعاً من الغيبيات غير المحببة، أو الممنوعة، أو المحرمة ربما، أو غير المُسلم بها، إلا أن آيات القرآن الكريم قد أكدت على عامل التسديد الغيبي، والهداية الغيبية، والتي تكون جرساً منبهاً للإنسان في حياته، تنبهه من الأخطار، وتقوده إلى الطريق الصحيح، فمن تنبه لها وفهم الرسائل نجى، ومن ران على قلبه وتجاهل الرسائل فقد هلك.

قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾([2]).

الله سبحانه وتعالى راعي للإنسان على طول سني حياته، وهو لا يتركه، إنما الإنسان هو من يترك الله تعالى في حالات الزهو والغنى.

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآَهُ اسْتَغْنَى﴾([3]).

إن من محاسن الترتيب أن تكون هذه النتيجة موجودة في سورة (العلق) أو سورة (اقرأ)، والتي هي مدار بحثنا في هذه الاطروحة.

([1]) سورة العنكبوت، الآية (٦٩).

([2]) سورة المطففين، الآية (١٤).

([3]) سورة العلق، الآيات (٦-٧).

فالعامل الغيبي عامل مؤثر جداً على عقيدة الإنسان، وهو عامل متعلق بطبيعة أعمال الإنسان، فهو المجازي الخفي لها، لذلك على الإنسان أن يراعي الأمور الحسنة حتى في حال كونه في مكان خالي ووحده، لأن العامل الغيبي موجود، ويراقب، وسيجازيه على ما سيفعله هناك.

المطلب الثاني: علاقة التوحيد بالعلم والقراءة والدرس:

للعلم والقراءة والدرس علاقة وطيدة جداً بالتوحيد، فعن طريقها نفهم التوحيد عموماً، ونؤمن به خصوصاً.

فعدم وجود العلم وما يتعلق به من قراءة ودرس لن يجعل الإنسان يعرف التوحيد الصحيح والحقيقي، لذلك أصبح العلم مهماً جداً بالنسبة للتوحيد، ومقدمة واجبة لازمة له، فكما انه لا توحيد بلا علم، كذلك فإنه لا علم بلا توحيد، ذلك ان النجاة تكون بالعلم والمعرفة، وبالقراءة والدرس، وبالتعليم الصحيح.

أولاً: في تعريف التوحيد لغة واصطلاحاً:

التوحيد لغة:

التوحيد هو: جعل الشيء واحداً، يقال: وحدّه توحيداً، أي جعله واحداً[1].

فالتوحيد هو: الإيمان بالله تعالى وحده لا شريك له، وان الله تعالى هو الواحد الأحد ذو الوحدانية والتوحد[2]، من وَحَدَ ـ الواو والحاء والدال ـ: أصلٌ واحدٌ يدلّ على الانفراد، والواحد هو: المنفرد[3]. والواحد هو: أول العدد[4].

هذا التعريف اللغوي ـ مختصراً ـ للتوحيد، وما يراد به عند أهل اللغة، وما عليه الإجماع عندهم.

([1]) ظ: القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٢هـ، ج ١ / ٦٤٥.

([2]) ظ: معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، مصدر سابق، ج ٣ / ٢٨١.

([3]) ظ: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مصدر سابق، ج ٦ / ٩٠ـ٩١.

([4]) ظ: لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق، ج ١ / ٨٢، و ج١٥ / ٢٣٠.

التوحيد اصطلاحاً:

التوحيد في الاصطلاح هو: (العلم بأن الله سبحانه وتعالى لا يشاركه فيما يوصف به على الحدّ الذي يوصف به غيره، مع الإقرار بذلك إذا أمكنه الإقرار)[١].

التوحيد هو: (إثبات صانعٍ واحدٍ موجدٍ للعالم ـ كل العوالم ـ ونفي كل ما عداه سبحانه وتعالى)[٢].

أو هو: (أن يعرف أن الله سبحانه وتعالى واحدٌ في الربوبية، ولا شريك له تعالى في المعبودية)[٣].

فهذه ثلاث تعريفات للتوحيد، والتي يريد البحث من خلالها توضيح المراد بالتوحيد اصطلاحاً، ومن ثم ان أساس التوحيد الصحيح هو القائم على العلم والقراءة والدرس، إي القائم على التعليم.

ثانياً: الأدلة على توحيده تعالى من آيات العلم والقراءة والدرس:

هنا وقفة مهمة للبحث من أجل ذكر الآيات القرآنية المباركة الدالة على التوحيد، والتي هي آيات مرتبطة بالعلم والقراءة والدرس.

يقول المقداد السيوري (ت٨٢٦هـ): (ويجب أن يُعتقد أنه تعالى واحد، لأنه لو كان معه إله آخر لزم المحال لأنه لو أراد أحدهما حركة جسم وأراد الآخر تسكينه: فإما أن يقعا معاً، وهو محال، وإلا لزم اجتماع المتنافيين، وإما أن لا يقعا معاً، فيلزم خلو الجسم عن الحركة والسكون وهو باطل بالضرورة، وإما أن يقع مراد أحدهما دون الآخر، وهو ترجيح من غير مرجح)[٤].

---

(١) الحدود والحقائق، الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ)، اعداد مهدي الرجائي، اشراف: أحمد الحسيني، منشورات دار القرآن، قم ـ إيران، ط١، ١٤٠٥هـ، ج ٢ / ٢٦٦.

(٢) الاعتقادات، الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٠٣.

(٣) كشف الغطاء، جعفر كاشف الغطاء الجناجي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٢هـ، ج ١ / ٤٩.

(٤) الاعتماد في شرح واجب الاعتقاد، المقداد السيوري، تحقيق: صفاء الدين البصري، مجمع البحوث الإسلامية، قم ـ إيران، ط١، ١٤١٢هـ، ٦٥.

هذا القول للمقداد السيوري جعله البحث كمقدمة قبل ذكر الآيات القرآنية المباركة الدالة على التوحيد من آيات لها علاقة بالعلم والقراءة والدرس، وان في هذه الآيات أدلة على توحيد الله تعالى، منها:

١ـ الشهادة له تعالى بالتوحيد:

إن تعالى، وأشهد عليها الملائكة، ثم أولي العلم، إذ أشهدهم تعالى على أنه لا إله إلا هو سبحانه.

قال تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾([1]).

فالقول صادر من الله سبحانه وتعالى، والشاهد عليه هم: (الله تعالى)، (الملائكة)، و(أولي العلم).

أما المشهود عليه فهو: أنه لا إله إلا هو، ذلك أنه تعالى هو (العزيز الحكيم)، أي عزَ فحكم.

٢ـ من أدلة توحيده أنه قد وسع كل شيء علما:

فالله سبحانه وتعالى الإله الواحد قد وسع علمه تعالى كل شيء، وجعل من العلوم ما هو متاح للبشر حتى يعرفوه، ويوحدوه، ويؤمنوا به تعالى.

قال تعالى: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾([2]).

فإن سعته تعالى للعلم مطابقة لصفته تعالى (العالم) أو (العليم)، ذلك ان صفاته تعالى هي عين ذاته.

٣ـ من أدلة توحيده انه تعالى هو الخالق:

من الأدلة على توحيده تعالى انه هو الخالق، مؤيداً قوله تعالى (لتعلموا)، في تأكيدٍ على ضرورة العلم بذلك ومعرفته.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾([3]).

([1]) سورة آل عمران، الآية (١٨).

([2]) سورة الأعراف، الآية (٨٩).

([3]) سورة الطلاق، الآية (١٢).

الله سبحانه وتعالى قد خلق سبع سماوات، وكذلك فإن قد خلق سبعاً من الأرضين، والأمر له فيهن كلهن، وذلك ليعلم الإنسان ان الله سبحانه وتعالى قادرٌ على كل شيء، ويعلم بكل شيء.

قال تعالى: وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾([1]).

فهو تعالى العالم بدقائق الأمور في السماوات وفي الأرضين جميعاً.

٤ـ من أدلة توحيده انه تعالى هو الذي علم الإنسان بالقلم:

الله سبحانه وتعالى هو المعلم الأول للإنسان، والذي علمه بواسطة آلة مهمة ومفيدة هي (القلم)، التي كانت ولا زالت آلة تدوين العلم مهما تطور الزمن.

قال تعالى: الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾([2]).

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان وقد زوده بأدوات (العلم)، وهي: السمع، البصر، العقل، وباقي الحواس، كما وعلمه أدوات العلم، ومنها: القلم، وكان قبل ذلك لا يعلم أي شيء مطلقاً.

قال تعالى: وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾([3]).

الدين الإسلامي الحنيف هو دين العلم والمعرفة، دين القراءة، دين التعليم، ودليل ذلك ان أول ما نزل من القرآن الكريم هي سورة (اقرأ)، التي أكدت على القراءة، ذلك ان القراءة هي المفتاح للعلوم والمعارف.

العلم في الدين الإسلامي يسبق العمل، إذ لا عمل من دون علم، في تأكيدٍ على أهمية العلم ومكانته في الإسلام.

([1]) سورة الأنعام، الآية (٥٩).

([2]) سورة العلق، الآيات (٤ ـ ٥).

([3]) سورة النمل، الآية (٧٨).

قال تعالى: فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾([1]).

كما وانه تعالى قد حذر كل إنسانٍ عموماً، والمسلم خصوصاً من القول من دون علم، وذلك واضح جلي في آيات القرآن الكريم.

قال تعالى: وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾([2]).

الله سبحانه وتعالى يسأل الإنسان عن كل شيء، فلا بدّ له من العلم بذلك، وتحضير الجواب.

٥ـ من أدلة توحيده انه تعالى علم عباده الصالحين:

الله سبحانه وتعالى مضافاً للعلم الذي علمه لكل بني البشر، فإنه تعالى قد ألهم عباده الصالحين علوماً أخرى، ومن عباده الصالحين الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ثم الأئمة عليهم السلام، ومن ثم الصالحين.

قال تعالى: وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾([3]).

فأساس الاختيار لهؤلاء العباد الصالحين هو الاصطفاء الإلهي غير الإجباري ولا المتحيز، فهم في أصل الخلق قد تميزوا فكانوا الأوائل والمختارين.

الله سبحانه وتعالى ورأفة بالعباد الباقين قد علمهم طرقاً لنيل العلم الصالح، ومن ذلك التقوى.

قال تعالى: وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾([4]).

وقال تعالى: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾([5]).

([1]) سورة محمد، الآية (١٩).

([2]) سورة الإسراء، الآية (٣٦).

([3]) سورة الكهف، الآية (٦٥).

([4]) سورة البقرة، الآية (٢٨٢).

([5]) سورة الطلاق، الآية (٢).

وقال تعالى: وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾([1]).

فأي علم ورزق أفضل من العلم، إذ بالعلم تُكتسب كل المكرمات، وتنال الفضائل.

ثالثاً: أهمية العلم والمعرفة في القرآن الكريم:

القرآن الكريم قد أكد على أهمية العلم والمعرفة، ودليل ذلك ان أول آية نزلت في التأكيد على العلم والمعرفة، وعلى القراءة والدرس.

هناك جملة من الآيات القرآنية التي أكدت على أهمية العلم والمعرفة في القرآن الكريم، منها:

١ـ من أدلة أهمية العلم إرساله تعالى من يملك العلم والمعرفة لهداية وقيادة الناس:

الله سبحانه وتعالى قد اصطفى من عباده اناساً صالحين لهداية البشرية، ولنشر العلم والمعرفة فيما بينهم، وكان شرط الاصطفاء هو التفضيل بالعلم قبل كل شيء.

قال تعالى: إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾([2]).

فالاصطفاء بوجود الصفات الحسنة، وأولها العلم، ما هذا إلا دليل عظيم على أهمية العلم في كل شيء، وفي القرب منه سبحانه وتعالى.

يقول الشيخ الطبرسي في بيان حال طالوت: (وكان أعلم بني إسرائيل في وقته وأجملهم وأتمهم وأعظمهم جسماً وأقواهم شجاعة... لا تنكروا ملكه وإن لم يكن من أهل بيت الملك، فإن الله سبحانه مالك الملك يؤتي الملك من يشاء... عليم بمن ينبغي ان يؤتيه الفضل والملك اما للاستصلاح واما للامتحان... وفيها دلالة على ان من شرط الإمام ان يكون أعلم من رعيته، وأكمل وأفضل في خصال الفضل والشجاعة، لأن الله علّل تقديم طالوت عليهم بكونه أعلم وأقوى، فلولا ان ذلك شرط لم يكن له معنى)([3]).

([1]) سورة الطلاق، الآية (٤).

([2]) سورة البقرة، الآية (٢٤٧).

([3]) مجمع البيان، الطبرسي، مصدر سابق، ج١ / ٦١٣.

فكان التفضيل بواسطة العلم مائز مهم للقيادة، بأن يكون القائد أعلم الناس حتى يستطيع أن يفهم ويقرر.

٢ـ من أدلة أهمية العلم أنه تعالى فضل أنبياء ورسله بالعلم:

فإنه تعالى قد فضل أنبياء ورسله جميعاً بالعلم.

قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾([1]).

يقول الشيخ الطبرسي عن المراد بـ(العلم) في الآية القرآنية المتقدمة: (أي: من البرهان الواضح على أنه عبدي ورسولي... وقيل فمن حاجك في الحق)([2]).

٣ـ من أدلة أهمية العلم ان العلم المطلق عنده تعالى:

فإن العلم المطلق يقيناً عند الله سبحانه وتعالى، دلت على ذلك آيات قرآنية كثيرة منها:

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾([3]).

أي ان العلم الحقيقي والدقيق هو عند الله سبحانه وتعالى، فإن توقيت الأمور، وحركة الكائنات، وساعات الرحمة والعذاب على حدٍ سواء علما عند الله سبحانه وتعالى، ذلك العلم الحق من لدن الحق تعالى.

يقول الشيخ الطبرسي عن تفسير الآية المباركة المتقدمة: ان الله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم متى يأتيهم العذاب وليس نبي الله هود، وواجب نبي الله هود هو ان يبلغهم ما أرسله الله تعالى به إليهم وما أمره تعالى به، ولكنهم كانوا قوماً يجهلون، حيث لا يستجيبون إلى ما فيه صلاحهم ونجاتهم، بل كانوا يستعجلون بالعذاب الذي فيه هلاكهم يقيناً، وهذا ـ يقيناً ـ لا يفعله إلا الجاهل بالمنافع والمضار([4]).

([1]) سورة آل عمران، الآية (٦١).

([2]) مجمع البيان، الطبرسي، مصدر سابق، ج ١ / ٧٦٣.

([3]) سورة الأحقاف، الآية (٢٣).

([4]) ظ: مجمع البيان، الطبرسي، مصدر سابق، ج ٥ / ١٣٦.

المطلب الثالث: العليم من صفات الله تعالى:

إن العليم هي من صفات الله سبحانه وتعالى، فهو تعالى (العليم) و(العالم) و(العلام)، فلقد أحاط سبحانه وتعالى بكل شيء علماً، كما وان (العليم) اسم من أسماء الله الحسنى، وهو اسم وصفة تطلق عليه سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾([1]).

انه وعن صفة واسم (العليم) الخاص بتعليم الإنسان، وان العلم المطلق عند الله سبحانه وتعالى، وان البشر في مسألة العلم على درجات، فإننا نجد آيات قرآنية تؤكد على ذلك منها:

قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾([2]).

وما ذلك إلا بيان وحكمة عظيمة، على الإنسان الالتفات لها.

أولاً: المراد بالصفات وصفاته تعالى:

فصفاته تعالى هي عين ذاته، وليس هناك فرق ما بين أسمائه وصفاته، فكلها واحد، وهي داله عليه تعالى.

التوحيد الصفاتي:

وهو الإيمان بأن ذاته تعالى عين صفاته، ولقد (اختلف الإلهيون في كيفية إجراء صفات الله سبحانه وتعالى الذاتية عليه وذلك على قولين:

الأول: عينية الصفات مع الذات، وهذا ما تبناه أئمة أهل البيت عليهم السلام، واختاره الحكماء الإلهيون، والذي عليه جمهور المتكلمين من الإمامية والمعتزلة وغيرهما.

والثاني: زيادتها على الذات، وهو مختار المشبهة من أصحاب الصفات، وهو قول الأشاعرة)[3].

([1]) سورة يوسف، الآية (٥٥).

([2]) سورة يوسف، الآية (٧٦).

([3]) محاضرات في الإلهيات، جعفر السبحاني، مصدر سابق، ٥٣.

يقول الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ): (إن الله عز وجل حيّ لنفسه لا بحياة، وأنه قادر لنفسه وعالم لنفسه لا بمعنى كما ذهب إليه المشبَّهة من اصحاب الصفات... وهذا مذهب الإمامية كافة والمعتزلة إلا من سميناه، وأكثر المرجئة وجمهور الزيدية وجماعة من اصحاب الحديث والمحكمة)[١].

فمن أقسام التوحيد المهمة هو (التوحيد الصفاتي)، فصفاته واسمائه تعالى من نفسه بنفسه لنفسه، وهي ليست زائدة، وليست خارجية، وليست مضافة، بل هي (عينية) دالة عليه سبحانه وتعالى حقاً وحقيقة.

وعن صفة العليم يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (إن من أهم صفات الله سبحانه وتعالى بعد التوحيد تتمثل في علمه اللامحدود واحاطته بكافة أسرار عالم الوجود المترامي الأطراف، وذاته المقدسة، فلا يخفى عليه خافية ولا شاردة ولا واردة ولا ذرة في هذا العالم الواسع. لقد أحاط علمه ـ جل وعلا ـ بكل قطرة غيثٍ تنزل من السماء، وبكل زهرة تتفتح في أغصان الأشجار، وبكل حبة في ظلمات الأرض، وبك موجود وكائن حي يسبح في أعماق البحار العميقة المظلمة، وبكل شهاب يضيء وينطفئ في هذه السماء الواسعة، وبكل موجٍ يرتفع ويهدر على سطح المحيطات، وبكل نطفةٍ تنعقد في ظلمات الرحم، وبالتالي بكل فكرةٍ تخطر على بال أحد. وعلمه بالأزل والأبد واحد، وإحاطته العلمية بملايين مليارات السنوات الماضية والمستقبلية كإحاطته بالحاضر، وبحضوره في كل مكانٍ وزمان، فلم يبق للبعيد والقريب والماضي والحاضر والمستقبل معنى، فجميعها متساوية لديه جل شأنه)([٢]).

لقد ورد اسم الله تعالى (العليم) في القرآن الكريم (١٥٧) مرة، وما ذلك إلا دليلٌ على أهمية هذا الاسم وأهمية هذه الصفة العظيمة، ولقد جاء العليم في أغلب الآيات القرآنية مقروناً مع أسماء أخرى له تعالى كـ(الحكيم)، و(السميع).

قال تعالى: ﴿قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾([٣]).

([١]) أوائل المقالات، الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، تحقيق: إبراهيم الأنصاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، ط٢، ١٤١٤هـ، ٥٦.

([٢]) نفحات القرآن، ناصر مكارم الشيرازي، مصدر سابق، ج ٤ / ٤٩.

([٣]) سورة البقرة، الآية (٣٢).

وقال تعالى: قال ربي يعلم القول في السماء والأرض وهو السميع العليم﴾([1]).

ثانياً: أدلة علمه تعالى من القرآن الكريم:

هناك جملة من الآيات القرآنية التي دلت على علمه تعالى، والتي وضعها البحث ضمن فقرات هي:

١ـ انه تعالى يعلم ما في السماوات والأرض:

فالله سبحانه وتعالى هو العالم المطلق بكل ما في السماوات والأرض جميعاً، بل وأكثر من ذلك، فقد وسع علمه كل شيء.

ذلك انه تعالى يعلم بكل شيء، فهو العليم، أي لا تخفى عليه أجزاء الجزء، لذلك قد وسع علمه كل شيءٍ بحق.

قال تعالى: لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾([2]).

وقال تعالى: إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيءٍ علماً﴾([3]).

فالذي يستحق العبادة والتعظيم والتبجيل هو الله سبحانه وتعالى، وحده لا شريك له، فهو تعالى وحده الذي وسع علمه كل شيء، إذ لا تخفى عليه تعالى خافية في السماء أو في الأرض، ودلالة انه تعالى قد (وسع كل شيءٍ علماً) هو دلالة على الحكمة، فكل أفعاله تعالى عن حكمة، وليست إلا أفعال لها فائدتها التي لا يعلمها الإنسان.

ثم ان العلم لا يقتصر على معرفة الظاهر، وانما يشمل الباطن وحقائق الأشياء، وهذا مختصٌ به تعالى، إذ هو متعذر على الإنسان.

٢ـ انه تعالى يعلم بكل شيء:

الله سبحانه وتعالى هو العالم بكل شيء، دلت على ذلك آيات القرآن الكريم.

قال تعالى: وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾([4]).

([1]) سورة الأنبياء، الآية (٤).

([2]) سورة المائدة، الآية (٩٧).

([3]) سورة طه، الآية (٩٨).

([4]) سورة الأنبياء، الآية (٨١).

الله سبحانه وتعالى ومن باب التعظيم وبيان الحقيقة قال (كنا) بالجمع التفخيمي، دلالة على مكانته الحقيقية، وعلمه المطلق بكل شيء.

٣ـ انه تعالى هو السميع العليم:

الله سبحانه وتعالى سميع وعليم في نفس الوقت، وقد وردت آيات قرآنية كثيرة تؤكد على ذلك.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾([1]).

ففي هذه الآية الكثير من الحكم، فالعلم الإنساني يتم تحصيله بواسطة الحواس، وان أقوى الحواس عند الإنسان هي حاسة السمع.

لذا فإن التعليم الصحيح ليس بالقراءة وحدها، بل ان الاستماع (السمع) للدروس مهم جداً في عملية التعلم والتعليم، ذلك ان القراءة وحدها لا تكون كافية، وبما ان حاسة السمع هي الأقوى، لذا ينبغي عدم التوقف عن استماع الدروس، وعلى المعلم الناجح مراعاة ذلك.

٤ـ انه تعالى لديه علم الساعة وباقي العلوم:

الله سبحانه وتعالى هو العالم بـ(علم الساعة)، وهو علمٌ مختصٌ به تعالى.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾([2]).

وهذا هو ما يسمى بـعلمه بالشيء قبل كونه، وهو سر من الأسرار الخاصة بالله تعالى، ودلالة على علمه المطلق الذي لا يعلمه إلا هو وحده، وليس لهذا العلم عالمٌ غيره تعالى، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، بل هو خاصٌ به تعالى وحده لا شريك له.

اقتداؤنا باسم الله تعالى (العليم) يقودنا إلى معرفة أمورٍ مهمة لا بدّ للعالم والمتعلم أن يعرفها، منها:

([1]) سورة الشعراء، الآية (٢٢٠).

([2]) سورة لقمان، الآية (٣٤).

أ ـ ما دام الله تعالى هو العليم بنا وبأفعالنا فإن علينا أن نؤمن بقضاء الله تعالى، وان نؤدي ما أمرنا به، وهو ـ حينها ـ المسدد لنا كونه تعالى هو العليم.

ب ـ عن العلم عبادة، وقد أكد عليه سبحانه وتعالى في آيات القرآن الكريم.

جـ ـ العلم الصحيح والصالح يورث الخشية من الله تعالى.

د ـ العلم الحقيقي يورث الحياء من الله سبحانه وتعالى في كل حركة وسكنة.

هـ ـ لا بدّ أن يعلم الإنسان انه ومهما بلغ من العلم فهو قليل ومحدود، فعلى الإنسان ان لا يتكبر إذا وصل إلى درجة علمية عالية دنيوياً، فهي مهما بلغت تبقى محدودة، ويوجد ـ دنيوياً ـ شيء أعلى منها.

و ـ العبرة في التعليم الصحيح، وعن طريقه الصحيح، بأسلوب صحيح، وأدوات صحيحة، وقد دلنا الله سبحانه وتعالى على مفاتيح العلم، وما على الإنسان إلا ان يتقي الله تعالى ليفتح له تلك الأبواب، ويوفقه في نهل المزيد منها، فهي أبواب ذات كنوز لا تنفذ.

٥ـ انه تعالى يعلم ما يلج في الأرض وباقي العلوم الأخرى:

الله سبحانه وتعالى هو العالم والعليم بكل ما في الأرض وما في السماء

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾([1]).

الله سبحانه وتعالى هو العالم بما في الأرض وما يخرج منها، وهو العالم ـ كذلك ـ بما ينزل من السماء وما يعرج (يصعد) فيها.

وهنا لا بدّ لنا من وقفة مهمة لبيان علمه تعالى، وما ورد في تفسير الآية (٥٩) من سورة الأنعام المباركة.

قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾([2]).

([1]) سورة سبأ، الآية (٢).

([2]) سورة سبأ، الآية (٢).

فاسم الله تعالى (العليم) قد اشتمل على المراتب الأربع للعلم الإلهي والتي هي([1]):

الأول: علمه بالشيء قبل كونه، وهذا هو سر الله سبحانه وتعالى في خلقه، ولا يعلم ذلك ملكٌ مقرب ولا نبي مرسل، ويسمى بعلم (التقدير).

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾([2]).

الثاني: علمه تعالى بالشيء وهو في اللوح المحفوظ بعد كتابته، وقبل إنفاذ أمره تعالى ومشيئته.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾([3]).

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾([4]).

الثالث: علمه تعالى بالشيء حال كونه وتنفيذه ووقت خلقه.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ * عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾([5]).

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾([6]).

([1]) ظ: جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ، ج٤ / ٢٣٢.

([2]) سورة لقمان، الآية (٣٤).

([3]) سورة الحج، الآية (٧٠).

([4]) سورة الحديد، الآية (٢٢).

([5]) سورة الرعد، الآيات (٨-٩).

([6]) سورة سبأ، الآية (٢).

الرابع: علمه بالشيء بعد كونه وتخليقه، وعلمه بتفاصيل أفعاله، وخواطره، وحديث نفسه.

قال تعالى: **أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾([1]).**

([1]) سورة التوبة، الآية (٧٨).

المبحث الثاني: المباني القيمية للتعلم وأثرها في معرفة الوحي والنبوة والإمامة:

المطلب الأول: الوحي والعلم والقراءة والدرس:

إن من المهم الوقوف عند مبحث الوحي وعلاقته بالعلم والقراءة والدرس، وهو مبحث مهم جداً تتوضح فيه المباني القيمية للتعلم وأثرها في مسائل عقائدية مهمة، ومنها الوحي.

أولاً: الوحي لغة واصطلاحاً:

الوحي لغة:

الوحي في اللغة هو:

الإعلام الخفي السريع، أو: (الإعلام في خفاء)، أي: الطريقة الخفية في الإعلام، وقد اطلق هذا اللفظ على الطريقة الخاصة التي يتصل بها الله تعالى برسوله، نظراً إلى خفائها و دقتها و عدم تمكن الأخرين من الاحساس بها[١].

وقيل هو: إعلام سريع خفي، سواء كان بإيماءة أو همسة أو كتابة في سر[٢].

الوحي اصطلاحاً:

الوحي في الاصطلاح هو:

الطريقة الخاصة التي يتصل بها الله تعالى برسله و أنبياءه لإعلامهم ألوان الهداية و العلم، (ولم يكن الوحي هو الطريقة التي تلقى بها خاتم الانبياء وحده كلمات الله، بل هو الطريقة العامة لاتصال الانبياء بالله، و تلقيهم للكتب السماوية منه تعالى)[٣] .

الوحي هو (الإعلام) متأتي من (العلم) فهو في أساسه (علم) و(تعليم)، علمٌ من الله سبحانه وتعالى لنبيه أو رسوله الذي اصطفاه.

---

(١) المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، مطبعة شريعت، قم ـ إيران، ط٢، ١٤٢٤هـ، ٢١٩.

(٢) علوم القرآن، نبيل الحسني، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣٩هـ، ٤٣.

(٣) المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، مصدر سابق، ٢١٩.

قال تعالى: وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ﴾([1]).

وقال تعالى: وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾([2]).

وقال تعالى: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾([3]).

وقال تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾([4]).

وقال تعالى: إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾([5]).

ثانياً: أنواع الوحي الإلهي:

١ـ إلقاء المعنى في القلب:

أي إلقاء المعنى في قلب النبي ﷺ أو النفث في روعه بصورة يحس بأنه تلقاه من الله تعالى.

وقد أشار ﷺ إلى هذا بقوله: ((إن روح القدس نفث في روعي))[6].

٢ـ تكليم النبي:

كما في تكليم النبي محمد ﷺ من قبل الله تعالى من وراء حجاب، كما نادى الله موسى عليه السلام من وراء الشجرة وسمع نداءه.

٣ـ إلقاء الوحي لأمر الله تعالى على النبي:

([1]) سورة النحل، الآية (١٥).

([2]) سورة القصص، الآية (١٤).

([3]) سورة الجمعة، الآية (٢).

([4]) سورة العلق، الآيات (١ ـ٥)

([5]) سورة النج، الآيات (٤ ـ٥)

([6]) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٣٩٤هـ، ١ / ١٢٩.

كحين يلقي ملك الوحي المرسل من الله إلى نبي من الأنبياء ما كلف القاؤه إليه، سواء انزل عليه في صورة رجل أم في صورته الملكية.

قال رسول الله ﷺ: ((وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً، فيكلمني فأعي ما يقول))[1] .

وهذا هو النوع الثالث من أنواع الوحي الإلهي.

٤ـ الرؤيا الصادقة:

قال أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام: ((رؤيا الأنبياء وحي))[2].

وقال الإمام الباقر عليه السلام: ((وأما النبي فهو الذي يرى في منامه، نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام ونحو ما كان رأى رسول الله ﷺ من أسباب النبوة قبل الوحي، حتى أتاه جبرائيل عليه السلام من عند الله بالرسالة))[3].

هذه اربعة أنواع للوحي الإلهي، والتي أوردها المختصون في كتبهم التي تناولوها منطلقين من آيات القرآن الكريم، والأحاديث الخاصة بالوحي.

ثالثاً: الوحي الرسالي:

الباحث هنا هو حول (الوحي الرسالي) وليس مطلق الوحي.

يقول عنه الشيخ محمد هادي معرفة: (فيتلخص التعريف بالوحي الرسالي: في أنه عبارة عن اتصال روحي مباشر بين الملأ الأعلى وشخصية الرسول الباطنة. وذلك لخصائص فيه أهلته لهذا الاتصال الغيبي الفذ. ومن ثم أمكنته من مكاشفات روحية صاحية يرى من خلالها ملكوت العلى رؤياً بالعيان من غير التباس ولا إيهام. ويفترق عن الإلهام بمعرفة مصدر الإيحاء معرفة ضاحية كالشمس اللائحة، على خلاف الإلهام الخافي مصدره على الشخص المُلْهَم. كما ويفترق عن الاستلهام النفسي بأن هذا انعكاس الخواطر النفسية المتراكمة في النفس فتتجلى أحياناً وربما من غير شعور. على خلاف الوحي الرسالي المستلهم من خارج النفس، من الملأ

---

(١) الجامع الصحيح، ابو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، ج١ / ٣.

(٢) أمالي الشيخ الطوسي، مصدر سابق، ٢١٥، والبحار، مصدر سابق، ج ١١ / ٦٤.

(٣) الكافي، الكليني، مصدر سابق، ج ١ / ١٧٦، والبحار، مصدر سابق، ج ١٨ / ٢٦٦.

الأعلى من عند رب العالمين، معلوماً ذلك للنبي علماً قاطعاً لا يتردد و لا يشك فيما أوحى إليه أنه وحي السماء، ومن ثم لا يفزع و لا يتروّع)[1].

ذلك بيان لما هو المراد بـ(الوحي الرسالي) بشكلٍ عام، ولقد توسعت الكتب المختصة في هذا المورد، ومحل بحثنا به هو معرفته، وبيان علاقته بموضوع الاطروحة.

رابعاً: الوحي ومسألة العلم وما يتعلق بها:

لقد حث القرآن الكريم على العلم، وذلك في آياتٍ كثيرة، وان أول الآيات النازلة منه ككتابٍ سماوي خاتم للرسالة الخاتمة هي الآيات الأولى من سورة (العلق)، أو (اقرأ).

هذه الآيات الأولى النازلة كانت تحث على (القراءة)، و(العلم)، و(التعلم)، وتتكلم عن (العلم)، و(القلم)، وانه تعالى قد جعل من القراءة طريقاً للعلم، ومن القلم طريقاً لتدوين العلم، ومن خلال العلم تتباين وتتفاوت الدرجات دنيوياً وأخروياً.

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[2].

نعم، العلم والمعرفة لهما طرائق ووسائل ومصادر، ومن أهم مصادرهما، بل مصدرهما الأول هو الوحي، ذلك انه الطريق الوحيد لمعرفة الغيب، وهداية البشر، وسوقهم إلى الطريق الصحيح، وهو مصدرٌ قطعي وليس ظني.

الوحي هو الواسطة ما بين الله سبحانه وتعالى والبشرية، وهو الذي ينزل عليهم الرحمة والأرزاق وغيرها، ومن أبرز أنواع الرحمة والرزق هو (العلم)، فالله سبحانه وتعالى لا يترك أحداً إلا وارسل إليه العلم كلٌ بحسبه وبحسب ظروفه وزمانه ومكانه، لكن العلم لم ينقطع عن البشرية، وكان هذا التسديد الإلهي للبشرية جمعاء هو الرحمة الكبرى بينهم، فالله سبحانه وتعالى لم يخلق البشرية ثم يتركها، بل خلقها وجعل بركاته وعطاياه مستمرة معها إلى يوم القيامة، ومن ذلك العلم، فبالعلم يُعرف الله سبحانه وتعالى، ويعرف الحق، وتعرف طرق النجاة.

([1]) التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣٢هـ، ج ١ / ٧٣ .

([2]) سورة المجادلة، الآية (١١).

المطلب الثاني: النبوة والعلم والقراءة والدرس:

من المهم أن نقف في هذا المطلب عند علاقة النبوة بالعلم والقراءة والدرس، وذلك من خلال بيان تعريف النبوة، وما يتعلق بذلك.

أولاً: النبوة لغة واصطلاحاً:

النبوة لغة:

النبأ محركة: الخبر، أنبأه اياه به: أخبره، والنبيء: المخبر عن الله تعالى، جمع: أنبياء، والاسم النبوءة، ونبأ كمنع نبأً ونبواً: ارتفع، وعليهم: طلع، ومن أرض إلى أرض: خرج[١]. فالنبوة في اللغة يراد بها: الرفعة وعلو المنزلة[٢].

يقول السيد الطباطبائي: (والنبي على وزن فعيل مأخوذ من النبأ، سمي به النبي؛ لأنه عنده نبأ الغيب، بوحي من الله، وقيل: هو مأخوذ من النبوة بمعنى الرفعة سمي به لرفعة قدره)[٣].

النبوة اصطلاحاً:

النبوة في الاصطلاح: هي منزلة خاصة فُضل النبي بها بما آتاه الله سبحانه وتعالى من العلم، وقُرب المنزلة من الله تعالى، وعليه فإن النبي من أوتي تلك المنزلة المختارة أو المصطفاة[٤].

فالنبوة: سفارة بين الله تعالى وبين ذوي العقول من عباده، لإزاحة عللهم في أمر معادهم ومعاشهم[٥].

ثانياً: النبي:

النبي مصطلح يراد به: إنسان ذي منزلة رفيعة عند الله سبحانه وتعالى، يوحى إليه، لهداية الناس وإرشادهم إلى الطريق الصحيح.

---

(١) ظ: لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق، مفردة (نبأ).

(٢) ظ: المصطلحات الإسلامية، مرتضى العسكري، جمع وتنظيم: سليم الحسني، كلية أصول الدين، قم ـ إيران، ط١، ١٤١٨هـ، ٦٣.

(٣) تفسير الميزان، الطباطبائي، مصدر سابق، ج ١٤ / ٥٨.

(٤) ظ: المصطلحات الإسلامية، مرتضى العسكري، مصدر سابق، ٦٣.

(٥) ظ: شرح الباب الحادي عشر، المقداد السيوري (ت٨٢٦هـ)، مؤسسة استان قدس رضوي، ط١، ١٤٢٨هـ، ٣٤.

يقول الشيخ محمد رضا المظفر: (النبوة وظيفة إلهية وسفارة ربانية يجعلها الله تعالى لمن ينتجبه ويختاره من عباده الصالحين وأوليائه الكاملين في انسانيتهم)[١].

جاء في روايات متعددة منقولة عن أهل البيت عليهم السلام أنهم قالوا في معرض الإجابة عن السؤال عن الفرق بينهما: ((النبي الذي يرى في منامه ويسمع الصوت ولا يعاين الملك، والرسول الذي يسمع الصوت ويرى في المنام ويعاين الملك))[٢].

إن النبي أو الرسول كلاهما مرسلان إلى الناس، غير ان النبي قد بعث لينبئ الناس بما عنده من أنباء الغيب، وذلك لكونه خبيراً عالماً بما عند الله سبحانه وتعالى، أما الرسول فهو المرسل برسالة خاصة([٣]).

ثالثاً: أصناف الأنبياء:

وعن أصناف الأنبياء قال الإمام الصادق عليه السلام: ((الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات: فنبي منبأ في نفسه لا يعدو غيره، ونبي يرى في النوم ويسمع الصوت ولا يعاينه في اليقظة، ولم يبعث إلى أحدٍ وعليه إمام مثل ما كان إبراهيم على لوط عليهما السلام، ونبي يرى في منامه ويسمع الصوت ويعاين الملك، وقد أرسل إلى طائفة قلوا أو كثروا كيونس قال الله ليونس "وأرسلناه إلى مائة ألفٍ أو يزيدون" ـ قال: يزيدون: ثلاثين ألفاً ـ وعليه إمام، والذي يرى في نومه ويسمع الصوت ويعاين في اليقظة وهو إمام مثل أولي العزم))[٤].

بعد ذلك يتوضح لنا المراد بالنبوة لغة واصطلاحاً، وكل ما يتعلق بذلك من مباحث، وبشكلٍ مختصر ومفيد وواضح.

يقول الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي: (إن الاعتقاد بوجود أفراد من الناس ينالون مقام النبوة والرسالة هو لون من ألوان معرفة الإنسان... فإذا عُرف الإنسان بشكلٍ صحيح فإن من أبعاد معرفته ان يُعلم ان في النوع الإنساني من يتمتع بهذه اللياقة)[٥].

([١]) عقائد الإمامية، الشيخ المظفر، مصدر سابق، ٣١.

([٢]) الكافي، الكليني، مصدر سابق، ١ / ١٧٦.

([٣]) ظ: تفسير الميزان، الطباطبائي، مصدر سابق، ج ٢ / ١٤٠.

([٤]) الكافي، الكليني، مصدر سابق، ج ١ / ١٧٤.

([٥]) معارف القرآن، محمد تقي مصباح اليزدي، مصدر سابق، ج ٣ / ٧.

قال تعالى: وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [1].

يقول الشيخ اليزدي (رحمه الله): (فهل معنى هذا أنه لا بدّ من إرسال رسول إلى كل مدينة أو إلى كل مجموعة من الناس تعيش في مكان معين أو إلى كل زمان بحيث تكون سلسلة الأنبياء متصلة ببعضها من حيث الزمان أم يتم ذلك بصورة أخرى؟)[2].

قال تعالى: رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [3].

يقول الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي: (فأول هدف للنبوة هو ان يميز الناس طريق الصواب من طريق الخطأ حتى يختار كل واحد منهم طريقه بوعي وعلم، وبعبارة أخرى حتى تتم الحجة عليهم... ويشير ذيل الآية إلى ان إتمام الحجة عليهم هو من لوازم الحكمة الإلهية... إذن يُعلم من هذا ان من أهداف بعثة الأنبياء هو إتمام الحجة على الناس... فإن آيات القرآن تارة هي خطاب لقوم معينين، وأخرى تخاطب أهل الكتاب أو المشركين، إلا ان المضمون واحد) [4].

فالنبوة في الأرض هي المرشدة والموجه لتعاليم السماء النازلة إلى البشر، وهي المعلم والمرشد والموجه لهم، وهي المشرعة لهم ما تريده السماء منهم ولهم من تشريعات تفيدهم وتنفعهم في دنياهم وأخراهم، وكل ذلك يتم عن طريق العلم والتعلم والقراءة والدرس.

رابعاً: الآيات القرآنية الخاصة بالنبوة ذات العلاقة بالعلم والمعرفة:

هناك جملة واجبات على النبي عليه السلام، وبالخصوص في مجال التربية والتعليم، وفي مجال العلم والمعرفة، منها:

١ـ واجب النبي الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى:

فمن أول واجبات النبي عليه السلام هي الدعوة إلى الله تعالى، بأن يدعو العباد جميعاً إلى الله سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة فاطر، الآية (٢٤).

(٢) معارف القرآن، اليزدي، مصدر سابق، ج ٤ / ١٧.

(٣) سورة النساء، الآية (١٦٥).

(٤) معارف القرآن، اليزدي، مصدر سابق، ج ٤ / ١٨ـ١٩.

قال تعالى: وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾([1]).

٢ـ واجب النبي عليه السلام التربية:

من أهم واجبات النبي عليه السلام هي التربية للأفراد وللمجتمع، التربية الإلهية الصالحة.

قال تعالى: هو الذي بعث في الأميين رسولاً يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾([2]).

فقدم التزكية (وهي التربية والتطهير من أدران الجاهلية) على التعليم، لأن التربية تسبق التعليم.

٣ـ واجب النبي التعليم:

فالنبي هو المعلم البشري الأول لمن ارسل إليهم من أفراد ومجتمعات.

قال تعالى: رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾([3]).

فإنه وبواسطة التعليم بما في الكتاب من علوم ومعارف، وهي ـ عموماً ـ ليست مختصة بالدين فقط، حينها ستتطهر النفوس، وتصبح بالعلم الحقيقي محل للتطور، وللرحمة الإلهية.

٤ـ واجب النبي التبيين:

من واجب الأنبياء عليهم السلام عموماً، والنبي محمد صلى الله عليه وآله خصوصاً التبيين للناس ما في الكتب السماوية من علوم ومعارف.

قال تعالى: وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبيين لهم الذي اختلفوا فيه وهدىً ورحمة لقوم يؤمنون﴾([4]).

فعلى الأنبياء ان يبينوا للناس ما يفيدهم ويزكي ويطهر أنفسهم، ويقربهم من الله سبحانه وتعالى، وذلك هو العلم الحقيقي، وهو أفضل وأزكى وأنمى العلوم.

([1]) سورة الأعراف، الآية (١٠٤).

([2]) سورة الجمعة، الآية (٢).

([3]) سورة البقرة، الآية (١٢٩).

([4]) سورة النحل، الآية (٦٤).

٥ـ جاء الأنبياء بالعلم رحمة للناس:

فالأنبياء عليهم السلام جميعاً قد جاءوا برسالاتهم من الله سبحانه وتعالى، لينقذوا الناس من الجهل.

قال تعالى: كان الناس أمةً واحدةً فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾([1]).

الكتاب السماوي يبلغ إلى الناس بواسطة (التعليم)، وعلى الناس تعلم ما فيه، في حال ارادوا نبذ الاختلافات فيما بينهم.

٦ـ الأنبياء ارسلوا بلسان أقوامهم:

من أساسيات التعليم ان يكون بنفس اللغة، وهذا من اساسيات التبليغ والتعليم الصحيح.

قال تعالى: وما أرسلنا من رسولٍ إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾([2]).

فالتبليغ والتعليم بنفس اللغة وبكل ما بها من تعبيرات وكلمات أوقع في النفس من التبليغ بلغة أخرى، أو بواسطة الترجمة.

خامساً: النبوة ومسألة العلم وما يتعلق بها:

الأنبياء عموماً، والنبي محمد ﷺ عمل في مجال العلم والمعرفة، وتعليم الناس وارشادهم ضمن دوائر ثلاثة هي:

أ ـ الدائرة الفردية:

الدائرة الفردية هي الدائرة الأولى في التعليم والإرشاد، دلت على ذلك جملة آيات قرآنية منها:

قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾([3]).

وقال تعالى: يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم ﴾([4]).

([1]) سورة البقرة، الآية (٢١٣).

([2]) سورة إبراهيم، الآية (٤).

([3]) سورة المائدة، الآية (١٠٥).

([4]) سورة التحريم، الآية (٦).

هذه الآيات لا تريد القول بالأنانية، بل ان الانطلاق لإصلاح الغير يبدأ بإصلاح النفس أولاً، فالإنسان عليه بناء نفسه ثم يبني غيره، ومن ثم يبني المجتمع، والإنسان يتعلم وقايةً لنفسه، ويعلم غيره طرق الوقاية.

ب ـ الدائرة الأسرية:

الدائرة الأسرية هي الدائرة الثانية بعد دائرة الفرد، وقد دلت آيات قرآنية على أهمية هذه الدائرة منها:

قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم﴾([1]).

وقال تعالى: وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾([2]).

الإنسان الصالح أشبه بالنبي لكن داخل اسرته، وعليه ارشادهم وتوعيتهم، فكيف إذا كان (معلماً). فالمعلم هو رسول العلم، والمعرفة، والتربية. لذلك فإن دائرة الأسرة من أهم الدوائر التي يجب العمل عليها.

جـ ـ الدائرة المجتمعية:

الدائرة الثالثة هي دائرة المجتمع، وقد أكدت عليها جملة آيات قرآنية منها:

قال تعالى: وأنذر عشيرتك الأقربين﴾([3]).

وقال تعالى: فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لدا﴾([4]).

وقال تعالى: وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب﴾([5]).

وقال تعالى: فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين﴾([6]).

([1]) سورة التحريم، الآية (٦).

([2]) سورة طه، الآية (١٣٢).

([3]) سورة الشعراء، الآية (٢١٤).

([4]) سورة مريم، الآية (٩٧).

([5]) سورة إبراهيم، الآية (٤٤).

([6]) سورة العنكبوت، الآية (٤١).

الدائرة الثالثة هي الدائرة المجتمعية، وهي مهمة جداً في مجال التبليغ والإرشاد، وفي مجال التعليم والتدريس والتربية والتوجيه، لذلك نجد ان القرآن الكريم وعلى لسان النبي الأكرم محمد ﷺ قد أكد عليها.

المستفاد من استعراض الدوائر الثلاثة أمور منها:

١ـ التعليم مهم جداً، ومؤكد عليه، وهو أمر من الله سبحانه وتعالى للبشر بالقراءة والتعلم.

٢ـ واجب الأنبياء والمرسلين عليهم السلام هو إرشاد الناس، وتربيتهم وتعليمهم، من خلال اشاعة العلم والمعرفة، ومحاربة الجهل والتجهيل.

٣ـ الانطلاقة الحقيقية في التعليم تبدأ فردية، وذلك بأن يعلم الفرد نفسه، بعدها يمكن له الانطلاق إلى دوائر أوسع.

٤ـ الدائرة الأسرية مهمة جداً، وهي اساسية في شيوع التعليم، فهي التي تحبب افرادها بالعلم والمعرفة، وتعلمهم، وترشدهم لما فيه الخير والصلاح.

٥ـ الدائرة المجتمعية هي الدائرة الأوسع، مكونة من أفراد وأُسر، ويظهر عليها ما توفر للأفراد وللأُسر من حب للتعليم، أو تعليم وتنظيم وتوجيه.

٦ـ حصيلة كل ما تقدم يكون اما مجتمع متعلم يحب العلم والمعرفة، أو مجتمع ينتشر فيه الجهل والخرافة.

المطلب الثالث: الإمامة والعلم والقراءة والدرس:

أولاً: الإمامة لغة واصطلاحاً:

الإمامة لغة:

الإمامة من الأمّ، وهو القصد المستقيم والتوجه نحو المقصود.

قال تعالى: **ولا آمين البيت الحرام﴾**، أي: قاصدين([1]).

وتأتي بمعنى التقدم، فيقال: أمّ القوم وأمّ بهم، إذا تقدّمهم وصار لهم إماماً([2])، وجمعه أئمة([3]).

الأئمة: جمع إمام، أصلها أَأْمِمَة وزن أفعلة([4])، نحو مثال وأمثلة، أُدغمت الميم الأولى في الثانية فسكنت ونقلت حركتها إلى ما قبلها ـ أي الهمزة ـ فصارت أئمة([5])، وفيها ثلاث لغات: الأولى: أيمة بهمزة واحدة وياء([6])، والثانية: أَئَمَّة بهمزتين([7])، والثالثة: بينَ بين([8]).

والمفرد إمام على وزن (فعال)، بمعنى مفعول ككتاب([9]) بمعنى مكتوب، من أمَّ يؤُمُ يؤُمُ ـ من باب نصَر ينصُر ـ أَمّاً وإمَّة.

([1]) ظ: المفردات، الاصفهاني، مصدر سابق، ٨٧.

([2]) ظ: العين، الفراهيدي، مصدر سابق، ج ٨ / ٤٢٩، لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق، ج ١ / ٢١٣.

([3]) ظ: مجمع البحرين، الطريحي، مصدر سابق، ج ١ / ٧٧.

([4]) ظ: الصحاح، الجوهري، مصدر سابق، ج ٥ / ١٨٦٥.

([5]) ظ: العين، الفراهيدي، مصدر سابق، ج ٨ / ٤٢٩، تهذيب اللغة، الأزهري، مصدر سابق، ج ١٥/ ٦٣٩، الصحاح، الجوهري، مصدر سابق، ج ٥ / ١٨٦٥، لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق، ج١ / ٢١٤.

([6]) ظ: لسان العرب، ابن منظور، مصدر سابق، ج ١ / ٢١٤.

([7]) ظ: تهذيب اللغة، مصدر سابق، ج ١٥ / ٦٣٩.

([8]) ظ: المصباح المنير، مصدر سابق، ٢٤.

([9]) ظ: التحقيق في كلمات القرآن، حسن المصطفوي، مؤسسة الطباعة والنشر في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران ـ إيران، ط١، ١٤١٦هـ، ج ١ / ١٣٥.

والمتحصل من كلمات اللغويين: ان الإمام هو المقدم أو المقتدى به أو المقصود أو القاصد أو الهادي، والمراد به الأعم من الإنسان وغيره([1]).

قال تعالى: وكل شيءٍ أحصيناه في إمامٍ مبينٍ﴾([2]).

وإن كان الشائع في الاستعمال الآن هو خصوص الإنسان.

الإمامة اصطلاحاً:

تطلق الإمامة في اصطلاح الفقهاء على ثلاثة معانٍ:

١ـ الإمامة المنصوصة من قبل الله سبحانه وتعالى، بمعنى خلافة النبي ﷺ ووصايته من الله سبحانه وتعالى، وهم خصوص الأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

٢ـ الإمامة العامة، بمعنى الحاكمية وولاية الأمر.

٣ـ الإمامة في الصلاة (إمامة الجمعة والجماعة).

وإذا أُطلق مصطلح الإمامة بلا قيد فإنه ينصرف إلى الإمامة العظمى والولاية الكبرى، وهو الإمام المعصوم عليه السلام الذي جعل من قبل الله تعالى إماماً، وقدوة للناس، ومفترض الطاعة على العباد([3]).

أما لو أراد أحد اطلاقه على إمام مسجد أو ما شاكل، فإن عليه وضع القيود التوضيحية أو الصارفة، والتي تصرف المصطلح إلى ما يراد به.

هذا ـ عموماً ـ هو المراد بالإمامة اصطلاحاً، وما ورد في ذلك وفق المصطلح الخاص بتعريف الإمامة.

ثانياً: الإمامة في الاستعمال:

الإمامة في الاستعمال قد توسع في معناها حتى شمل كلّ من صار قدوة في فنٍ من فنون العلم؛ ولذا شاع استعماله بمفهومه العام في الكتاب والسنة.

([1]) ظ: معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ج ١ / ٢١ و ٢٨، تهذيب اللغة، مصدر سابق، ج ١٥ / ٦٣٥، لسان العرب، مصدر سابق، ج ١ / ٢١٤، الصحاح، مصدر سابق، ج ٥ / ١٨٦٥.

([2]) سورة يس، الآية (١٢).

([3]) ظ: مجمع البحرين، الطريحي، مصدر سابق، ج ١ / ٧٧.

قال تعالى: **يوم ندعوا كل أُناسٍ بإمامهم﴾**، أي بالذي يقتدون به، محقاً كان أو مبطلاً([1]).

بذلك يتوضح لنا مدى التوسع في الاستخدام الذي تجاوز الإمام المعصوم، وتجاوز حكم الرعية، وتجاوز إدارة أمور الدين، حتى شمل أئمة الكفر وما شاكلهم.

قال تعالى: وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ﴾([2]).

فقادة السوء، وامراء الظلم، كفرعون ـ على سبيل المثال ـ وما شاكله، يأتون يوم القيامة (قادة ومقودين) إلى النار، ويوم القيامة يعذبهم الله سبحانه وتعالى بالنار، ولا ناصر ينصرهم.

ثالثاً: تعريف المتكلمين للإمامة:

لقد عرف المتكلمون الإمامة بوجوه منها:

١ـ الإمامة رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا([3]).

٢ـ الإمامة خلافة الرسول في إقامة الدين، بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة([4]).

٣ـ الإمامة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا([5]).

٤ـ الإمامة رئاسة عامة دينية مشتملة على ترغيب عموم الناس في حفظ مصالحهم الدينية والدنيوية، وزجرهم عما يضرهم بحسبها([6]).

([1]) ظ: المفردات، الاصفهاني، مصدر سابق، ٨٧، وجامع البيان في تأويل القرآن، الطبري (ت٣١٠هـ)، ج ١٥ / ١٥٩.

([2]) سورة القصص، الآية (٤١).

([3]) ظ: المواقف، عضد الدين الأيجي (ت٧٥٦هـ)، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٧م، ٢١١.

([4]) ظ: المواقف، مصدر سابق، ٢١١.

([5]) ظ: المقدمة، ابن خلدون (ت٨٠٨هـ)، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ، ١٩١.

([6]) ظ: قواعد العقائد، الخواجة نصير الدين الطوسي (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: علي الرباني الكلبايكاني، نشر حوزة قم، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٥هـ، ١٠٨.

الإمامة من أكثر المسائل التي وقع فيها الخلاف ما بين الشيعة والسنة، وأساس الخلاف هو حول تشخيص الإمام أو الخليفة بعد النبي الأكرم محمد ﷺ، مع بيان الشروط الواجب توافرها في الإمام موضع الاختيار.

قالت الشيعة: الإمام بعد النبي الأكرم محمد ﷺ هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن بعده الأئمة الأحد عشر من ولده، على ان يكون اختيار واصطفاء الإمام بأمرٍ من الله سبحانه وتعالى، وان يكون الإمام معصوماً، وأفضل الخلق، وأعلم الخلق.

رابعاً: الإمام بالمعنى الخاص:

هو من له منصب الإمامة التي هي مرتبة عظيمة جداً تجعل من قبل الله سبحانه وتعالى للأنبياء وأوصيائهم عليهم السلام.

قال تعالى ـ مخاطباً نبيه إبراهيم عليه السلام: **إني جاعلك للناس إماماً﴾([1]).**

فيكون للإمام بهذا المعنى الولاية المطلقة من قبل الله سبحانه مباشرة في أمور الدين والدنيا، كما أنه يكون معصوماً عن الذنب ومنزهاً عن الاشتباه والخطأ والنسيان، وحجة على الخلق في قوله وفعله وتقريره، وخليفة لله في الأرض.

قال تعالى: يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق﴾([2]).

وقال تعالى: وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا﴾([3]).

هذا المعنى الخاص هو المصطلح الشائع والمعروف لدى فقهاء مدرسة ائمة أهل البيت عليهم السلام، وهو المنصرف عند الاطلاق.

الشعور بالحاجة إلى الإمام القائد شعور موجود في كل أمة، وهو ضرورة من الضرورات، دلت على ذلك أمور منها:

أ ـ سيرة المجتمعات كافة في البحث عن قائد.

ب ـ كونه أمر عقلي راجح إذ لا بدّ لكل مجموعة من قائد.

جـ ـ ما أوردته النصوص الشرعية في ضرورة وجود (الهادي) وهو الإمام.

([1]) سورة البقرة، الآية (١٢٤).

([2]) سورة ص، الآية (٢٦).

([3]) سورة الأنبياء، الآية (٧٣).

قال تعالى: ولكل قومٍ هاد﴾([1]).

قال رسول الله ﷺ: ((من مات وهو لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية))([2]).

خامساً: الإمامة وآيات العلم في القرآن الكريم:

آيات القرآن الكريم قد أكدت على دور الإمامة المهم، وعلاقتها بآيات العلم، ومن ذلك.

١ـ مرجعيتهم بعد الله تعالى والرسول ﷺ:

المرجعية بعد الله سبحانه وتعالى وبعد النبي ﷺ لهم، فهم (أولي الأمر) الذين نص القرآن الكريم عليهم.

قال تعالى: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾([3]).

فأجلى مصداق لـ(أولي الأمر) هم الأئمة المعصومين عليهم السلام، ومرد الأمور إليهم، فهم الأعلم.

٢ـ الإمام هو الراسخ في العلم:

الإمام الحقيقي هو الراسخ في العلم، وهو أعلم الناس، واعرفهم جميعاً

قال تعالى: وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾([4]).

لم يكن كذلك فما هو فرقه عن باقي البشر، لذلك فقد فضله الله سبحانه وتعالى بأن جعله راسخاً في العلم.

٣ـ الأئمة عليهم السلام هم أهل الذكر:

الأئمة عليهم السلام هم (أهل الذكر)، أي (أهل الكتاب)، أي (أهل العلم والمعرفة)، وهذا مما لا شك فيه مطلقاً.

قال تعالى: فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾([1]).

([1]) سورة الرعد، الآية (٨).

([2]) الكافي، الكليني، مصدر سابق، ج ٢ / ٢٠.

([3]) سورة النساء، الآية (٥٩).

([4]) سورة آل عمران، الآية (٧).

السؤال الحقيقي للحصول على الجواب الحقيقي يوجه لهم وليس لغيرهم.

٤ـ الأئمة هم الصادقون:

الإمام هو الصادق، فهو الأفضل في كل شيء.

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾([٢]).

والصادقون هم ائمة أهل البيت عليهم السلام، الصادقون في كل شيء، وهم أهل العلم والمعرفة، وأهل الصدق والحقيقة.

سادساً: الإمامة ومسألة العلم وما يتعلق بها:

الإمام هو صاحب الأفضلية في العلم والمعرفة، وفي الأخلاق والقيم، وكل الفضائل.

قال تعالى: أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾([٣]).

وقال رسول الله ﷺ: ((اجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد، ومكان العينين من الرأس، فإن الجسد لا يهتدي إلا بالرأس، ولا يهتدي الرأس إلا بالعينين))([٤]).

وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ((لا يقاس بآل محمد ﷺ من الأمة أحد، ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً))([٥]).

الإمام ومن خلال التصدي لبيان أحكام الشريعة، وبيان أحوال العقيدة، ورد الشبهات، ونظم أمور الناس، وتنظيم العلاقات، والحكم بين الأفراد؛ يحتاج إلى علمٍ جم، لذلك فإن العلم هو من أهم أسس الإمامة وشروطها، لذلك كان شرطاً لازماً في الإمام، بأن يكون أعلم الناس.

المبحث الثالث: المباني القيمية للتعلم وأثرها في معرفة حقيقة اليوم الآخر والمعاد:

([١]) سورة النحل، الآية (٤٣).

([٢]) سورة التوبة، الآية (١١٩).

([٣]) سورة يونس، الآية (٣٥).

([٤]) البحار، المجلسي، مصدر سابق، ج ٢٣ / ١٢١.

([٥]) نهج البلاغة، الشريف الرضي، مصدر سابق، ٣٠: الخطبة: ٢.

المطلب الأول: المعاد واليوم الآخر وماهيتهما:

من المهم الوقوف عند معرفة المراد بالمعاد، وعلاقته بالعلم والقيم، وذلك بعد ان يتم بيانه وتوضيحه.

أولاُ: المعاد لغة واصطلاحاً:

المعاد لغة:

العود: الرجوع إلى الشيء بعد الانصراف عنه إما انصرافاً بالذات، أو بالقول والعزيمة، والمعاد يقال للعود وللزمان الذي يعود فيه، وقد يكون للمكان الذي يعود إليه([1]).

المعاد اصطلاحاً:

فالمعاد بفتح الميم في الاصطلاح هو زمان عود الروح إلى بدنه الذي تعلق به في الحياة الدنيا، فالمراد به هو يوم القيامة أو هو مكان عود الروح إلى بدنه المذكور، فالمراد به حينئذٍ هو الآخرة، وقد يستعمل المعاد بمعناه المصدر من عاد يعود عوداً ومعاداً، فالمراد به عودة الأرواح إلى أبدانها، هذا كله بناءً على بقاء الروح وانفكاكه عن البدن بالموت كما هو المختار، وأما بناءً على اتحاده مع البدن وفنائه بالموت، فالمراد من المعاد حينئذٍ هو الوجود الثاني للأجسام والأبدان وإعادتها بعد موتها وتفرقها([2]).

يقول الشيخ محمد رضا المظفر: (نعتقد ان الله تعالى يبعث الناس بعد الموت في خلق جديد في اليوم الموعود به عباده، فيثيب المطيعين ويعذب العاصين وهذا أمر على جملته ما عليه من البساطة في العقيدة اتفقت عليه الشرائع السماوية والفلاسفة، ولا محيص للمسلم من الاعتراف به عقيدة قرآنية جاء بها نبينا الأكرم ﷺ، فإن من يعتقد بالله اعتقاداً قاطعاً ويعتقد كذلك بمحمد رسولاً منه أرسله بالهدى ودين الحق لا بد ان يؤمن بما أخبر به القرآن الكريم من البعث والثواب والعقاب والجنة والنعيم والنار والجحيم وقد صرح القرآن بذلك ولمح إليه بما يقرب من ألف آية كريمة. وإذا تطرق الشك في ذلك إلى شخص فليس إلا لشك يخالجه في صاحب الرسالة أو

([1]) ظ: المفردات، الاصفهاني، مصدر سابق، ٥٩٣ ـ٥٩٤.

([2]) ظ: بداية المعارف الإلهية، محسن الخرازي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ إيران، ط٦، ١٤٢٠هـ، ج ٢ / ٢٤١ـ٢٤٢.

وجود خالق الكائنات أو قدرته، بل ليس إلا لشك يعتريه في أصل الأديان كلها وفي صحة الشرائع جميعها)([1]).

ثانياً: الارتباط بالمعاد:

يقول الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي: (لا يمكن الاعتراف بالمعاد إلا إذا سلمنا بأن للإنسان روحاً يمكن ان تبقى مستقلة عن البدن، وأما إذا لم نعترف بأن هذا بُعد من أبعاد وجود الإنسان فإن موضوع المعاد يصبح فرضاً غير معقول، لأن الإنسان إذا كان هو هذا البدن فإنه بتحلله يتلاشى، وحينئذٍ يصبح الفرض بأن هذا الإنسان نفسه يتم احياؤه مرة أخرى فرضاً غير معقول، لأن الإنسان الذي سيتم احياؤه يكون موجوداً آخر. والفرض الوحيد والصحيح للمعاد مبني على هذه الحقيقة وهي ان الإنسان عندما يموت تبقى روحه حتى تعود مرة أخرى إلى البدن. إذن تغدو مسألة المعاد ايضاً مبنية على معرفة حقيقة الإنسان التي هي الروح بعنوان كونها موجوداً قابلاً للبقاء) [2].

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾([3]).

فعن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام أنّه قال: ((ليس منّا من لم يُحاسب نفسه في كلّ يوم، فإنّ عمل حسناً استزاد، وإن عمل سيّئاً استغفر الله منه وتاب إليه))([4]).

قال تعالى: ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم* قل يحيها الذي انشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾([5]).

قال تعالى: ﴿أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادرٍ على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم﴾([6]).

ثالثاً: بيان ضرورة المعاد واهميته:

([1]) عقائد الإمامية، المظفر، مصدر سابق، ١٣٢.

([2]) معارف القرآن، اليزدي، مصدر سابق، ج ٣ / ٧-٨.

([3]) سورة المؤمنون، الآية ١١٥.

([4]) الكافي، الكليني، مصدر سابق، ج ٢ / ٤٥٣.

([5]) سورة يس، الآيات (٧٨ -٧٩).

([6]) سورة يس، الآية (٨١).

المعاد من الضرورات، وله أهمية كبيرة تتوضح في جملة أمور منها:

١ـ معاد الناس بعد موتهم مهم جداً لينال كل شخص جزاءه، فمن عمل صالحاً فجزاءه الجنة، ومن عمل طالحاً فجزاءه النار.

٢ـ الآخرة هي الحياة الثانية الباقية والأبدية، والتي تمثل مكان الجزاء والثواب على نتائج أعمال الدنيا.

٣ـ الإيمان بالمعاد فرع من فروع الإيمان بالله سبحانه وتعالى، والإيمان بعدله، وان الحكم العدل عنده تعالى، وهو الذي يفصل بين الناس جراء أعمالهم في الدنيا.

٤ـ للعلم عموماً، وللعلم الصالح الحقيقي خصوصاً أهمية كبيرة في النجاة دنيوياً، وللكون على خير وصلاح أخروياً.

المطلب الثاني: المعاد والعلم والتعلم:

أولاً: المعاد والآيات الدالة على العلم:

في القرآن الكريم آيات دلت على المعاد، وأوضحت علاقته بالعلم منها:

١ـ التفكر مهم لمعرفة المعاد:

فالتفكر، والذي هو اساس من أسس العلم، مهم جداً لمعرفة المعاد وما يتعلق به من قضايا.

قال تعالى: أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجلٍ مسمى وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾([1]).

لذلك فإن الله سبحانه وتعالى يأمر بالتفكر ويحث عليه.

٢ـ مشابهة للكتب في طي السماء:

إنه تشبيه جميل جداً، فإن نهاية قراءة الكتاب تنتهي بإغلاقه، وفي النهاية تكون النتيجة أما الاستفادة، أو عدم الاستفادة.

قال تعالى: يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب﴾([1]).

([1]) سورة الروم، الآية (٨).

هذا التشبيه الرائع يجعل الإنسان المتعلم في تفكر دائم، وفي مراقبة لأن تكون النتيجة إلى خير.

٣ـ الموت والمعاد بكتاب:

فحلول الأجل، والموت، ومن ثم المعاد هو بكتاب مسجل عند الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: وما كان لنفسٍ أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾([٢]).

ذلك في علمه تعالى، وفي كتابه (المحفوظ)، والذي فيه آجال الخلق جميعاً.

ثانياً: العلم وأهميته في معرفة اليوم الآخر:

١ـ المعاد والحشر والحساب بكتاب عند الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾([٣]).

٢ـ كتاب أعمال الإنسان معه وهو يحدد مصيره.

قال تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا * وَيَصْلَى سَعِيرًا﴾([٤]).

٣ـ لكل فرد أو جماعة أو مجتمع قائد يُعون معه، لذا يجب اختيار الإمام والقائد الصالح، العالم العارف.

قال تعالى: يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾([٥]).

٤ـ السؤال اساس المحاسبة يوم القيامة، والكل مسؤول، ومسائل.

قال تعالى: فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾([١]).

([١]) سورة الأنبياء، الآية (١٠٤).

([٢]) سورة آل عمران، الآية (١٤٥).

([٣]) سورة الأنعام، الآية (٣٨).

([٤]) سورة الانشقاق، الآيات (٧ـ١٢).

([٥]) سورة الإسراء، الآية (٧١).

٥ـ القراءة مهمة حتى يوم الحساب، الإنسان هو من يقرأ كتابه بنفسه.

قال تعالى: وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾([٢]).

٦ـ من تعلم العلم الصالح، واستقام عليه فإنه هو الناجي حينها.

قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾([٣]).

المبحث الرابع: مسائل عقدية متفرقة لها علاقة بالتعلم والقراءة والدرس:

([١]) سورة الحجر، الآية (٩٢).

([٢]) سورة الإسراء، الآيات (١٣ـ١٤).

([٣]) سورة الأحقاف، الآية (١٣).

المطلب الأول: الحكمة والعدل:

من المباحث المهمة في العقائد هو مبحث (الحكمة والعدل)، إذ لا بدّ من التطرق له وبيانه.

أولاً: الحكمة والعدل وما يتعلق بهما من مباحث:

أ ـ الحكمة لغة واصطلاحاً:

١ـ الحكمة لغة:

قال ابن فارس: (الحاء والكاف والميم أصل واحد وهو المنع، وأول ذلك الحكم وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابّة لأنها تمنعها، يقال: حكمت الدابّة وأحكمتها، ويقال حكمت السفيه وأحكمته، إذا أخذت على يديه، والحكمة هذا قياسها، لأنها تمنع من الجهل وتقول: حكمت فلاناً تحكيماً: منعته عما يريد)([١]).

ويقول الراغب الاصفهاني: إن الحكمة من الله سبحانه وتعالى هي معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، وهي من الإنسان تعني معرفته بالموجودات وفعل الخيرات([٢]).

٢ـ الحكمة اصطلاحاً:

فقال الرازي: (معنى الإحكام في حق الله تعالى في خلق الأشياء هو إتقان التدبير فيها، وحسن التقدير لها... ليس المراد الحسن الرائق في المنظر، وإنما المراد منه حسن التدبير في وضع كل شيء موضعه بحسب المصلحة... إن الحكمة عبارة عن معرفة أفضل المعلومات بأفضل العلوم، فالحكيم بمعنى العليم)([٣]).

ثانياً: المراد بالحكمة:

([١]) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مصدر سابق، ٢٧٧.

([٢]) ظ: المفردات، مصدر سابق، ١٢٧.

([٣]) شرح أسماء الله الحسنى، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٨٤م، ٢٧٩ـ ٢٨٠.

يقول الشيخ جعفر السبحاني: (إن الحكمة إما وصف للعلم، وإما وصف للفعل. فالأول هو الحكمة العلمية، والثاني الحكمة العملية أو الفعلية، والحكمة العلمية راجعة إلى علمه تعالى بذاته وبفعله وهي من الصفات الثبوتية الذاتية)([1]).

ب ـ العدل لغة واصطلاحاً:

١ـ العدل لغة:

لغةً: عدل (العين والدال واللام) أصلان صحيحان، لكنَّهما متقابلان كالمتضادَّين: أحدُهما يدلُّ على استواء، والآخر يدلُّ على اعوجاج، فالأول العَدْل من النَّاس: المرضىّ، المستوِى، الطّريقة. يُقال: هذا عَدْلٌ، وهما عَدْلٌ([2]).

العَدَالَةُ والمُعَادَلَةُ: لفظٌ يقتضي معنى المساواة، ويستعمل باعتبار المضايفة، والعَدْلُ، والعِدْلُ يتقاربان، لكن العَدْلُ يستعمل فيما يُدرك بالبصيرة كالأحكام.

قال تعالى: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَاماً﴾([3]).

والعِدْل والعَدِيلُ فيما يُدرك بالحاسّة، كالموزونات والمعدودات والمكيلات، فالعَدْلُ هو التّقسيط على سواء([4]).

٢ـ العدل اصطلاحاً:

اصطلاحاً: هو تنزيه الله تعالى عن فعل القبيح والإخلال بالواجب([5]).

ثانياً: أقسام العدل:

([1]) محاضرات في الإلهيات، الشيخ جعفر السبحاني، تلخيص: علي الرباني، دار جواد الأئمة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣١هـ، ١٥٩.

([2]) ظ: معجم مقاييس اللغة، مصدر سابق، ٢٤٦.

([3]) سورة المائدة، الآية (٩٥).

([4]) ظ: المفردات، مصدر سابق، ٥٥١.

([5]) ظ: النكت الاعتقادية، الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، تحقيق: رضا مختاري، الناشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ط١، ١٤١٣هـ، ٣٢.

من خلال تلاوة الآيات القرآنية الكريمة المتعلقة بمبحث العدل، يتجلى للعدل الإلهي ثلاثة مظاهر وأقسام، وهي([1]):

أ ـ العدل التكويني:

ويُسمّى العدل في الخلق وتدبير العالم، ومعناه: أنّ الله سبحانه وتعالى خلق جميع الكائنات وأعطاها كل ما هي مستعدّة له، وأوجدها بأفضل شكل وأحسن صورة، وجعلها بشكل يتناسب مع الهدف الذي خلقها من أجله، وهيأ لها جميع الظروف والوسائل والآلات التي تحتاجها في حياتها مثلاً: حبة الحنطة من أوّل يوم توضع في بطن الأرض وتخرج منها الخضرة، تسير في طريق التكامل لتكون لها سنابل تحمل حبات كثيرة من الحنطة، وهي مجهزة بوسائل خاصة تستفيد بواسطتها من العناصر التي لابدّ من توفرها من أجزاء الأرض والهواء بنسب معلومة، وتعلو يوماً فيوماً وتتحوّل من شكل إلى آخر حتى يكون لها سنابل في كل سنبلة حبات، وحينئذ تكون قد وصلت إلى هدفها المنشود، وكمالها الذي كانت تهدف إليه([2]).

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ ([3]).

وقال تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ([4]).

وقال تعالى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ ([5]).

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾([6]).

ب ـ العدل التشريعي:

([1]) ظ: محاضرات في الإلهيات، جعفر السبحاني، مصدر سابق، ١٦٠.

([2]) ظ: القرآن في الإسلام، الطباطبائي، تعريب: أحمد الحسيني، الناشر مؤسسة التبليغ الإسلامي، قم ـ إيران، ط١، ١٤١٥هـ، ١١.

([3]) سورة طه، الآية (٥٠).

([4]) سورة آل عمران، الآية (١٨).

([5]) سورة الأعلى، (٢-٣).

([6]) سورة الانفطار، (٦-٧).

وهو أن الله تعالى لا يُهمل تكليفاً فيه كمال الإنسان وسعادته، وبه قوام حياته المادّية والمعنوية والدنيوية والأخرويّة، كما أنه لا يُكلف نفساً فوق طاقتها([1]).

وقد أشار الباري إلى هذا النوع من العدل في جملة من آياته، كما في:

قال تعالى: لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ ([2]).

وقال تعالى: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ ([3]).

وقال تعالى: قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ ([4]).

جـ ـ العدل الجزائي:

أي أنّ الله لا يساوي بين الصالح والطالح، وبين المؤمن والكافر في مقام الجزاء، بل يجزي كل إنسان بها كسب، فيجزي المحسن بالإحسان والثواب، والمسيء بالعقاب، كما أنه تعالى لا يعاقب عبداً على مخالفة التكاليف إلا بعد الإبلاغ([5]).

وقد أشار الباري سبحانه إلى هذا النوع من العادل في آيات كثيرة، منها:

قال تعالى: وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ([6]).

أي: إنّ عملهم لا يضيع، وأجرهم لا يتخلف، فهم في أمن من الظلم بنسيان أجرهم أو بترك إعطائه أو بنقصه أو تغييره، كما أنهم في أمن من أن لا يحفظ أعمالهم أو تُنسى بعد الحفظ أو تتغير بوجه من وجوه التغير([7]).

وقال تعالى: وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ ([1]).

([1]) ظ: محاضرات في الإلهيات، جعفر السبحاني، مصدر سابق، ١٦٠.

([2]) سورة الحديد، الآية (٢٥).

([3]) سورة النحل، الآية (٩٠)

([4]) سورة الأعراف، الآية (٢٩).

([5]) ظ: محاضرات في الإلهيات، جعفر السبحاني، مصدر سابق، ١٦٠.

([6]) سورة المؤمنون، الآية (٦٢).

([7]) ظ: تفسير الميزان، مصدر سابق، ج ١٥ / ٤٣.

أي: لا يُنقص من إحسان محسن ولا يُزاد في إساءة مسيء أي شيء.

ثالثاً: علاقة الحكمة والعدل بالتعلم والقراءة والدرس قرآنياً:

يقول الشيخ جعفر السبحاني: (إن العدل والحكمة من الأوصاف الكمالية، والله تعالى بما أنه واجب الوجود بالذات واجد جميع الكمالات الوجودية، ومنزه عن كل نقص وقبح. فواجب الوجود تعالى، يعلم من ذاته كل شيء من الأشياء بعلله وأسبابه، ويفعل النظام الأتم لغاية حقيقته يلزمه، فهو حكيم في عمله وفعله، فهو الحكيم المطلق)([٢]).

المطلب الثاني: مسألة اللطف:

إن من المسائل المهمة هي مسألة اللطف، والتي لا بدّ من بيانها وتوضيحها.

أولاً: اللطف لغة واصطلاحاً:

أ ـ اللطف لغة:

للطف لغوياً عدة معاني منها: الرفق، واللين، والدنو. فيقال: لطف به، أي: رفق به. وألطف الله بالعبد، أي: أرفق به، وأوصل إليه ما ينفعه برفق، ووفقه وعصمه، فهو لطيف.

ومن معاني اللطف في اللغة ايضاً: الدقة والظرافة، فهو ضد الضخامة والكثافة. والاسم: اللطافة. فيقال: لطف الشيء، أي: صغر ودق. ولطف الله بهذا المعنى، أي: دقته وظرافته في خلق الأشياء([٣]).

ب ـ اللطف اصطلاحاً:

([١]) سورة الأنبياء، الآية (٤٧).

([٢]) ظ: محاضرات في الإلهيات، جعفر السبحاني، مصدر سابق، ١٦١.

([٣]) ظ: المصباح المنير، مصدر سابق، مادة (لطف)، المعجم الوسيط، مصدر سابق مادة (لطف).

اللطف: ما يدعو المكلف إلى فعل الطاعة وترك المعصية بحيث يجعله أقرب إلى امتثال أوامر الله تعالى وأبعد عن ارتكاب نواهيه([1]).

الشرط الأساس في اللطف بمعناه العقائدي:

الشرط الأساس في اللطف: أن لا يبلغ حد القهر والإلجاء، بل يكون المكلف مع وجود هذا اللطف مختاراً في فعل الطاعة وترك المعصية.

ودليل ذلك: ان (الاختيار) هو الشرط الأساس للتكليف، وبما ان بلوغ اللطف حد القهر والإلجاء ينافي الاختيار، فلهذا يشترط ان لا يبلغ اللطف حداً ينافي الاختيار([2]).

ثانياً: العصمة وخصوصية اللطف:

اللطف هو ما يفعله الله تعالى للعبد، بحيث يكون معه أقرب إلى الطاعة وأبعد عن المعصية، دون ان يصل هذا الفعل إلى حدود تمكين العبد منه، ودون ان يصل إلى حد الإلجاء. عن الحكمة تفرض بأن يكون الموكل بأمر ما تتوفر فيه المقتضيات اللازمة والملائمة للمهمة الموكل بها، والتي تجعله أقرب إلى التأثير الإيجابي في الموكل برعايتهم، وأبعد عن التأثيرات السلبية المعاكسة.

فاللطف الذي نتكلم عنه ـ في موضوع العصمة ـ ليس إلا توفير تلك المقتضيات اللازمة للنجاح.

ما دام اللطف هو توفير المقتضيات اللازمة لتحقيق هدف البعثة، وما دام ان عصمة النبي قبل البعثة تجعله أقرب للتأثير الإيجابي على الناس، وأبعد عن تأثيرهم السلبي عليه، مما لو كان هذا النبي أو الإمام غير معصوم قبلها، نحكم من خلال ذلك كله: ان العصمة قبل البعثة أو قبل منصب الإمامة هي من جملة عناصر تلك المقتضيات التي ينبغي توفرها.

نعم، (إنما كان اللطف من الله تعالى واجباً فلأن اللطف بالعباد من كماله المطلق، وهو اللطيف بعباده والجواد الكريم، فإذا كان المحل قابلاً ومستعداً لفيض الوجود واللطف، فإنه تعالى لا بدّ أن يفيض لطفه، إذ لا بخل في ساحة رحمته، ولا نقص في وجوده وكرمه. وليس معنى الوجوب هنا ان أحداً يأمر بذلك فيجب عليه أن

([1]) ظ: الذخيرة، الشريف المرتضى، ١٨٦، الاقتصاد، الشيخ الطوسي، ١٣٠.

([2]) ظ: كشف المراد، العلامة الحلي، ٤٤٤.

يطيع ـ تعالى عن ذلك ـ، بل معنى الوجوب في ذلك هو كمعنى الوجوب في قولك: إنه واجب الوجود أي: اللزوم واستحالة الانفكاك)([1]).

ثالثاً: أقسام اللطف:

ينقسم اللطف باعتبار فاعله إلى([2]):

١ـ ما يكون من فعل الله تعالى، مثل:

أ ـ بعث الأنبياء ونصب الحجج ودعمهم بالمعاجز والكرامات وغيرها مما تجعل المكلفين أقرب إلى فعل الطاعة وأبعد عن فعل المعصية.

ب - جعل الشريعة سمحاء بعيدة عن التعقيد أو الغموض.

جـ - الوعد والوعيد واستخدام اسلوب الترغيب والترهيب من أجل إثارة رغبة المكلف إلى فعل الطاعة وإثارة الرهبة إزاء فعل المعصية.

د. التدخل الإلهي لإزالة العوائق والحواجز الموجودة في طريق الطاعة وجعل الموانع في طريق المعصية.

هـ ـ الآلام التي جعلها الله تعالى في بعض الأحيان وسيلة لاستيقاظ الغافلين وعودتهم إلى الإيمان بعد الابتعاد عنه.

٢ـ ما يكون من فعل المكلف في حق نفسه، مثل:

أ ـ تعلم الأحكام الشرعية وغيرها من الأمور التي يبينها الله تعالى للمكلفين، ليكونوا أقرب إلى امتثال أوامره والانتهاء عن نواهيه.

ب - توفير الإنسان لنفسه الأرضية والأجواء المناسبة التي تحفزه على فعل الطاعة وترك المعصية.

٣ـ ما يكون من فعل المكلف في حق غيره، مثل:

أ ـ تبليغ الأنبياء للرسالة الإلهية، وبذلهم المزيد من الجهد من أجل دعوة الناس إلى الهداية وسبيل الحق.

([1]) عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر، مصدر سابق، ٥٦.

([2]) ظ: الاقتصاد، الشيخ الطوسي، مصدر سابق، ١٣٢، وكشف المراد، الحلي، مصدر سابق، ٢٥٤.

ب - قيام بعض الناس بمهمة تلقي العلوم والمعارف الإلهية من أجل توعية الناس ورفع مستواهم الديني، وهذه المهمة هي الملقاة على عاتق العلماء والدعاة

جـ ـ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي أوجبها الله تعالى على جميع المكلفين، ليكونوا في ظلها أقرب إلى فعل الطاعة وابعد عن فعل المعصية.

د ـ المبادرة إلى أي عمل يؤدي إلى توفير الأجواء المناسبة لامتثال الأوامر الإلهية والابتعاد عن نواهيه، من قبيل: بناء الأماكن التي تقرب العباد إلى الله تعالى، أو دعم المشاريع التي تهيء الأرضية لفعل الطاعات وترك المعاصي.

رابعاً: وجوب اللطف:

حكمة الله تعالى وجوده وكرمه تقضي منه اللطف بالعباد، ودليل وجوب اللطف هو: أن غرض الله تعالى من تكليف العباد هو أن يبلغوا الكمال عن طريق فعل الطاعة وترك المعصية، فإذا كان هناك شيء يؤدي فعله إلى:

١ـ يختار المكلف فعل الطاعة ويترك فعل المعصية.

٢ـ يكون المكلف أقرب إلى فعل الطاعة وابعد عن فعل المعصية.

فالحكمة الإلهية تقتضي فعل ذلك الشيء، لأن عدم فعله يستلزم نقض الغرض من تكليف العباد، ونقض الغرض قبيح ومناف للحكمة، والله تعالى منزه عن ذلك، فنستنتج: بأن الحكمة الإلهية تقتضي فعل اللطف([1]).

خامساً: علاقة اللطف بالتعلم والقراءة والدرس قرآنياً:

اللطف يتمثل في أمور كثيرة، وله علاقة بالعلم والمعرفة، وبالقراءة والدرس، ومن هذه الأمور:

١ـ العلم نوع من أنواع اللطف التي منّ الله سبحانه وتعالى بها على الناس.

٢ـ انطلقت الرسالة الإسلامية بكلمة (اقرأ) التي هي نور ولطف للعباد.

٣ـ أرسل الله سبحانه وتعالى أنبياءه ورسله عليهم السلام يعلمون الناس الطريق الصحيح، وذلك هو اساس اللطف.

٤ـ عزز تعالى بعد الأنبياء والرسل بالأئمة عليهم السلام، لإكمال تعليم الناس، وذلك غاية اللطف.

([1]) ظ: الذخيرة، الشريف المرتضى، مصدر سابق، ١٩٤.

٥ـ جعل تعالى الإنسان مخيراً ووفر كل سبل المعرفة له، وذلك هو اللطف بعينه.

المطلب الثالث: برهان النظم:

برهان النظم من الأسس والأمور العقائدية المهمة، والذي لا بدّ من بيانه وتوضيحه.

أولاً: النظم لغة واصطلاحاً:

أ ـ النظم لغة:

النظم هو نظمك خرزاً بعضه إلى بعض في نظام واحد([1])، والنظم هو الجمع والتنظيم([2]).

ب ـ النظم اصطلاحاً:

النظم في الاصطلاح لا يخرج عن معناه اللغوي، إلا انه وبكونه مقرون بقضية العقيدة فيراد به بحسب ما يراه البحث: **إن عالم الطبيعة ككل خاضع لنظام معين، وأن كل ما في الكون خاضع لنظم وسنن وقوانين، لها علل وأسباب ومسببات، نكتشف منها وجود مؤثر له صفات العقل والعلم والحكمة والكمال.**

ثانياً: بيان المراد بالنظم:

قال الإمام الصادق عليه السلام: ((العجب من مخلوق يزعم أن الله يخفى على عباده، وهو يرى أثر الصنع في نفسه بتركيب يبهر عقله وتأليف يبطل حجته))([3]).

فما يثبته (برهان النظم) هو ضرورة وجود (منظّم) و(مدبر) للعالم، أي أعم من كونه هو (الله) تعالى أو غيره. وبالتالي فإن برهان النظم يحتاج إلى أدلة وبراهين أخرى لكي تبين أن الخالق والمنظم للكون هو الله تعالى.

ومفهوم النظم ـ كمفهوم عموماً ـ يعتبر من المفاهيم الواضحة للأذهان، ومن خواصه أنه يتحقق بين أمور مختلفة سواء كانت أجزاء لمركب أو افراداً من ماهية واحدة أو ماهيات مختلفة، فهناك ترابط وتناسق بين الأجزاء، أو توازن وانسجام بين الأفراد

([1]) ظ: العين، مصدر سابق، ج ٨ / ١٦٥.

([2]) ظ: الصحاح، الجوهري، مصدر سابق، ٢٠٤١.

([3]) البحار، المجلسي، مصدر سابق، ج ٣ / ١٥٢.

يؤدي إلى هدف وغاية مخصوصة، كالتلائم الموجود بين أجزاء الشجر، وكالتوازن الحاصل بين حياة الشجر والحيوان.

ثالثاً: حقيقة النظم:

فهو البناء المتقن المحكم، الرائع المظهر والترتيب، وهو يكشف عن أمرين:

١ ـ وجود مهندس خططه، وبناءً بناه.

٢ ـ علم هذا المهندس وتفوقه في مجال تخصصه، ودقة ذلك البناء ومهارته في عمله.

رابعاً: ما قرروه في برهان النظم:

قالوا: ان برهان النظم يقوم على مقدمتين: احداهما حسية، والأخرى عقلية([1]).

الأولى: هناك نظاماً سائداً على الظواهر الطبيعية التي يعرفها الإنسان اما بالمشاهدة الحسية الظاهرية وإما بفضل الأدوات والطرائق العلمية التجريبية. وما زالت العلوم الطبيعية تكشف مظاهر وأبعاداً جديدة من النظام السائد في عالم الطبيعة، وهناك آلاف من الرسائل والكتب المؤلفة حول العلوم الطبيعية مليئة بذكر ما للعالم الطبيعي من النظام العجيب.

الثانية: العقل بعد ما لاحظ النظام وما يقوم عليه من المحاسبة والتقدير والتوازن والانسجام، يحكم بالبداهة بأن أمراً هكذا شأنه يمتنع صدوره إلا عن فاعل قادر عليم ذي إرادة وقصد، ويستحيل تحققها صدفة وتبعاً لحركات فوضوية للمادة العمياء الصماء، فإن تصور مفهوم النظم وأنه ملازم للمحاسبة والعلم يكفي في التصديق بأن النظم لا ينفك عن وجود ناظم عالم أوجده، وهذا على غرار حكم العقل بأن كل ممكن فله عله موجدة، وغير ذلك من البديهيات العقلية.

الثالثة: الخصوصيات الموجودة في الأثر تحكي وتكشف عن الخصوصيات الموجودة في المؤثر. وعلى هذا فدلالة الأثر تتجلى في صورتين([2]):

١ ـ وجود الأثر يدل على وجود المؤثر، وهو قانون العلية.

٢ ـ خصوصيات الأثر تحكي عن خصوصيات المؤثر.

([1]) ظ: محاضرات في الإلهيات، جعفر سبحاني، مصدر سابق، ٢٢.

([2]) ظ: بداية المعرفة، حسن مكي العاملي، دار الزهراء، قم ـ إيران، ط٢، ١٤٣١هـ، ٧٩ـ٨٠.

خامساً: برهان النظم في الوحي الإلهي:

الوحي الإلهي قد أعطى برهان النظم اهتماماً بالغاً، وهناك آيات كثيرة من القرآن الكريم تدعو الإنسان إلى مطالعة الكون وما فيه من النظم والإتقان حتى يهتدي إلى وجود الله تعالى وعلمه وحكمته.

١ـ قال تعالى: سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾([1]).

٢ـ قال تعالى: قل انظروا ماذا في السماوات والأرض﴾ ([2]).

٣ـ قال تعالى: إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ([3]).

٤ـ قال تعالى: أولم يتفكروا في أنفسهم ﴾ ([4]).

٥ـ قال تعالى: وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ ([5]).

فأوسع برهان اعتمد عليه القرآن الكريم في اثبات مسألة الوعي وما يتعلق بها من مباحث عقائدية مهمة هو (برهان النظم)، فهو الأساس في تحقيق (معرفة الله) سبحانه وتعالى.

سادساً: علاقة النظم بالتعليم والقراءة والدرس قرآنياً:

وهنا جملة أمور لا بدّ من توضيحها هي:

١ـ هذا البرهان قائم على مسألة العلم، والعلم مهم فيه، ومن دون علم لن يُفهم المراد بهذا البرهان.

([1]) سورة فصلت، الآية (٥٣).

([2]) سورة يونس، الآية (١٠١).

([3]) سورة البقرة، الآية (١٦٤).

([4]) سورة الروم، الآية (٨).

([5]) سورة الذاريات، الآية (٢١).

٢ـ انه برهان طري ولين، سهل ويسير، بمجرد وجود العلم (البسيط) ينطلق فهمه ومعرفته.

٣ـ هو قائم على بيان العلم بالنعم الإلهية، وان هذه النعم تحتاج من الإنسان الشكر عليها.

٤ـ هو برهان متطور متجدد، يحتاج إلى تطور وتجدد في العلم والمعرفة من قبل الإنسان.

٥ـ هو برهان يدعوا إلى التأمل والتفكر، وإلى الوعي والمعرفة من قبل الإنسان.

خلاصة الفصل الرابع:

١ـ للعقائد ارتباطاً وثيقاً بمسائل العلم والمعرفة، بل ان العقائد قائمة على العلم والمعرفة، ومحاربة الجهل والتجهيل، إذ لا عقائد صحيحة من دون علم ومعرفة.

٢ـ التعليم له أثره في بناء عقيدة الإنسان الصحيحة، ومع وجود المناهج الدراسية الملائمة والمناسبة، سيكون الطفل والمراهق في أيدي أمينة، ما بين يدي معلم ملتزم، ومنهج رصين، حينها سيكون ذلك أساساً صحيحاً في البناء الواعي للتعليم الواعي للطفل والمراهق.

٣ـ القرآن الكريم قد أكد على أهمية العلم والمعرفة، ودليل ذلك ان أول آية نزلت في التأكيد على العلم والمعرفة، وعلى القراءة والدرس.

٤ـ العليم هي من صفات الله سبحانه وتعالى، فهو تعالى (العليم) و(العالم) و(العلام)، فلقد أحاط سبحانه وتعالى بكل شيء علماً، كما وان (العليم) اسم من أسماء الله الحسنى، وهو اسم وصفة تطلق عليه سبحانه وتعالى، ولا تطلق على الإنسان إلا من كان محلاً لعلمه تعالى من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام، ومن في منزلتهم من العصمة والتسديد الإلهي.

٥ـ لقد حث القرآن الكريم على العلم، وذلك في آياتٍ كثيرة، وان أول الآيات النازلة منه ككتابٍ سماوي خاتم للرسالة الخاتمة هي الآيات الأولى من سورة (العلق)، أو (اقرأ)، فإن هذه الآيات الأولى النازلة كانت تحث على (القراءة)، و(العلم)، و(التعلم)، وتتكلم عن (العلم)، و(القلم)، وانه تعالى قد جعل من القراءة طريقاً للعلم، ومن القلم طريقاً لتدوين العلم، ومن خلال العلم تتباين وتتفاوت الدرجات دنيوياً وأخروياً.

٦ـ الوحي هو الواسطة ما بين الله سبحانه وتعالى والبشرية، وهو الذي ينزل عليهم الرحمة والأرزاق وغيرها، ومن أبرز أنواع الرحمة والرزق هو (العلم)، فالله سبحانه وتعالى لا يترك أحداً إلا وارسل إليه العلم كلٌ بحسبه وبحسب ظروفه وزمانه ومكانه، لكن العلم لم ينقطع عن البشرية، وكان هذا التسديد الإلهي للبشرية جمعاء هو الرحمة الكبرى بينهم، فالله سبحانه وتعالى لم يخلق البشرية ثم يتركها، بل خلقها وجعل بركاته وعطاياه مستمرة معها إلى يوم القيامة، ومن ذلك العلم، فبالعلم يُعرف الله سبحانه وتعالى، ويعرف الحق، وتعرف طرق النجاة.

٧ـ الباحث يرى بأن المراد بالنظم هو: **إن عالم الطبيعة ككل خاضع لنظام معين، وان كل ما في الكون خاضع لنظم وسنن وقوانين، لها علل وأسباب ومسببات، نكتشف منها وجود مؤثر له صفات العقل والعلم والحكمة والكمال.**

٨ـ كل ما تقدم له الأثر الكبير والفعال في المباني القيمية، أي أنه وعن طريق أصول الدين، أو الأصول العقائدية أو الاعتقادية يمكن بناء قيم تفيد في مجال التربية والتعليم، وفي مجال القراءة والدرس، وفي مجال بناء المؤسسات التربوية والتعليمية.

الفصل الخامس

الفصل الخامس: الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعلم في آيات القراءة والدرس.

المبحث الأول: الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعلم في بناء شخصية الإنسان وتنميتها:

المبحث الثاني: الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعلم في بناء المجتمع الصالح وتطوره:

المبحث الثالث: الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعلم في البناء الحضاري والمعرفي:

المبحث الرابع: الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعلم في رصد وتحديد الخيارات السليمة:

المبحث الخامس: الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعلم في وسائل الدور الريادي للأمة الإسلامية الذي يؤكده القرآن الكريم:

المبحث السادس: البعد القيمي والأخلاقي لثقافة القراءة والدرس في المجتمع الإنساني:

المبحث الأول: الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعلم في بناء شخصية الإنسان وتنميتها:

الأثر الاجتماعي والأخلاقي للعلم يتبع ما وصف به الإنسان من ارادة حرة، وتصرف حر قد اعطاه الله تعالى له.

قال تعالى: وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾([1]).

وقال تعالى: إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾([2]).

اتصاف الإنسان بالإرادة والاختيار، يجعله صالحاً لأن يكون كائناً اجتماعياً واخلاقياً إلا ما رحم ربي.

يقول الشيخ مرتضى المطهري: (يتوخى من التربية والتعليم بناء شخصية الإنسان، فإن العقيدة ذات الأهداف المحددة والمقررات الشاملة والتي لها بحسب المصطلح نظام قضائي واقتصادي وسياسي لا يمكن أن يكون لها نظام تربوي خاص... فإن كان الهدف هو المجتمع فلا بدّ في نهاية الأمر من الاعتماد على الأفراد في تطبيق الخطط، ولا بدّ من تربيتهم وتعليمهم بشكلٍ يتمكنون معه من تطبيق هذه الخطط في المجتمع... وفي الإسلام تحفظ أصالة الفرد والمجتمع، فلا بدّ من وجود مخطط وبرنامج لبناء الفرد بوصفه مقدمة لبناء المجتمع والأمة)([3]).

لذلك فإن الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعليم وللعملية التعليمية واضحٌ جداً، وذلك في بناء شخصية الفرد وتنميتها، وذلك من خلال العقيدة الصالحة، ولا نقصد هنا العقيدة الدينية فقط (أصول الدين)، بل العقيدة بمعناها الواسع الشامل لكل الأمور الاعتقادية الخاصة بالقوانين والتشريعات، وبالأخلاق والسلوك والقيم، وبأصول الدين.

ومن المهم جداً ان تلتفت المؤسسة التعليمية، والمعلم لذلك، وان يعملوا وفق ما تقرر ضمن منهج يضمن البناء الاجتماعي والأخلاقي الصالح للفرد والمجتمع.

([1]) سورة الشمس، الآيات (٧-٨).

([2]) سورة الإنسان، الآيات (٢-٣).

([3]) التربية والتعليم في الإسلام، مرتضى المطهري، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط٤، ١٤٢٦هـ، ٩.

المطلب الأول: الأثر الاجتماعي للتعليم:

للعلم أثره الاجتماعي المفيد، فهو ينطلق بالفرد إلى بناء المجتمع، وعن طريقه يفهم ما يفيد المجتمع وما يضره، ذلك أن الله تعالى خلق البشر شعوباً وقبائل ليتعارفوا فيما بينهم في سبيل بناء المجتمع الصالح القويم.

قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾([1]).

فمن أهم فائدة التعارف هو (التفاعل)، والتفاعل هنا لا يعني (المفاعلة) ولا يراد به الغلبة والتغالب، بل يراد منه التعارف المفيد الصالح لبناء المجتمعات.

والأثر الاجتماعي للتعليم لا ولن يتحقق ما لم تتحقق ثورة علمية تربوية وثقافية، يبادر فيها الجميع إلى تغيير أنفسهم ومجتمعاتهم، وأن يؤدي فيها المسجد، والمدرسة، ومواقع التواصل الاجتماعي، والكتاب، والمذياع، والتلفاز، والصحف والمجلات، والعاملون، يؤدون دوراً مهماً في التغيير المنشود من الثورة العلمية والمعرفية والتربوية، ليشمل ذلك جميع الطبقات والمجتمعات والأفراد([2]).

ثم ان العلم يرفع درجات صاحبه (صاحب العلم) إلى مستويات عالية ومرضية عند الله تعالى وعند المجتمع.

قال تعالى: يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾([3]).

وقال تعالى: نرفعُ درجاتٍ من نشاء وفوق كل ذي علمٍ عليم﴾([4]).

نعم، فالعلم يرفع صاحبه إلى درجاتٍ عاليةٍ جداً، ومرموقة، ومحترمة، في كل زمانٍ ومكان.

كما أن للعلم والتعلم أثراً بالغاً في بناء ورقي المجتمعات بشكلٍ عام، والمجتمعات الإسلامية بشكلٍ خاص، ذلك ان الآيات القرآنية قد جاءت مؤكدة على ذلك، ومن بعدها أحاديث النبي الأكرم محمد ﷺ، وأحاديث الأئمة المعصومين عليهم السلام.

([1]) سورة الحجرات، الآية (١٣).

([2]) ظ: التربية والتعليم في الإسلام، علي شريعتمداري، مصدر سابق، ١٦.

([3]) سورة المجادلة، الآية (١١).

([4]) سورة يوسف، الآية (٧٦).

فأسس الحضارة الإسلامية هو العلم، وطلب العلم، والحث على العلم والتعلم والقراءة والدرس.

والعلم لا يشمل العلوم الشرعية الفقهية فقط، بل يتعدى ذلك ليشمل العلوم الطبية والكونية وما يفيد الفرد والمجتمع.

لذلك فإن المائز الاجتماعي لم يكن بسبب المادة، أو المنصب، أو النسب، أو الشهرة، بل كان بسبب العلم، والعلم فقط.

قال تعالى: قل هل يستوي اللذين يعلمون واللذين لا يعلمون﴾([1]).

نعم، فـ(الأمم لا تبنى بسهولة، كما أنها لا تبنى بطريقة عشوائية، إن بناء الأمم أمرٌ صعبٌ يحتاج إلى جهود متضافرة، وصبر طويل، وعزم أكيد، وهو ـ في الوقت نفسه ـ يسيرُ وفق خطوات محددة، وسنن ثابتة، لا تبديل لها ولا تغيير)([2]).

قال تعالى: فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾([3]).

العلم هو الأساس في تطور وتقدم ورقي المجتمعات، وعلى جميع المجالات والأصعدة، الفكرية والاقتصادية والسياسية والاخلاقية.

والأمم ـ بحق ـ تقاس بما تقدمه من علوم ومعارف نافعة ومفيدة للبشرية، ذلك ان العلم هو مفتاح سعادة الإنسان، وهو يوفر له جميع مظاهر الخدمة والترف والأمن والطمأنينة. ثم يوصله إلى ما كان يحلم بالوصول له، وتمكينه مما كان يصعب عليه أن يتمكن منه.

قال الإمام الصادق عليه السلام: ((العلم خزائن والمفاتيح السؤال، فأسالوا يرحمكم الله، فإنه يؤجر في العلم أربعة: السائل، والمتكلم، والمستمع، والمحب لهم))([4]).

لذا يرى الباحث أن للعلم -على الصعيد الاجتماعي- عدة فوائد، منها:

١ـ العلم من أساسيات سير الحياة داخل المجتمع، فهو مستند الأفراد في بناء أوطانهم، ومواكبة التطورات، ومعرفة التقدم العلمي والمعرفي والتكنولوجي.

([1]) سورة الزمر، الآية (٩).

([2]) العلم وبناء الأمم: دراسة تأصيلية لدور العلم في بناء الدولة، راغب السرجاني، مؤسسة اقرأ، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٤٢٨هـ، ٤.

([3]) سورة فاطر، الآية (٤٣).

([4]) الخصال، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، مصدر سابق، ٢٣١.

٢ـ العلم يقضي على الطبقية المقيتة، ويضمن للأفراد والمجتمع العيش الرغيد، والتحسن الاقتصادي.

٣ـ العلم يساعد في تغيير العادات والتقاليد المضرة، ويبني أسساً في التعاملات وفق بناء علمي معرفي رصين ومفيد.

٤ـ العلم يبني المجتمعات بناءً متماسكاً قوياً رصيناً، تعتمد على نفسها في كل شيء، ومنطلقة من ذاتياتها.

٥ـ العلم يزيد عدد المتعلمين، وبالتالي يقل الفقر، وتقل الجريمة، وتنعدم المخالفات.

٦ـ العلم يحمي المجتمع من الأفكار المضرة، ومن الأكاذيب، والدعايات المضللة التي تبثها وسائل اعلام الأعداء.

٧ـ العلم يزيد من مصادر قوة المجتمع على جميع الصعد، ويجعل للمجتمع الصدارة على باقي المجتمعات.

٨ـ فقدان العلم، أو عدم الاهتمام به سيجعل الجهلة هم القادة، ويجعل جهلاء القوم قادته.

٩ـ العلم يجعل المجتمع متلاحماً متكاتفاً متراحماً، يحترم بعضه بعضاً.

١٠ـ العلم يجعل المجتمع مجتمعاً نظامياً يحترم النظام ويدافع عنه.

ومن يتبع ذلك ويفعل ما يراد منه يكون من عباد الله تعالى الذين هداهم، من أصحاب العقول الراجحة والممدوحة.

قال تعالى: فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾([1]).

يقول الشيخ مرتضى المطهري: (إنهم يستمعون الكلام وينتقدونه ويزنونه فينتخبون أحسنه ويتبعونه، ثم يقول تعالى: أولئك الذين هداهم الله، أي: ألهمهم الاستفادة من قوة العقل)([2]).

([1]) سورة الزمر، الآيات (١٧ـ١٨).

([2]) التربية والتعليم في الإسلام، مرتضى المطهري، مصدر سابق، ٢٢.

لذا على المؤسسة التعليمية عموماً، والمعلم خصوصاً ان لا يغفلوا عن دور العلم على الصعيد الاجتماعي، وأن يستفيدوا مما فيه من فوائد وكنوز، وان يسيروا وفق هذه الفوائد، وان يطوروها، وان يطبقوها، لتتحقق الفائدة المرجوة منها.

المطلب الثاني: الأثر الأخلاقي للتعليم:

فالجوانب الأخلاقية للعلم كثيرة لا يمكن أن تحصى، كون الإنسان (كائن أخلاقي)، والرسالات السماوية قد جاءت بالأخلاق وأكدت عليها كثيراً، ومنها الرسالة المحمدية الخاتمة على ذلك.

قال تعالى: وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾([1]).

وقال رسول الله ﷺ: ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))([2]).

وكما هو معلوم، الإنسان يتميز بصفة الأخلاق دوناً عن باقي المخلوقات الأخرى، فالكائنات الأخرى تجري أفعالها وفق الغرائز، أما الإنسان فقد تميز بوجود العقل مضافاً إلى الغرائز الموجودة، وقد اعطاء الله سبحانه وتعالى حسن الاختيار، وأعطاه خاصية استعمال عقله بالشكل الصحيح والملائم.

نعم، الإنسان تارة يصل إلى مرحلة أو صفات الملائكة التي امتدحها سبحانه وتعالى في قرآنه المجيد.

قال تعالى: وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾([3]).

وتارة يصل إلى مرحلة الحيوان بسبب الأهواء واغواء الشيطان له، وانسياقه وراء الأهواء والغرائز الحيوانية.

قال تعالى: قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾([4]).

([1]) سورة القلم، الآية (٤).

([2]) الجامع الصحيح، البخاري، مصدر سابق: ٢٨٣٣.

([3]) سورة الأنبياء، الآيات (٢٦-٢٨).

([4]) سورة الأعراف، الآيات (١٦-١٧).

نعم، (هناك فرق بين التربية والأخلاق، مع ان الأخلاق نفسها نوع من التربية، وهي بمعنى اكتساب خلق وحالة وعادة... ان التربية تشير إلى مفهوم التنمية والبناء فقط... أما الأخلاق فمختصة بالإنسان ويكمن فيها نوع من القداسة)([1]).

إن الباحث يرى بأن للعلم على الصعيد الأخلاقي فوائد مهمة منها:

١ـ بما ان الأخلاق مقدسة، فإن العلم الذي يكون مع الأخلاق، أي علم أخلاقي يكون مقدساً كذلك.

٢ـ العلم هو الطريق لتعليم الأخلاق، وان الأخلاق تمهد للعلم كذلك، وهي ثنائية مهمة جداً.

٣ـ البناء الأخلاقي الصحيح يضمن العلم والتعليم الصحيح، والذي يبني الفرد والمجتمع البناء العلمي الصحيح.

٤ـ مع مراعاة الأخلاق ستصاغ المناهج التعليمية صياغة اخلاقية بناءة؛ لبناء الفرد الصالح، وبالتالي المجتمع الصالح.

٥ـ العلم المجرد من الأخلاق هو علمٌ ضار، وعلمٌ بعيدٌ كل البعد عن رضا الله سبحانه وتعالى.

٦ـ العلم يحمي الأخلاق، والأخلاق تحافظ على العلم، وهذه الثنائية لا بدّ ان تكون حاضرة عند المعلم وفي المؤسسة التعليمية.

٧ـ الإنسان كائن أخلاقي قبل ان يتعلم، ومع التعلم عليه ان يزيد من أخلاقه واخلاقياته وسلوكياته بواسطة العلم النافع.

٨ـ للعلم النافع دور مهم وكبير في بناء الأخلاق والقيم السلوكية الصالحة المفيدة للفرد والمجتمع.

٩ـ تتبلور الصفات الأخلاقية والسلوكية الصحيحة بواسطة التعلم، وتحفظ بواسطة العلم.

١٠ـ عن طريق العلم يمكن بناء منظومة أخلاقية متكاملة تفيد الفرد وتنفع المجتمع وتبني الأوطان.

([1]) التربية والتعليم في الإسلام، مرتضى المطهري، مصدر سابق، ٥٨.

المطلب الثالث: التعليم وبناء شخصية الإنسان وتنميتها:

للعلم والتعليم دور هام في بناء شخصية الإنسان وتنميتها، وهذا ما يجب التأكيد عليه من جانب، والعمل عليه من جانب آخر، وذلك في سبيل وضع الأسس السليمة للبناء العلمي الصحيح، وتلك هي رسالة الأنبياء عليهم السلام، ومنهم النبي الأكرم محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾([1]).

يقول الشيخ باقر شريف القرشي: (وليست رسالة المعلمين مقصورة على تلقين المعلومات للتلاميذ، وحشو أذهانهم بالمعارف، وإنما واجبهم أشمل من ذلك وأوسع، فيجب عليهم أن يقوموا بتربيتهم وإعدادهم اعداداً صالحاً للحياة المستقلة من مختلف وجوهها ونواحيها، ويلزمهم تقوية ملكاتهم، وتهذيب أخلاقهم، وتعهد غرائزهم وميولهم، وغرس العادات الصالحة في نفوسهم، وتربيتهم بالنظم التي تتفق مع نظم مجتمعهم على النحو الذي يجعل منهم مواطنين صالحين)([2]).

ومنه يتضح أن البناء الصحيح للتلميذ اساسه المعلم، أي المعلم الصالح، المتمكن من مهنته، الحريص على عمله، المدرك لأهمية بناء الأجيال ودورها في بناء الأوطان، على أن يكون ذلك وفق المنهج العلمي الصحيح، الذي تتحقق به فوائد مهمة، والتي لها الأثر البالغ في بناء الشخصية الإنسانية وتنميتها.

يرى الباحث بأن للعلم فوائد كثيرة على بناء الشخصية، ومن ذلك:

١ـ إثراء العقل البشري بالأفكار، واكتساب المهارات، ومعرفة الطريق الصحيح، والمنطق السليم، بما يمكّنَه ـ كفرد ـ من تصدير الأفكار السليمة للمجتمع، ومن ثم استثمارها بالشكل الصحيح والنافع والمفيد.

٢ـ العلم سلاح للفرد في مقاومة وصد الأعداء من جهل وتخلف وحروب ناعمة وغزو ثقافي عسكري وشبهات وبدع وأهواء.

٣ـ كسر الحواجز والقوالب المغلقة، والخروج إلى فضاء العلم الفسيح غير النمطي، والانطلاق بأفق رحب واسع في المجال العلمي والمعرفي.

([1]) سورة الجمعة، الآية (٢).

([2]) النظام التربوي في الإسلام، باقر شريف القرشي، مصدر سابق، ١١٩.

٤ـ الفرد وعن طريق العلم سيعرف ما عليه من واجبات، ويعرف ما له من حقوق.

٥ـ العلم يوسع مدارك الإنسان، ويفتح قدراته، ويبرز مواهبه، ويجعله يمارس ما يحب من اختصاص.

٦ـ العلم يعطي للإنسان الاحترام وسط مجتمعه الخاص، وخارجه، ووسط المجتمعات الأخرى عموماً، والمجتمعات العلمية خصوصاً.

٧ـ العلم عامل مهم من عوامل تهذيب النفس وبنائها البناء القيمي والاخلاقي الصحيح.

٨ـ العلم يحرر الإنسان من السطحية، والجهل، والأعراف والتقاليد البالية المضرة بالفرد والمجتمع.

٩ـ العلم يجعل الإنسان مواطناً عالمياً، إذ يحاكي عن طريق مصطلحات علمه العالم أجمع.

١٠ـ العلم يجعل الشخص ذا ثقة بنفسه، وبما عنده، وبما يفكر به، ليطرحه واثقاً مطمئناً ليخدم به مجتمعه والبشرية جمعاء.

المبحث الثاني: الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعلم في بناء المجتمع الصالح وتطوره:

تمهيد:

مكانة العلم عظيمة وكبيرة في المجتمعات، ذلك أن بناء المجتمع الصالح لا يكون إلا عن طريق العلم الصالح.

نعم، فـ(غير خافٍ على عامة الناس ما للعلم من سمو المكانة وشرف المنزلة، وما لحامله من ذلك، ويزداد كل ذلك تبعاً لشرف المعلوم، والتوسع فيه، وظهور أثره على حامله)([1]).

قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾([2]).

فمكانة العلم واحترامه لها الأثر الاجتماعي والأخلاقي على الأفراد والمجتمعات، وذلك مفيد جداً في بناء المجتمع الصالح وتطوره وتقدمه.

على ان يكون ذلك ضمن مقياس (تحرير العقل من ان تتحكم به ايحاءات المجتمع المحيط والعرف وتقاليده، أو ما يصطلح عليه اليوم بنفوذ السنن وعادات المجتمع)([3]).

([1]) المشوق إلى القراءة وطلب العلم، علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤٢٥هـ، ٦.

([2]) سورة النساء، الآية (٨٣).

([3]) التربية والتعليم في الإسلام، مرتضى المطهري، مصدر سابق، ٢٧.

المطلب الأول: أساسيات المجتمع الصالح:

للمجتمع الصالح جملة أساسيات مهمة لا بدّ من الالتفات لها، ومعرفتها، والعمل على وفقها، ومنها:

أولاً: وجود القائد:

فلوجود القائد، أي القائد الجامع لشروط القيادة، دوراً مهماً جداً، فهو أساس من أساسيات بناء المجتمع الصالح.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾([1]).

ثانياً: وجود القدوة الصالحة:

فوجود القدوة الصالحة مهم جداً، ومحفز كثيراً لبقاء وديمومة أسس بناء المجتمع الصالح.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾([2]).

ثالثاً: وجود المؤسسة التعليمية تامة الشروط:

فوجود المؤسسة أو المؤسسات التعليمية الرصينة تامة الشروط؛ مهم جداً في بناء المجتمع الصالح.

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾([3]).

رابعاً: وجود المعلم الصالح:

من المهم وجود المعلم الصالح، المرشد والموجه، صاحب الخبرة والكفاءة، والأخلاق، وصاحب الورع والتقوى، لأنه سيكون الأساس في بناء المجتمع الصالح،

([1]) سورة البقرة، الآية (٢٤٧).

([2]) سورة الأحزاب، الآية (٢١).

([3]) سورة التوبة، الآية (١٠٩).

وأجلى مثال على المعلم الصالح هو تاريخ الأنبياء عليهم السلام، وبالخصوص النبي الأكرم محمد ﷺ.

قال تعالى: لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾([1]).

خامساً: وجود النظم والقوانين:

فمن المهم وجود النظم والقوانين لبناء وديمومة المجتمع الصالح، ومن دون ذلك سيتحول المجتمع إلى غابة([2]).

قال تعالى: وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾([3]).

سادساً: وجود الخطط السليمة.

فمن الضروري وجود الخطط و(التخطيط) الصحيح والسليم في كل مناحي الحياة، وفي كل المؤسسات، وبالخصوص التعليمية، وذلك في سبيل بناء المجتمع الصالح.

قال تعالى: يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾([4]).

سابعاً: وجود الأخلاق والقيم الصالحة:

فالأخلاق هي ما يميز الإنسان عن باقي المخلوقات الأرضية، وهو بالأخلاق والقيم يتميز ويسموا عن غيره، لذلك فإن من المهم جداً في سبيل بناء المجتمع الصالح ان تكون هناك أخلاق وقيم صالحة.

قال تعالى: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾([5]).

([1]) سورة التوبة، الآية (١٢٨).

([2]) ظ: النظام التربوي في الإسلام، باقر شريف القرشي، مصدر سابق، ١١٦.

([3]) سورة البقرة، الآية (٢٣٠).

([4]) سورة النساء، الآية (٢٦).

([5]) سورة المؤمنون، الآيات (١-٧).

ثامناً: الاهتمام بتنمية للمواهب وإشغال أوقات الفراغ:

فرعاية المواهب والاهتمام بها مهم جداً، وبالخصوص اشغال أوقات الفراغ، للحفاظ عليهم من الشطط والانحراف عن الجادة الصحيحة.

تاسعاً: وجود البيئة الصالحة:

لا بدّ من توفير البيئة الصالحة لبناء الفرد الصالح، وبالتالي بناء المجتمع الصالح، ومن دون ذلك لن يمكن تحقيق البناء الصالح والسليم للفرد والمجتمع، ولن تبنى المؤسسات بالشكل الصحيح.

عاشراً: وجود مقومات التنمية السليمة:

من اساسيات بناء المجتمع الصالح هو وجود مقومات التنمية الصحيحة والسليمة؛ من أجل جعل أسس البناء اسساً رصينة وصالحة ومنتجة.

المطلب الثاني: التعليم والمجتمعات:

للتعليم دوره البارز في بناء المجتمعات، وله أثره الكبير في تطورها وتقدمها.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾([1]).

أساس بعثة الأنبياء والمرسلين عليهم السلام هو تعليم، وهداية، وإرشاد المجتمع البشري للخير والصلاح. وهذا ما سيبينه البحث في هذا المطلب([2]).

أولاً: التعليم ودوره في بناء المجتمع الصالح:

من المهم ان يوضح البحث ما للتعليم من دور مهم جداً في بناء المجتمع الصالح، فإن للتعلم دور كبير في بناء المجتمع الصالح، وذلك وفق أسس مهمة منها:

١ـ يكون تعليماً ابداعياً وليس تلقينياً:

فمن أساسيات التعليم الصالح ان يكون ابداعياً وليس تلقينياً، وذلك لأنه الأساس في بناء المجتمع الصالح، وفي ترصين أسس المجتمع السليمة.

([1]) سورة النحل، الآية (٣٦).

([2]) ظ: التربية والتعليم في الإسلام، مرتضى المطهري، مصدر سابق، ٢٧ـ٣٠.

٢ـ يكون ضمن دولة مؤسسات حقيقية وليست شكلية:

فمن يريد للتعليم الجيد ان يستمر، وان يسهم في بناء المجتمع الصالح، فشرط ذلك ان يكون ضمن دولة مؤسسات حقيقية، تحترم القوانين وتشدد عليها.

٣ـ يكون ضمن مؤسسات تعليمية حقيقية:

فبناء المجتمع الصالح من خلال التعليم يجب ان يكون من خلال المؤسسات التعليمية الحقيقية، التي تحترم التعليم وتحث عليه، وتحاسب من يخالف ذلك أو يقلل من شأن التعليم والمؤسسات التعليمية.

٤ـ ترعى فيه المواهب:

فمن أهم المهمات في بناء المجتمع الصالح من خلال التعليم هو رعاية المواهب المبدعة، والتي ستساهم في المستقبل في بناء الوطن، وتبدع، وتطور البلاد، فإن رعايتها، والاهتمام بها، يعد الأساس والمنطلق للتقدم، فإن كان الموهوبون هم القادة، فإن البلد سيسير مساره الصحيح.

٥ـ يكون ذا جودة وجدوى معاً:

فالجودة وحدها لا تكفي ان لم يكن معها جدوى، فهذه الثنائية ستحقق المراد من بناء المجتمع الصالح من خلال التعليم الصحيح.

لذلك فإن معرفة هذه الأمور الخمسة المتقدمة مهم جداً في بناء المجتمع الصالح، المحب للعلم والمعرفة، والمتميز بالتعليم والتعلم، سوآءاً على مستوى الأفراد أم على مستوى المجتمعات، والذي كان لمؤسساته التعليمية الدور الكبير في تحقيق بناء المجتمع وتقدمه وتطوره.

ثانياً: أثر التعليم في تقدم وتطور المجتمعات:

لم يخلق الإنسان عالماً من أول لحظة لخلقه أو لولادته، بل انه قد خُلق مزوداً بقابليته للتعلم.

قال تعالى: وعلم آدم الأسماء كلها﴾([1]).

وقد زود الله سبحانه وتعالى الإنسان بقابليات كثيرة وكبيرة، منها ما يعرفه ومنها ما لا يعرفه، ومنها ما يكتشفه مع التقدم في العلم والعمر.

([1]) سورة البقرة، الآية (٣١).

قال تعالى: أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾([1]).

لقد استطاع الإنسان ومن خلال ما لديه من قدرات ظاهرة وكامنة ان يكتشف الكثير من الأسرار، والكنوز، والمعارف، وان يسخرها لخدمته وراحته.

قال تعالى: عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾([2]).

الحضارات الإنسانية القديمة كـ(الصينية، والهندية، واليونانية، والمصرية، والبابلية، والسومرية، والعربية الإسلامية) قد اهتمت بالعلم، وقد كان للعلم دور كبير في ديمومتها وخلود ذكرها.

نعم، فلقد (ركز الصينيون ـ مثلاً ـ منذ القديم على أهمية التعليم والاطلاع، حيث تعزى قوة الحكام لما يتمتعون به من أكبر قدرة على المعرفة، وما ينتج عنها من بصيرة اخلاقية، ومع مرور الزمن استقرت هذه المفاهيم في نظام بيروقراطي مركب يتم فيه اختيار كبار موظفي الدولة من خلال اختيار ودراسة قاسية)([3]).

وهذا مثال على الاهتمام عند الحضارات بالعلم والمعرفة، ودورهما في بناء وقيام وديمومة الحضارات الإنسانية.

لذلك فإن من المهم معرفة ان (مسيرة بني الإنسان قائمة على دورات من الولادة والفناء للأفراد والجماعات والشعوب، لكن الكل ورغم حتمية الفناء تجدهم فاعلين في عمليات البناء والاستمرار وكأن لا فناء سيكون ابداً، وكأنهم خالدون)([4]).

قال تعالى: وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾([5]).

كل ذلك ليتبين لنا ما للتعليم من أثر كبير في تقدم وتطور المجتمعات والحضارات، ومن دون ذلك فإن المجتمعات لن تبقى، والحضارات ستفنى، ولن يكون لها حتى ذكر مطلقاً.

([1]) سورة البلد، الآيات (٨-١٠).

([2]) سورة العلق، الآية (٥).

([3]) اليابانيون، أدوين رايشار، ترجمة: ليلى الجبالي، عالم المعرفة، رقم (١٣٦)، الكويت ـ الكويت، ط١، ١٩٩٦م، ٢٣٣.

([4]) تجارب نهضوية من واقع الحاجة البشرية، الشيخ ليث العتابي، دار القارئ، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٨م، ٦.

([5]) سورة نوح، الآيات (١٧-١٨).

المبحث الثالث: الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعلم في البناء الحضاري والمعرفي:

للتعليم دوره المهم والبارز وأثره الواضح اجتماعياً واخلاقياً في البناء الحضاري والمعرفي للمجتمعات، وهذا ما سيوضحه البحث في مطالب هذا المبحث.

المطلب الأول: التعليم في تاريخ الحضارات:

للتعليم دوراً مهماً ومؤثراً في تاريخ الحضارات، بل هو ساهم في الحفاظ على ديمومتها وخلود ذكرها.

الحضارات القديمة بقي لها الذكر الخالد من خلال اللغة والكتابة، ومن خلال العلم والمعرفة، ولولا ذلك لانتهى ذكرها، ولما وصل لنا ما كان لها من شأن ودور وخلود.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآَخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾([1]).

نعم، فـ(إن لكل دولة نهضت واصلحت وتقدمت كيانها ونموذجها الخاص بها، وهناك عوامل اساسية علمية وثقافية، فإنها ان تساوت مع غيرها في المجال العلمي، فمن اليقين انها لن تتساوى مع غيرها في المجال الثقافي، ذلك ان لكل مجتمع ثقافته الخاصة به)([2]).

لذلك فقد قيل بأن الأمم في مدرسة الحضارة كالتلميذ في مدرسته، وهي تمر بمراحل ثلاثة رئيسة هي: مرحلة التكديس والتجميع، مرحلية الاستيعاب والفهم، مرحلة الأبداع والتفوق.

لقد كان للتعليم دوره الكبير والبارز في تطور وديمومة الحضارة في ألمانيا حتى أصبحت مثالاً عالمياً يحتذى به، وأصبحت ماكنة أوربا الاقتصادية بفضل العلم والمعرفة، وبفضل التقدم العلمي والتكنولوجي.

كذلك الحال بالنسبة إلى اليابان التي حافظت على التراث والحضارة الخاصة بها، ومزجتها مع التكنيك الحديث، لتنطلق علمياً ومعرفياً لتنافس الدول المتقدمة وتكون واحدة منها بفضل العلم والمعرفة.

([1]) سورة يوسف، الآية (١٠٩).

([2]) تجارب نهضوية من واقع الحاجة البشرية، الشيخ ليث العتابي، مصدر سابق، ٧ ـ ٨.

وكذلك الحال بالنسبة للصين التي أبهرت العالم بتقدمها السريع والمؤثر، وذلك بما لديها من عمق حضاري ومواكبة للحداثة، لتصل إلى ما وصلت إليه بفضل العلم والمعرفة.

إذن ان هناك أثراً اجتماعياً واخلاقياً واضحاً للعلم والمعرفة، والتعليم والتعلم في البناء المعرفي الحضاري، وفي تقدم الحضارات وديمومتها وبقائها.

المطلب الثاني: المعرفة ودورها في بناء وازدهار الحضارات:

للمعرفة دورها المهم والبارز والحقيقي في ازدهار الحضارات الإنسانية، والمساهمة في خلود ذكرها، وجعلها قدوة لمن يأتي بعدها.

نعم، الحضارات تمر بلحظات قوة وضعف، لذلك فإن (على الأمة في لحظات ضعفها ان تدرس بعمق الأسس التي ينبغي للأمة ان تُبنى عليها، حتلا لا يصبح بناؤها هشاً ينهار مع أي عاصفة)([1]).

ذلك مهم جداً للاستفادة من التجارب السابقة، وخصوصاً التجارب الناجحة التي ساهمت المعرفة من خلالها في بناء وازدهار الحضارات.

لذلك فإنه (لا بدّ للإنسان ان يسعى نحو التجارب الناجحة في حياة البشرية وتاريخها، لكي يستفيد منها، ذلك ان عمره لا يسمح بخوض كل شيء من أجل معرفته، فلا بدّ عليه الاستفادة من تجارب غيره بما فيها من سلبيات وايجابيات. إن الاستفادة من تجارب الآخر لا مانع عقلي ولا شرعي يمنعه، بل نجد بأن القرآن الكريم قد أكد على الاستفادة من تجارب الآخرين، وكذلك الأحاديث النبوية المباركة وأحاديث المعصومين عليهم السلام)([2]).

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾([3]).

الأمم والحضارات صاحبة المعرفة والعلم والكتابة واللغة ستبقى مخلدة، وذلك ان العلم والكتابة سيخلدها، أما الأمم والحضارات التي لا تملك العلم والكتابة فستندثر ولن يكون لها وجود، ولن تجد لها ذكراً مطلقاً في كل كتب التاريخ.

([1]) العلم وبناء الأمم، راغب السرجاني، مصدر سابق، ٤.

([2]) تجارب نهضوية، الشيخ ليث العتابي، مصدر سابق، ٦ ـ ٧.

([3]) سورة آل عمران، الآية (١٣).

بل ان الأمم صاحبة العلم والمعرفة كانت وتكون وستكون فاعلة في مسيرة الأمم والحضارات الأخرى، يؤخذ منها تطورها وكل شيء، وتكون قدوة في الإتباع والاستمداد والتطور في أي شيء.

تاريخنا المعاصر أكبر شاهدٍ على تفوق أمم وحضارات بما لديها من علم ومعرفة وتطور وتكنولوجيا، فأصبحت مهيمنة وايقونة للاقتداء بكل شيء، بل بسلبياتها وإيجابياتها، لما لها من هيمنة عالمية بسبب العلم والمعرفة، والتطور العلمي والمعرفي الذي تميزت به.

لذلك ان من المهم معرفة ذلك، وبالخصوص من قبل المؤسسات التعليمية، وذلك لكي تهذب النظر إلى الآخر، وان يكون قدوة في الايجابيات فقط، والمفيد فقط، والمتلائم مع الأخلاق والدين فقط.

المبحث الرابع: الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعلم في رصد وتحديد الخيارات السليمة:

للعلم والتعلم دور مهم واثر واضح في الجوانب الاجتماعية والاخلاقية في رصد الأخطاء، وتحديد الخيارات السليمة من أجل علاجها.

المطلب الأول: العلم والتعليم ودورهما في القضاء على الجهل:

للعلم والتعليم دور بارز في القضاء على الجهل، ومحاربة كل أنواع التجهيل المتعمد.

قال تعالى: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾([1]).

تاريخياً قد (كان المجتمع الجاهلي في علاقاته والأسس التي تقوم عليها، يتصف ـ بصورة عامة ـ بالضعف، والفرقة، والتمزق، والعداوة، فالإطار العام للجماعة هو العشيرة والقوم، أو الملك والسلطان، أو الأرض والتراب والمصالح الخاصة، فتراهم يتنازعون بينهم على أبسط الأشياء)([2]).

هذا ما اتصف به المجتمع الجاهلي قبل مجيء الإسلام، وتخلصه من أغلب عادات الجاهلية المضرة.

أما حالياً فـ(إننا وفي مجتمعنا العربي الإسلامي نجد الكثرة الكثيرة ممن يُخفي جهله وراء رفض الكثير من الأشياء، وتجد هذه القضية عند الطبقة المتعلمة، وأصحاب الشهادات، وعند ذوي الدرجات العلمية أكثر من غيرها، بل قد تكاد تكون محصورة بهذه الطبقة فقط)([3]).

وليس هذا الكلام نقداً لأصحاب الشهادات، بل هو نقد للفارغين منهم ممن يحمل الشهادة ويعدها نهاية العلم، ويتكبر على غيره بها لا يعلمه.

([1]) سورة المائدة، الآيات (١٥ـ١٦).

([2]) المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، محمد باقر الحكيم، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، النجف الأشرف ـ العراق، ط١، ٢٠٠٦م، ٥٠٧.

([3]) الأدوات المعرفية، ليث العتابي، مصدر سابق، ٧٦ـ٧٧.

يقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ((إن الجاهل من عد نفسه بما جهل من معرفة العلم عالماً، وبرأيه مكتفياً، فما يزال للعلماء مباعداً، وعليهم زارياً، ولمن خالفه مخطئاً، ولما لم يعرف من الأمور مضللاً، فإذا ورد عليه من الأمور ما لم يعرفه أنكره، وكذب به، وقال بجهالته: ما أعرف هذا و ما أراه كان وما أظن أن يكون وأنى كان، وذلك لثقته برأيه وقلة معرفته بجهالته فما ينفك بما يرى مما يلتبس عليه رأيه مما لا يعرف للجهل مستفيداً، وللحق منكراً، وفي الجهالة متحيراً، وعن طلب العلم مستكبراً))([1]).

كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فيه الوصف الدقيق والناجع لما يسمى بالجاهل الحقيقي وان امتلك الشهادة، أو ما شاكلها.

المطلب الثاني: العلم والتعليم يقود إلى الخيارات السليمة والناجحة:

العلم والتعليم الصحيحان يقودان إلى الخيارات السليمة الناجحة والناجعة في العملية التعليمية، وفي المنظومة التعليمية القائمة على العلم والتعلم ككل متكامل.

لذلك فإن الخلل في المنظومة التعليمية (العلم والتعلم) سيقود إلى الجهل والجمود والتخلف، وينهي كل فرص النجاح.

من المهم أن نعرف بـ(أن البحث عن الخلل في المنظومة التعليمية لا يمكن الإحاطة به من خلال النظر إلى جانب واحد فقط، بل من خلال دراسة تستوعب كل الجوانب ـ قدر الإمكان ـ وكذلك دراسة المؤثرات الداخلية والخارجية)([2]).

نعم، الباحث الشيخ ليث العتابي يعطي ثلاثة عوامل تسبب الخلل في عملية التعليم والتعلم، والتي تؤثر على الخيارات السليمة هي([3]):

١ـ الخلل في المنظومة بما هي منظومة.

٢ـ الخلل في المناهج.

٣ـ الخلل في الكوادر.

([1]) تحف العقول، الحراني، مصدر سابق، ٧٣.

([2]) الأدوات المعرفية، ليث العتابي، مصدر سابق، ١٠٦.

([3]) ينظر: الأدوات المعرفية، ليث العتابي، مصدر سابق، ١٠٦.

إي ان معرفة هذه العوامل وغيرها مهم جداً في نجاح عملية التعليم والتعلم، وبالتالي الوصول إلى الخيارات السليمة الناجحة، وتطوير المنظومة التعليمية، والوصول إلى الأهداف المنشودة من العملية التعليمية.

لذلك فإنه ولأجل الوصول إلى الخيارات السليمة والناجحة في المنظومة التعليمية لا بدّ من أمور مهمة منها:

١ـ اصلاح المنظومة التعليمية.

٢ـ وضع المناهج الملائمة لبناء الفرد البناء العلمي الصحيح.

٣ـ بناء الكوادر التعليمية القادرة على بناء الأفراد.

٤ـ وضع الخطط الصحيحة لتطبيق ما تقدم.

٥ـ المراقبة الشديدة، والمحاسبة لمن لا يعمل وفق ما تقدم.

المطلب الثالث: التجهيل سبب خراب المجتمعات:

التجهيل هو الفعل المتعمد من قبل الأفراد والمنظمات والحكومات في سبيل ابقاء المجتمع ضمن أطر معرفية محددة، وذلك في سبيل السيطرة عليه والتحكم به.

لذلك فالتجهيل هو (يمثل المهارات والقدرات الفائقة التي تمارسها جهات ومؤسسات علمية محترفة في قلب الحقائق ضمن سياق ممارسة التضليل والتشويش على جمهور المتلقين، وبسط أو تسويق الجهل المتعمد؛ لتحقيق غاية اساسية يكون فيها الإنسان أو الأسرة أو المجتمع فارغ العقل أو عقل بلا وعي. بمعنى آخر هو صناعة الجهل بتعويق العقل بالتخلف والمغالطة، وقلب الحقائق على الناس ضماناً لتصريف المنتجات أو تسويق الوجوه المطروحة من شخصيات سياسية أو دينية أو غيرها، وقد تتوفر هذه المهارات والقدرات لدى الأفراد في تضليل الناس)([1]).

قال تعالى: وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ * يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ

([1]) الترويج الإعلامي لعلم التجهيل، (محاضرة الكترونية)، فاضل البدراني، موقع كلية الإعلام، الجامعة العراقية، تاريخ النشر: ٢٦ آب ٢٠٢٠م.

وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ * وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ * ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾([1]).

من أهم طرق نشر التجهيل هو وجود ادارات تعليمية فاشلة، وهنا تكمن عملية التجهيل الأخطر، والأكثر تخريباً، وذلك عندما توكل مهام قيادة المؤسسات التعليمية لإدارات وكوادر فاشلة، لتكون النتائج بع ذلك تخرج اجيال جاهلة بامتياز.

ولتكون المؤسسات مرة أخرى بيد ذلك الجيل الجاهل، ليقوم بدوره بتخريج جيل أكثر جهلاً منه، وهكذا إلى ان تتلاشى العملية العلمية والمعرفية، وتصبح المؤسسات التعليمية لا تحمل من العلم إلا اسمائها فقط.

هناك أنواع كثيرة للتجهيل منها([2]):

أولاً: التجهيل الربحي:

وهو تجهيل للناس من أجل تسويق المنتجات والبضائع، عن طريق الإعلانات المضللة وغير الصحيحة.

ثانياً: التجهيل الحضاري:

وهو عمل تقوم به جهات معينة لتشويه تاريخ وسمعة حضارة معينة، لأنها حضارة منافسة، وذلك لأسباب سياسية أو اقتصادية أو مذهبية أو طائفية أو عرقية.

ثالثاً: التجهيل السياسي:

وهو تجهيل هدفه القضاء على الخصوم من جانب، ورفع شأن شخص أو جهة حزبية أو قيادة معينة عن طريق صناعة المنجزات، أو العزف على أوتار الجمهور العاطفية أو القومية أو الدينية.

([1]) سورة هود، الآيات (٩٦-١٠٠).

([2]) ينظر: الترويج الإعلامي لعلم التجهيل، (محاضرة الكترونية)، فاضل البدراني، موقع كلية الإعلام، الجامعة العراقية، تاريخ النشر: ٢٦ آب ٢٠٢٠م.

المبحث الخامس: الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعلم في وسائل الدور الريادي للأمة الإسلامية الذي يؤكده القرآن الكريم:

تمهيد:

للعلم والتعلم أثره الاجتماعي والأخلاقي الواضح، وسيحقق المراد منه مع مراعاة الشروط الموضوعة له من أجل تحقيق الدور الريادي للأمة الإسلامية الذي أكده القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾([1]).

يقول الشيخ باقر شريف القرشي: (إن الإسلام يؤمن بالعلم، ويؤمن بمقدرته الخلاقة على تطوير المجتمع الإنساني ونموه وازدهاره، كما يؤمن بأن المجتمع الذي لا يقبل على العلم إنما هو مجتمع متأخر ضعفت قواه العقلية وروابطه الفكرية، وانه لا بدّ ان ينعزل عن موكب الحياة والنور)([2]).

الإسلام ومن اليوم الأول قد أكد على (العلم) وعلى (القراءة) في أول الآيات التي نزلت على النبي الأكرم محمد ﷺ ايذاناً بالرسالة الإسلامية الخاتمة.

قال رسول الله ﷺ: ((هلاك أمتي في ترك العلم))([3]).

نعم، هلاك كل الأمم عموماً، والأمة الإسلامية خصوصاً هو في ترك العلم، وبالتالي سيخيم الجهل على تلك الأمة، وحينها سيكون الهلاك والاضمحلال.

([1]) سورة آل عمران، الآية (١١٠).

([2]) النظام التربوي في الإسلام، باقر شريف القرشي، مصدر سابق، ١٧٧.

([3]) مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس الحلي (ت٦٠٥هـ)، مكتبة الفقيه، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٣هـ، ج ١ / ٣.

المطلب الأول: العلم ودوره في ريادة الحضارة الإسلامية:

الإسلام هو دين العلم والمعرفة، ولقد كانت له الريادة والسيادة والقيادة؛ لأنه قد اهتم بالعلم وأكد عليه، وكان كتابه السماوي ومعجزته (القرآن الكريم) هو كتاب علم ومعرفة، ويؤكد على العلم والمعرفة، والقراءة والدرس.

نعم، (لقد ابدا العلماء واعادوا في بيان قيمة كتب العلم، وعظيم أثرها، وجلالة موقعها، ولهم في ذلك عبارات مشهورة نثراً وشعراً، نجد كثيراً منها في مقدمة كتاب الحيوان للجاحظ، وفي ثنايا كتبه، وفي تقييد العلم والجامع للخطيب، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، وفي مطاوي كتب أدب الطلب وكتب التراجم والسير، ومقدمات المصنفات التي تتحدث عن خزائن الكتب)([1]).

فللعلم الأثر الكبير في كتابات العلماء، والتأكيد عليه، حتى ان الموسوعات الحديثية قد خصصت باباً كاملاً مستقلاً للعلم وما يختص به من أحاديث، مع الحث عليه، والترغيب فيه.

كما وقد أكد العلماء المسلمين في كتاباتهم ومؤلفاتهم على أهمية العلم، والحث عليه، وبيان فضله، وعظيم أثره.

يقول الجاحظ (ت٢٥٥هـ): (من لم تكن نفقته التي تخرج في الكتب ألذ عنده من إنفاق عُشاق القيان والمُستهترين بالبنيان، لم يبلغ في العلم مبلغاً رضياً، وليس ينتفع بإنفاقه حتى يؤثر اتخاذ الكتب إيثار الأعرابي فرسه باللبن على عياله، وحتى يؤمل في العلم ما يؤمل في فرسه)([2]).

فالجاحظ ـ هنا ـ يصف حالة من حالات العلم، من خلال انفاق الأموال على شراء الكتب التي هي ألذ متعة، وهذه المتعة لا يعرفها إلا من أحب العلم، أو كان عالماً، أو مشى في دروب العلم.

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد: (العلم في الإسلام يتناول كل موجود وكل ما يوجد، فمن الواجب ان يعلم فهو أعم من العلم الذي يراد لأداء الفرائض والشعائر

([1]) المشوق إلى القراءة وطلب العلم، علي بن محمد العمران، مصدر سابق، ٣٥.

([2]) الحيوان، الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، مصدر سابق، ج ١ / ٥٥.

لأنه عبادة أعم من عبادة الصلاة والصيام، إذ انه خير عبادة ان يهتدي الإنسان إلى سر الله في خلقه، وان يعرف حقائق الوجود في نفسه ومن حوله)([1]).

العبادة مع العلم هي خير العبادات، أما العبادة مع الجهل فهي أسوء العبادات، ذلك انها ستقود إلى الجهل والتطرف والتكفير، وتقود إلى القسوة والعناد، وتقود إلى النفرة واحادية الثقافة.

المطلب الثاني: القرآن الكريم وحفظه للغة وللعلوم وللمعارف الإنسانية والإسلامية:

القرآن الكريم قد حفظ اللغة العربية، واعطاها الاحترام الموجود، والوجود البارز والفعال.

يقول ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ): (إنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتتانها في الأساليب، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات)([2]).

فمن فهم القرآن الكريم، وفهم لغته واساليبه، فذلك هو العالم بحق، لأن القرآن الكريم يعطي لمن يفهمه سعة في الإدراك والعلم، ويوسع قابليات التعلم لديه.

يقول الدكتور محمد حسين الصغير: (وقد سبق في لوح الغيب ان اللغة العربية أشرف اللغات وأنصعها، فاختارها الله تعالى لأشرف كتبه، حتى أثبتت الدراسات المعاصرة امتياز العربية وأولويتها في سلامتها وفصاحتها وأصالتها، وهي تنطلق من صحارى الجزيرة، ومفاوز الحجاز، مخترقة مناخها الاقليمي، وبقعتها الجغرافية إلى بقاع العالم، ضاربة بأطنابها صوب المغرب والمشرق، مما عجزت عن تحقيقه اللغات الحية، وقصرت عن تناوله فصائل اللغات السامية، حتى هجر جملة من

([1]) التفكير فريضة إسلامية، عباس محمود العقاد، دار الرسالة، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٧٧م، ٨٦.

([2]) تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ، ١١.

علماء الإسلام ألسنة لغاتهم الأصلية، تمحضوا للغة القرآن فاحصين وباحثين، فذاع صيتهم في الآفاق، واشتهروا باسم العربية)([1]).

فاللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، وقد كان للقرآن الكريم فضل حفظها، وتميزها، وجعلها لغة عالمية، ولغة دينية، ولغة تفاهم عالية المستوى، لا ينكر وجودها، ولا يقلل من شأنها.

ثم يضيف الدكتور الصغير قائلاً: (وكان القرآن الكريم أصل افتتانهم بلغة العرب، وأسلوبه مصدر حياتهم اللغوية المتنوعة، فتعددت المعارف، وتفتحت المدارك، فكانت الاسهامات الحضارية، والنقلة الثقافية تغزو المجتمعات والأمم والشعوب والقبائل، وتحرر العقول والذهنيات والألباب)([2]).

وهذا ما اضاف إلى اللغة العربية اضافة نوعية، والتي جاءتها من القرآن الكريم، وما له من عظيم شأن عند الله سبحانه وتعالى، وذلك لكونه الكتاب السماوي للديانة السماوية الخاتمة (الإسلام) ومن حافظت على كيانها بفضل القرآن الكريم.

([1]) نظرات معاصرة في القرآن الكريم، محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٠م، ٦٦.

([2]) نظرات معاصرة في القرآن الكريم، مصدر سابق، ٦٦.

المبحث السادس: البعد القيمي والأخلاقي لثقافة القراءة والدرس في المجتمع الإنساني:

تمهيد:

إن لثقافة القراءة والدرس من جانب، وللعلم والتعلم من جانب آخر بعداً قيمياً واخلاقياً كبيراً في بناء المجتمع الإنساني الصالح.

يقول الشيخ باقر شريف القرشي: (إن إشاعة المدارس، وانتشار العلم من الشروط الأساسية في نهضة الأمة، وبلوغ أهدافها ورقيها، كما أنها من العوامل المهمة في بناء الكيان التربوي، واكساب الطفل لشخصيته وسلوكه... والمدارس العامة بحكم وضعها هي الأداة المنظمة للتربية الوطنية... والأسرة بحكم تكوينها البسيط لا تستطيع ان تكون أداة صالحة لإعداد الطفل للقيام بواجباته في الحياة الاجتماعية)([1]).

المطلب الأول: الثقافة الحقيقية هي ثقافة القراءة والدرس:

ثقافة القراءة والدرس المجموعة بـ(التعلم) ليس المقصود منها عند أهل الاختصاص مجرد القراءة والكتابة الجامدة فقط، بل هي ـ عندهم ـ شاملة لكل أنواع التعلم الذي يؤهل (الفرد) ليكون فاعلاً في بيئته، وما يعطيه له من قدر كافي من تربية ودراسة تجعله مواطناً صالحاً، وقادراً على خدمة نفسه وخدمة مجتمعه.

نعم، الثقافة الحقيقية للتعليم والتعلم لها جملة أهداف مهمة منها:

أولاً: تنمية الإدراك:

فتنمية الإدراك من أهم أسس عملية التعليم والتعلم، فـ(إن الوظيفة الأولى للتعليم هي تنمية الإدراك والميول وتوجيهها الوجهة الصالحة التي تتفق مع صالح الفرد والمجتمع، والهيئات التعليمية هي المسؤولة عن إدارة هذا التوجيه وتنمية الشعور في خدمة البشر، والاندفاع للعمل الإيجابي في صالح الغير، وهذا أهم ما ينشده الإسلام)([2]).

([1]) النظام التربوي في الإسلام، باقر شريف القرشي، مصدر سابق، ١١٦.

([2]) النظام التربوي في الإسلام، باقر شريف القرشي، مصدر سابق، ١١٧.

لذا فعلى المؤسسات التعليمية تنمية الإدراك عند الطلبة؛ وذلك من أجل بناءهم بناءاً عقلياً وعلمياً ومعرفياً صحيحاً.

ثانياً: نشر الوعي الثقافي:

ذلك ان نشر الوعي الثقافي من أهم أسس عملية التعليم والتعلم، لذلك فـ(إن المقياس العام لتقدم الشعوب في كل عصر إنما هو بمقدار ما يتهيأ للأفراد من الفرص التعليمية، فإن ذلك من أعظم الثروات التي تملكها الأمة. إن التعليم يجب أن يستهدف نشر الوعي الثقافي المبني على إدراك الفرد للظروف المحيطة به، وقدرته على تحسين تلك الظروف، وعلى معاهد التربية والتعليم أن تعمل على إنماء الروح العلمية، واستخدام أساليب العلم الحديث، سواء أكان في حياتنا الخاصة أم العامة، حتى تزدهر الحياة، ويسود الوعي العلمي في جميع أنحاء البلاد)([1]).

ثالثاً: التعرف على المشاكل الاجتماعية:

فالتعرف على المشاكل الاجتماعية من أهم أسس التعليم والتعلم، لذلك فإنه (يجب أن يعنى التعليم بصورة خاصة بالتعرف على مشاكل المجتمع، والأحداث التي تواجهه... فالواجب على الأسرة التعليمية أن تغذي الناشئة بالأخطار عن الصهيونية والاستعمار، وان تخلق فيهم روحاً ثورية على الاستعمار ومناهضة له، فإن ذلك من أعظم الخدمات الكبيرة التي تؤديها الهيئات العلمية للبلاد)([2]).

مضافاً إلى أمور أخرى قد أوردتها الكتب المختصة بذلك، والتي يطول شرحها وتفصيلها، وبما ان اطروحتنا لا تستوعب جميع التفاصيل، لذلك فإن في المصادر والمراجع ما يفيد الباحث كثيراً، وقد اكتف البحث بالإشارات العامة المفيدة منها.

المطلب الثاني: بالقراءة تقدمت المجتمعات وازدهرت الحضارات:

القراءة هي الأساس الذي على وفقه قد تقدمت المجتمعات وازدهرت الحضارات، وسادت الأمم، وتوسعت، وانتشرت، وكان لها التأثير على مر التاريخ.

يقول الشيخ باقر شريف القرشي: (وأوجد الإسلام انقلاباً تاماً على جميع المفاهيم السائدة في العصور الجاهلية من الجهل والخرافات، والانقياد وراء الأضاليل

([1]) النظام التربوي في الإسلام، باقر شريف القرشي، مصدر سابق، ١١٨.

([2]) النظام التربوي في الإسلام، باقر شريف القرشي، مصدر سابق، ١١٨-١١٩.

والأوهام، فأوجد وعياً اصيلاً وتطوراً هائلاً في المجالات الفكرية والعلمية، وقد وجه جميع أجهزته لبلورة الفكر، ونشر العلم، والقضاء على جميع التقاليد الاجتماعية التي لا تحمل هدياً ولا وعياً)([1]).

لقد كان للإسلام الدور الكبير في اعادة الإنسان إلى ما خلقه الله تعالى عليه، وارجاعه إلى فطرته السليمة، وإلى قواعد الارتباط الإلهي، وما اراده الله سبحانه وتعالى من الإنسان ليكون خليفته على الأرض.

قال تعالى: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾([2]).

القراءة تعلمنا الاستفادة من تجارب الآخرين على اختلاف أديانهم، ولغاتهم، وألوانهم، وأماكنهم، وازمانهم.

فالقراءة تقرب البعيد، وتبسط الصعب، وتحل المُشكل، وتوفر الوقت، وتعوض عن التجارب.

لذلك فإنه وبواسطة القراءة للسابقين من جانب، وللعلوم المفيدة من جانب آخر تقدمت المجتمعات وازدهرت الحضارات.

ثم ان الثورة المعرفية هي أفضل الثورات الإنسانية، فإنها ثورة معرفية وعلمية من أفضل الثورات في تاريخ الإنسانية، وهي من أفضل الأشياء التي حدثت في تاريخ بني الإنسان.

فمن خلال الثورة المعرفية كثرت المخترعات، وازدادت الاستكشافات، وتطورت الأدوات، وازدهرت الحضارات، وتقدمت المجتمعات.

وكما تقرر مسبقاً، فإن الأثر الاجتماعي للتعليم لا ولن يتحقق ما لم تتحقق ثورة علمية تربوية وثقافية، فيها يبادر الجميع إلى تغيير أنفسهم ومجتمعاتهم، وأن يؤدي فيها المسجد، والمدرسة، والمجتمع، والكتاب، والمذياع، والتلفاز، والصحف والمجلات، والعاملون، يؤدون دوراً مهماً في التغيير المنشود من الثورة العلمية والمعرفية والتربوية، ليشمل ذلك جميع الطبقات والمجتمعات والأفراد([3]).

([1]) النظام التربوي في الإسلام، باقر شريف القرشي، مصدر سابق، ٢١٣.

([2]) سورة العلق، الآيات (١-٥).

([3]) ظ: التربية والتعليم في الإسلام، علي شريعتمداري، مصدر سابق، ١٦.

لذا فإن الثورة العلمية والمعرفية يجب ان تستمر، وان تعيد نفسها كل مرة، لأنها الأقدر على كسر الجمود والاتكالية.

خلاصة الفصل الخامس:

١ـ للتعلم اثره الواضح اجتماعياً واخلاقياً المهم في بناء شخصية الفرد وتطورها، وتقدمها وازدهارها.

٢ـ للتعلم اثره الجلي اجتماعياً واخلاقياً في بناء المجتمع الصالح.

٣ـ للتعلم الأثر الاجتماعي والأخلاقي في البناء الحضاري والمعرفي السليم.

٤ـ للتعلم اثره الاجتماعي والاخلاقي في تحديد الخيارات السليمة للفرد والمجتمع.

٥ـ للتعلم في الإسلام الأثر الواضح في سمو وتقدم الحضارة الإسلامية وريادتها.

٦ـ ثقافة القراءة والدرس، والعلم والتعليم، لها الأثر الكبير في البناء القيمي والأخلاقي للمجتمعات الإنسانية عموماً، والمجتمع الإسلامي خصوصاً.

الخاتمة والنتائج والتوصيات

أولاً: الخاتمة:

١ـ ضرورة التعريف بمفردات العنوان، وتبيين، وتوضيح المراد بها على وفق عنوان الأطروحة، وما يراد بها، وهذا ما تكفل به الفصل الأول من الأطروحة.

٢ـ لا بدّ من التعريف بالقيم القرآنية، والمباني القيمية والتربوية والتعليمية، وتوضيح المراد بالنسق القيمي، والوسائل المساعدة على ذلك، وهذا ما تكفل به الفصل الثاني من الأطروحة.

٣ـ هناك ألفاظ كثيرة تخص مفردات الأطروحة، وهي متشابكة ومتداخلة، وكان من الضروري توضيحها، وبيانها، وهذا ما تكفل به الفصل الثالث من الأطروحة.

٤ـ من المهم بيان المباني القيمية وأثرها العقدي (العقائدي) في التربية والتعليم، وبالخصوص في آيات القراءة والدرس، وهذا ما تكفل به الفصل الرابع من الأطروحة.

٥ـ من الضروري بيان الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتربية والتعليم في آيات القراءة والدرس، وقد تكفل الفصل الخامس من الأطروحة ببيان ذلك.

ثانياً: النتائج:

١ـ تعريف المبنى من جانب، والمباني من جانب آخر، مهم جداً، لكن مع ملاحظة أن التعريف يجب أن يكون ضمن بيئته الاجتماعية الصحيحة، وبيئته الثقافية الملائمة، وبيئته العملية الخاصة، حتى لا يحصل الخلط ما بينه وبين ما يشابهه في بيئة اجتماعية أخرى، أو بيئة ثقافية أخرى، أو بيئة عملية مغايرة.

لذا فقد كان للباحث تشديد على ذلك، ولو استخراج التعريف المناسب من براثن القواميس، حتى يكون التعريف في مكانه ومحله المناسب.

٢ـ من المهم أن يكون هناك تفريق أو نوع تفريق ما بين القيم القرآنية، والقيم الأخرى الوضعية، مع بيان خصوصية كل قيم بخصوصية العلم الخاص بها.

وهذا ما قام به الباحث، من خلال بيان وتوضيح المراد بالقيم القرآنية، والمراد بالمباني القيمية التربوية والتعليمية، والنسق القيمي، والوسائل التعليمية، وبحسب ما يتلاءم مع أساس الأطروحة.

٣ـ لا بدّ من حل التشابك، والتعارض، والتكرار الموجود في الألفاظ، وذلك بالنسبة لنا كأناس عاديين، وبالخصوص ألفاظ القرآن الكريم، والتي تختلط وتشتبه علينا، وهذا مهم في تحقيق وتحقق الفهم الصحيح.

لذا فقد أخذ الباحث على عاتقه البحث عن الأسس الصحيحة لحل هذا التشابك، والتعارض، والتشابه، مع وضع نوع من القواعد التي يسير عليها المتلقي، ليبتعد عن الوقوع في الخلل، وليتجنب الزلل.

٤ـ العقيدة مهمة جداً للإنسان، وهي الأساس في تحديد مصيره الأخروي، وهذا المصير الأخروي مرتبط بعمله الدنيوي، لذا فإن فهم العقيدة، ومجموع العقائد بالشكل الصحيح، سيقود الإنسان إلى النجاة في الآخرة.

لقد كان للباحث دور في توضيح المباني القيمية وأثرها العقدي في عملية التربية والتعليم، وبما يتلاءم مع أساسيات الأطروحة، حتى تكون منطلقات صحيحة في التربية والتعليم، وفي الاعتقاد، وبالتالي في النجاة يوم القيامة.

٥ـ الأثر الاجتماعي والأخلاقي للتعليم واضح جداً، وهو ـ ان وضع وضعه الصحيح ـ سيقود الإنسان إلى الرقي الدنيوي، والفوز الأخروي.

لذا كان من الباحث أن وضح تلك الآثار المهمة اجتماعياً وأخلاقياً في مجال التربية والتعليم، وضمن أسس تخدم الإنسان، وتبني شخصيته بالشكل الصحيح، ومن ثم تساهم في بناء المجتمع، وبالتالي بناء الحضارة علمياً ومعرفياً، وفي رصد وتحديد الخيارات السليمة.

ثالثاً: التوصيات:

١ـ يجب ان يعطى موضوع القيم حيز أكبر، ويتوزع على سور القرآن الكريم، وعلى العلوم الشرعية، وعلى أصول الدين، حتى تكون هناك أكثر من موسوعة خاصة بذلك في: القرآن الكريم، والفقه، والأصول، والحديث، والعقائد، وباقي العلوم الأخرى.

٢ـ أن يكون هناك درس خاص بمصطلحات (القيم)، أو ما تسمى بـ(الأكسيولوجيا)، وعلاقتها بالأخلاق والسلوكيات.

٣ـ ألا تتوقف الكتابة في (الماجستير) و(الدكتوراه) عن هذا الموضوع المهم، والذي نحتاجه بشدة، بعد انتشار الشذوذ، والمثلية، والانحرافات، وبالخصوص في المؤسسات التعليمية الغربية.

٤ـ الأخلاق والقيم هي أساس بقاء الأمم، لذا علينا تحصين المجتمع، والشباب، من القادم الغربي، والذي يريد تشويه الفطرة السليمة، وارجاع الناس إلى القرآن الكريم، وإلى أحاديث النبي الأكرم ﷺ، وأحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب والمؤلفات:

١ـ إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٥م.

٢ـ أساس البلاغة، جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٣٩٩هـ.

٣ـ أساسيات المنهج في التعليم النظامي وتعليم الكبار، فؤاد سلمان قلادة، دار المطبوعات الجديدة للطباعة والنشر، الإسكندرية ـ مصر، ط١، ١٩٧٦م.

٤ـ استراتيجية تطوير التربية العربية، محمد الشريف وآخرون، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط١، تونس ـ تونس، ط١، ١٩٧٩م.

٥ـ استنباط القيم في حقل علمي، فتحي ملكاوي، بحث منشور في كتاب القيم في الظاهرة الاجتماعية، تحرير: نادية مصطفى وسيف الدين عبد الفتاح، دار البشير، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠١١م.

٦ـ أسس ومعالم تربوية من سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الشيخ ليث العتابي، أفكار للطباعة، العراق ـ النجف الأشرف، ط١، ٢٠١٨م.

٧ـ أسلوبية ونظرية النص، إبراهيم خليل، دار المنار للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٩٨م.

٨ـ إعانة الحفّاظ للآيات المتشابهة الألفاظ، محمد طلحة بلال منيار، دار نور المكتبات، ط١، ١٤٢٤هـ.

٩ـ أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، فاضل مصطفى الساقي، مكتبة الخانجي، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٧٧م.

١٠ـ الاتجاه الأخلاقي في الإسلام، مقداد يلجن، مكتبة الخانجي، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٧٣م.

١١ـ الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٣٩٤هـ.

١٢ـ الاختصاص، الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، دار ذوي القربى، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٣ـ الأداء التصويري وإيقاع الفواصل في القرآن الكريم، محمد قطب عبد العال، دار العلوم، ديوبند ـ الهند، ط١، ٢٠٠٢.

١٤ـ الأدوات المعرفية، ليث العتابي، دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٤م.

١٥ـ الأسس المنهجية في تفسير النص القرآني، عدي الحجار، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء ـ العراق، ط١، ١٤٣٣هـ.

١٦ـ الأسس المنهجية في نقد الأصول الرجالية حتى نهاية القرن الخامس الهجري، حسن كريم ماجد الربيعي، دار العارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط ١، ٢٠١٢م.

١٧ـ الأشباه والنظائر، السبكي، دار الإرشاد، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

١٨ـ الاعتقادات، الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، ط١، ١٤٠٤هـ.

١٩ـ الاعتماد في شرح واجب الاعتقاد، المقداد السيوري، تحقيق: صفاء الدين البصري، مجمع البحوث الإسلامية، قم ـ إيران، ط١، ١٤١٢هـ.

٢٠ـ الاقتصاد، الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، مؤسسة جماعة المدرسين، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣٠هـ.

٢١ـ الأمثال في القرآن، جعفر سبحاني، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٩هـ.

٢٢ـ الأمثل في تفسير القرآن المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، انتشار إسلامي، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٧هـ.

٢٣ـ الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم، سعيد سالم فاندي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.

٢٤ـ البحث العلمي في الاتصال، لارامي وفالي، ترجمة: ميلود سفاري وآخرون، مَخبر علم الاجتماع للبحث والترجمة، الجزائر ـ الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م.

٢٥ـ البحث المعرفي، حسن كريم الربيعي، دار الولاء للنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٥م.

٢٦ـ البيان والتبيين، الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٨٨م.

٢٧ـ التأصيل الإسلامي لمفهوم القيم، فتحي حسن ملكاوي، دار الفكر، دمشق ـ سورية، ط١، ٢٠٠١م.

٢٨ـ التبيان، الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، دون طبعة، دون تاريخ.

٢٩ـ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس ـ تونس، ط١، ١٩٨٤م.

٣٠ـ التحقيق في كلمات القرآن، حسن المصطفوي، مؤسسة الطباعة والنشر في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران ـ إيران، ط١، ١٤١٦هـ.

٣١ـ التربية والتعليم في الإسلام، علي شريعتمداري، مجمع البحوث الإسلامية، طهران ـ إيران، ط١، ١٤١٥هـ.

٣٢ـ التربية والتعليم في الإسلام، مرتضى المطهري، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط٤، ١٤٢٦هـ.

٣٣ـ التربية والتعليم في القرآن الكريم: النظرية والمنهج ومقاربة التطبيق، بلال نعيم، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٤م.

٣٤ـ الترغيب والترهيب، المنذري، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٣٣٩هـ.

٣٥ـ الترويج الإعلامي لعلم التجهيل، فاضل البدراني، موقع كلية الإعلام، الجامعة العراقية، ٢٠٢٠م.

٣٦ـ التعليم والتعلم في القرآن الكريم، حامد عبده الهوال، مكتبة الفلاح، الكويت ـ الكويت، ط١، ١٩٨١م.

٣٧ـ التعليم وقيم التنمية، عصام الدين علي هلال، مكتبة سماح للنشر والتوزيع، طنطا ـ مصر، ط١، ١٩٨٤م.

٣٨ـ التفسير التربوي للقرآن: المباني والاتجاهات، هاشم أبو خمسين، مركز القائمية للنشر والتوزع، اصفهان ـ إيران، ط١، ١٤٣٩هـ.

٣٩ـ التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية (ت١٤٠٠هـ)، دار الجواد، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

٤٠ـ التفكير فريضة إسلامية، عباس محمود العقاد، دار الرسالة، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٧٧م.

٤١ـ التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣٢هـ.

٤٢ـ الجامع الصحيح، ابو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤٣ـ الحدود والحقائق، الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ)، اعداد مهدي الرجائي، اشراف: أحمد الحسيني، منشورات دار القرآن، قم ـ إيران، ط١، ١٤٠٥هـ.

٤٤ـ الحيوان، الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٧٩م.

٤٥ـ الخصال، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، دار ذوي القربى، قم ـ إيران، ط١، ٢٠٠١م.

٤٦ـ الدلالة النحوية عند العرب، عبد الكريم مجاهد، دار الضياء للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٥م.

٤٧ـ الذخيرة، الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ)، مؤسسة الإمام الصادق، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٩هـ.

٤٨ـ السنن الإلهية، عبد الكريم زيدان، دار قرطبة، بغداد ـ العراق، ط١، ١٩٧٧م.

٤٩ـ الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ)، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٧هـ.

٥٠ـ العلاقة مع الآخر في ضوء الأخلاق القرآنية، محمد الناصري، دار الهادي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.

٥١ـ العلم في التاريخ، ج. د. برنال، ترجمة: علي ناصف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٧م.

٥٢ـ العلم وبناء الأمم: دراسة تأصيلية لدور العلم في بناء الدولة، راغب السرجاني، مؤسسة اقرأ، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٤٢٨هـ.

٥٣ـ العمدة في فلسفة القيم، العوا، عادل، دار طلاس للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ـ سوريا، ط١، ١٩٨٦م.

٥٤ـ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ.

٥٥ـ الفروق، شهاب الدين القرافي (ت٦٨٤هـ)، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢١هـ.

٥٦ـ الفن والأخلاق، شارل لالو، ترجمة: عادل العوا، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ـ سوريا، ط١، ١٩٧٠م.

٥٧ـ الفهرست، ابن النديم (ت٣٨٤هـ)، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٧٨م.

٥٨ـ القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٢هـ.

٥٩ـ القرآن أصل التربية وعلم النفس، أحمد جهان الفورتيه، دار الملتقى للنشر، ليماسول ـ قبرص، ط١، ١٩٩٤م.

٦٠ـ القرآن في الإسلام، الطباطبائي، تعريب: أحمد الحسيني، الناشر مؤسسة التبليغ الإسلامي، قم ـ إيران، ط١، ١٤١٥هـ.

٦١ـ القيم والعادات الاجتماعية، فوزية ذياب، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٦٦م.

٦٢ـ الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ)، الكافي، منشورات الفجر، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٧م.

٦٣ـ الكليات الشرعية في القرآن الكريم، الحسن حريفي، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ودار ابن القيم للنشر والتوزيع، الدمام ـ السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ.

٦٤ـ المباني الأصولية عند السيد اليزدي وتطبيقاتها في العروة الوثقى: فقه المعاملات أنموذجاً، محمد النائلي، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣٩هـ.

٦٥ـ المجتمع الإنساني في القرآن الكريم، محمد باقر الحكيم، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، النجف الأشرف ـ العراق، ط١، ٢٠٠٦م.

٦٦ـ المخصص، علي بن إسماعيل ابن سيده (ت٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

٦٧ـ المدخل اللغوي في نقد الشعر: قراءة بنيوية، مصطفى السعدني، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٩٨م.

٦٨ـ المدخل إلى التفسير التجزيئي، الشيخ ليث العتابي، أفكار للطباعة، النجف الأشرف ـ العراق، ط١، ٢٠٢١م.

٦٩ـ المدخل إلى القواعد القرآنية: نحو تأسيس قواعدي لكليات القرآن الكريم، دار الولاء لصناعة النشر، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٧م.

٧٠ـ المدخل إلى القيم الإسلامية، جابر قميحة، دار الكتب المصري، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٤٠٤هـ.

٧١ـ المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، مصطفى الزلمي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد ـ العراق، ط١، ١٩٨٦م.

٧٢ـ المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، مطبعة شريعت، قم ـ إيران، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٧٣ـ المرشد في كتابة الابحاث، حلمي فودة، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، ط١، ١٩٧٥م.

٧٤ـ المشوق إلى القراءة وطلب العلم، علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤٢٥هـ.

٧٥ـ المصباح المنير، أحمد بن محمد الفيومي (ت٧٧٠هـ)، دار العدل الجديد للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠٠٧م.

٧٦ـ المصطلحات الإسلامية، مرتضى العسكري، جمع وتنظيم: سليم الحسني، كلية أصول الدين، قم ـ إيران، ط١، ١٤١٨هـ.

٧٧ـ المعجم الصافي في اللغة، صالح الصالح وأمينة الأحمد، دار ابن الوراق، ط١، ١٩٨٩م.

٧٨ـ المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٨٣م.

٧٩ـ المعجم الفلسفي، مراد وهبة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٩٨م.

٨٠ـ المعجم الوسيط، أحمد الزيات وآخرون، دار الدعوة للطباعة والنشر والتوزيع، استانبول ـ تركيا، ط٢، ١٩٧٢م.

٨١ـ المفردات، الراغب الاصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، انتشارات ذوي القربى، قم ـ إيران، ط٤، ١٤٢٥هـ.

٨٢ـ المفصل في صنعة الإعراب، جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

٨٣ـ المقاصد الشرعية، نور الدين الخادمي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ٢٠٠١م.

٨٤ـ المقدمة، ابن خلدون (ت٨٠٨هـ)، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٨٥ـ المناهج: أسسها، تخطيطها، تقويمها، يحيى هندام وجابر عبد الحميد جابر، دار النهضة العربية، القاهرة ـ مصر، ط١٠، ١٩٩٢م.

٨٦ـ المنهج التربوي عند أهل البيت عليهم السلام، سعيد كاظم العذاري، مركز الطباعة والنشر التابع للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٧هـ.

٨٧ـ المواقف، عضد الدين الأيجي (ت٧٥٦هـ)، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

٨٨ـ الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، عبد العليم إبراهيم، دار المعارف للطباعة والنشر، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠٠٢م.

٨٩ـ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت١٤٠٢هـ)، مؤسسة السيدة المعصومة، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٤هـ.

٩٠ـ النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، دار الرسالة للنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٨٨م.

٩١ـ النسق القرآني دراسة أسلوبية، محمد ديب الجاجي، نشر دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، جدة ـ السعودية، ط١، ١٤٣١هـ.

٩٢ـ النظام التربوي في الإسلام، باقر شريف القرشي، مكتبة الإمام الحسن عليه السلام العامة، النجف الأشرف ـ العراق، ط١، ١٤٢٧هـ.

٩٣ـ النظرية الإسلامية في التربية والتعليم، جميلة علم الهدى، تعريب: عباس صافي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١١م.

٩٤ـ النكت الاعتقادية، الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، تحقيق: رضا مختاري، الناشر المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد، ط١، ١٤١٣هـ.

٩٥ـ الوسائل التعليمية تصميمها وانتاجها، عبد الحافظ محمد جابر سلامة، دار البداية، عمان ـ الأردن، ط١، ٢٠٠٦م.

٩٦ـ الوضعية المنطقية بين القيم الدينية والأخلاقية عند ألفرد إيو، مختار البسيوني، وكالة الشرق للطباعة، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠٠٢م.

٩٧ـ اليابانيون، أدوين رايشار، ترجمة: ليلى الجبالي، عالم المعرفة، رقم (١٣٦)، الكويت ـ الكويت، ط١، ١٩٩٦م.

٩٨ـ أمالي الصدوق، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، منشورات الشريف الرضي، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٧هـ.

٩٩ـ أمالي الطوسي، الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، دون طبعة، دون تاريخ.

١٠٠ـ أمة اقرأ لا بدّ ان تقرأ، أمير محمد المدري، مكتبة خالد بن الوليد، صنعاء ـ اليمن، ط٢، ١٤٣١هـ.

١٠١ـ أمة اقرأ لا تقرأ، حسن آل حمادة، دار الراوي، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، ط١، ٢٠٠٨م.

١٠٢ـ أوائل المقالات، الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، تحقيق: إبراهيم الأنصاري، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ـ إيران، ط٢، ١٤١٤هـ.

١٠٣ـ بحار الأنور، محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين والأخصائيين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

١٠٤ـ بداية المعارف الإلهية، محسن الخرازي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ إيران، ط٦، ١٤٢٠هـ.

١٠٥ـ بداية المعرفة، حسن مكي العاملي، دار الزهراء، قم ـ إيران، ط٢، ١٤٣١هـ.

١٠٦ـ بغية السائل من أوابد المسائل، وليد المهدي، دار الراف، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٩هـ.

١٠٧ـ تاج العروس، الزبيدي (ت١١٤٥هـ)، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط٤، ١٩٩٠م.

١٠٨ـ تاريخ العلم، جورج سارتون، ترجمة: محمد خلف الله وآخرون، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٨٠م.

١٠٩ـ تاريخ ضائع: التراث الخالد لعلماء الإسلام ومفكريه وفنانيه، مايكل هاميلتون مورجان، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ـ مصر، ط١، ٢٠٠٧م.

١١٠ـ تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ.

١١١ـ تجارب نهضوية من واقع الحاجة البشرية، الشيخ ليث العتابي، دار القارئ، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٨م.

١١٢ـ تجلي القرآن في نهج البلاغة، محمد تقي مصباح اليزدي، ترجمة: ماجد الخاقاني، مركز اصدارات مؤسسة الإمام الخميني للتعليم والبحث، قم ـ إيران، ط٢، ١٤٢٨هـ.

١١٣ـ تحف العقول، الحراني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

١١٤ـ تراث الإسلام، جوزيف شاخت وآخرون، عالم المعرفة، الكويت ـ الكويت، ط١، ١٩٩٩م.

١١٥ـ تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد الآمدي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣٢هـ.

١١٦ـ تطور الفكر التربوي، فخري رشيد خضر، مكتبة المكتبة ودار الكتاب الجامعي، أبو ظبي ـ الإمارات العربية المتحدة، ط١، ٢٠٠٠م.

١١٧ـ تطوير مناهج تعليم القراءة في مراحل التعليم العام في الوطن العربي، محمد رشدي خاطر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط١، ١٩٨٦م.

١١٨ـ تعددية القيم: ما مداها وما حدودها، طه عبد الرحمن، طبع كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش ـ المغرب، ط١، ٢٠٠١م.

١١٩ـ تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق ـ سوريا، ط٣، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨م.

١٢٠ـ تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس ـ تونس، ط١، ١٩٨٤م.

١٢١ـ تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (٣٢٩هـ)، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣١هـ.

١٢٢ـ تكنولوجيا التعليم والوسائل التعليمية، محمد السيد علي، دار ومكتبة الإسراء للطباعة والنشر، عمان ـ الأردن، ط١، ٢٠٠٥م.

١٢٣ـ تكنولوجيا التعليم والوسائل التعليمية، محمد السيد علي، دار ومكتبة الإسراء، ط١، ٢٠٠٥م.

١٢٤ـ تكوين النظرية في الفكر الإسلامي والفكر العربي المعاصر، ناظم عودة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.

١٢٥ـ تنبيه الأمة وتنزيه الملة، محمد حسين النائيني، تعريب: عبد المحسن آل نجف، مكتبة الإسكندرية، الإسكندرية ـ مصر، ط١، ٢٠١٢م.

١٢٦ـ تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، مجموعة ورام، ورام بن عيسى (٦٠٥هـ)، قسم الشؤون الفكرية في العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء ـ العراق، ط١، ١٤٣٤هـ.

١٢٧ـ تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ابن مسكويه (ت٤٢١هـ)، مكتبة الثقافة الدينية، ط١، ١٣٩٩هـ.

١٢٨ـ تهذيب اللغة، الأزهري (ت٣٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

١٢٩ـ ثلاثية المعرفة: القراءة، الكتابة، الكتاب، الشيخ ليث العتابي، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٨م.

١٣٠ـ جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٣١ـ دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، فتحي الدريني، دار قتيبة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

١٣٢ـ دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، علي أكبر السيفي المازندراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم ـ إيران، ط٣، ١٤٣٦هـ.

١٣٣ـ دستور الأخلاق في القرآن، محمد عبد الله دراز، تعريب وتحقيق وتعليق: عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، القاهرة ـ مصر، ط١٠، ١٩٩٨م.

١٣٤ـ دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣٦هـ.

١٣٥ـ روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

١٣٦ـ سر صناعة الإعراب، ابن جني (ت٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣٠هـ.

١٣٧ـ شرح أسماء الله الحسنى، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٨٤م.

١٣٨ـ شرح الباب الحادي عشر، المقداد السيوري (ت٨٢٦هـ)، مؤسسة آستان قدس رضوي، ط١، ١٤٢٨هـ.

١٣٩ـ شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، مؤسسة الأعلمي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣١هـ.

١٤٠ـ شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكة، ترجمة: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ط٨، ١٩٩٣م.

١٤١ـ طبيعة العلم وبنيته وتطبيقاته في التربية العلمية، عايش محمود زيتون، دار عمار للطباعة والنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، ط١، ١٩٩١م.

١٤٢ـ عقائد الإمامية، محمد رضا المظفر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٤٣ـ علم الإشارة السيميولوجيا، بيير جيرو، ترجمة: منذر عياشي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ـ سوريا، ط١١، ١٩٨٨م.

١٤٤ـ علم الأصوات اللغوية: الفونيتيكا، عصام نور الدين، دار الفكر اللبناني، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٢م.

١٤٥ـ علم الإنسان القرآني: الانثروبولوجيا القرآنية، الشيخ ليث العتابي، دار القارئ، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٨م.

١٤٦ـ علم المصطلح، علي القاسمي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

١٤٧ـ علم النفس التربوي: سيكولوجية التعلم، إدوارد لي ثورندايك، مطبعة كلية المعلمين، ط١، ١٩١٣م.

١٤٨ـ علوم القرآن، نبيل الحسني، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣٩هـ.

١٤٩ـ غرر الحكم، عبد الواحد الآمدي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣٢هـ.

١٥٠ـ فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، محمد بن أحمد جهلان،

١٥١ـ فقه القرآن المبادئ النظرية لدراسة آيات الأحكام، محمد علي أيازي، ترجمة: علي محسن، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠١٣م.

١٥٢ـ فلسفات تربوية معاصرة، سعيد إسماعيل علي، عالم المعرفة، الكويت ـ الكويت، ط١، ١٩٩٥م.

١٥٣ـ فلسفة التربية الفقهية عند الإمام الصادق عليه السلام، محمد أحمد حجازي، دار المؤرخ العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ.

١٥٤ـ فلسفة العلوم، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، الجامعة المستنصرية، بغداد ـ العراق، ١٩٨٨م.

١٥٥ـ فلسفتنا، محمد باقر الصدر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٨هـ.

١٥٦ـ فنون التقعيد وعلوم الألسنية، ريمون طحان ودنيز بيطار طحان، دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٨٩م.

١٥٧ـ قضايا لغوية قرآنية، عبد الأمير زاهد، العارف للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١م.

١٥٨ـ قواعد العقائد، الخواجة نصير الدين الطوسي (ت٦٧٢هـ)، تحقيق: علي الرباني الكلبايكاني، نشر حوزة قم، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٥هـ.

١٥٩ـ قواعد الوسائل، مصطفى بن كرامة الله مخدوم، دار اشبيليا، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٦٠ـ كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، مكتبة لبنان، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

١٦١ـ كشف الغطاء، جعفر كاشف الغطاء الجناجي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٢هـ.

١٦٢ـ كشف المراد، العلامة الحلي (ت٧٢٦هـ)، مركز إسناد مجلس الشورى الإسلامي، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣٥هـ.

١٦٣ـ كنز العمال، المتقي الهندي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٠هـ.

١٦٤ـ لسان العرب، ابن منظور الافريقي (ت٦١١هـ)، مراجعة وتدقيق: يوسف البقاعي وإبراهيم شمس الدين ونضال علي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٦٥ـ لسانيات النص، محمد الخطابي، دار الملاك للنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، ط١، ٢٠٠٤م.

١٦٧ـ مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط٣٥، ١٤١٨هـ.

١٦٨ـ متشابه القرآن العظيم، أحمد بن جعفر المنادي، تحقيق: عبد الله الغنيمان، مكتبة لينة للنشر، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٩٩م.

١٦٩ـ مجمع البحرين، فخر الدين بن محمد الطريحي (ت١٠٨٥هـ)، تحقيق: أحمد الحسيني، نشر دار مرتضوي، طهران ـ إيران، ط١، ١٤١٨هـ.

١٧٠ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، انتشارات ناصر خسرو، قم ـ إيران، ط٧، ١٤٢٥هـ.

١٧١ـ مجموعة ورام، ورام بن أبي فراس الحلي (ت٦٠٥هـ)، مكتبة الفقيه، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٧٢ـ محاضرات في الإلهيات، الشيخ جعفر السبحاني، تلخيص: علي الرباني، دار جواد الأئمة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣١هـ.

١٧٣ـ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي (ت٦٦٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٩٤م.

١٧٤ـ مسند أحمد، أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

١٧٥ـ مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور، عادل أبو العلاء، دار الفكر الجديد، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

١٧٦ـ معارف القرآن، محمد تقي مصباح اليزدي، إعداد: محمد عبد المنعم الخاقاني، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط٢، ١٤٠٨هـ.

١٧٧ـ معاني القرآن، أبو زكريا الفراء، دار الكتاب الإسلامي للنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٣٩٩هـ.

١٧٨ـ معجم ألفاظ الفقه الجعفري، أحمد فتح الله، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، الدمام ـ السعودية، ط١، ١٤١٥هـ.

١٧٩ـ معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر والتوزيع، تونس ـ تونس، ط١، ٢٠٠٣م.

١٨٠ـ معجم متن اللغة، أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٥٨م.

١٨١ـ معجم مقاييس اللغة، أحمد ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، دار إحياء التراث العربي، غير محقق، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ.

١٨٢ـ مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الاصفهاني، تحقيق صفوان داودي، مطبعة دار ذوي القربى، قم ـ إيران، ط١، ١٣٩٩هـ.

١٨٣ـ مفهوم القيم: قراءة تاريخية، أبو تراب طالبي، فصلية المنهاج، بيروت ـ لبنان، العدد ٧٥، خريف ٢٠١٤م.

١٨٤ـ مقاصد الشريعة عند العز بن عبد السلام (ت٦٦٠هـ)، دار النفائس، عمان ـ الأردن، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٨٥ـ مقباس الهداية في علم الرواية، عبد الله المامقاني (ت١٣٥١هـ)، تحقيق: محمد المامقاني، مطبعة نكارش، قم ـ إيران، ط٢، ١٣٩٣هـ.

١٨٦ـ مقدمة على فلسفة التربية والتعليم، جون ديوي، شبوب مريم، دار العلم، الجزائر ـ الجزائر، ط١، ٢٠٠٠م.

١٨٧ـ مكتبات المساجد دراسة تاريخية، مكي السباعي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٨٨ـ من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ)، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٨٦م.

١٨٩ـ منطق تفسير القرآن، محمد علي الرضائي، تعريب: أحمد الأزرقي وهاشم أبو خمسين، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣٦هـ.

١٩٠ـ منية المريد، الشهيد الثاني زين الدين العاملي، دار انصاريان، قم ـ إيران، ط١، ١٤١٥هـ.

١٩١ـ موسوعة الفقه الإسلامي طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، قم ـ إيران، ط١، ١٤٣٣هـ.

١٩٢ـ موسوعة الفلسفة والفلاسفة، عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة ـ مصر، ط١، ١٩٩٩م.

١٩٣ـ موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، صالح حميد وآخرون، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، السعودية، ط١، ١٤٣٠هـ.

١٩٤ـ نحو التربية الإسلامية الحرة، أبو الحسن الندوي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٩٧٧م.

١٩٥ـ نظرات إلى المرجعية، الشيخ علي الكوراني، دار الشيرة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٥هـ.

١٩٦ـ نظرات معاصرة في القرآن الكريم، محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.

١٩٧ـ نظريات الاتصال، منال هلال مزاهرة، دار المسيرة للطباعة والنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، ط١، ٢٠١٢م.

١٩٨ـ نظريات التعلم: دراسة مقارنة، مصطفى ناصف، دار المعرفة، الكويت ـ الكويت، ط١، ١٩٨٣م.

١٩٩ـ نظريات تربوية، محمد خالد سامو، دار آفاق الحضارة للنشر والتوزيع، تونس ـ تونس، ط١، ١٩٩٩م.

٢٠٠ـ نظرية العلم في القرآن، غالب حسن، دار الهادي للنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢١هـ.

٢٠١ـ نظرية المنهج، جورج بوشامب، ترجمة: ممدوح محمد سليمان وآخرون، الدار العربية للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٧م.

٢٠٢ـ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٣٩هـ.

٢٠٣ـ نفحات القرآن: أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، نشر: مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم ـ إيران، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٠٤ـ هندسة الوسائل التعليمية، عبد المعطي حجازي، دار أسامة للطباعة والنشر والتوزيع، عمان ـ الأردن، ط١، ٢٠٠٩م.

٢٠٥ـ وجوه القرآن، إسماعيل بن أحمد النيسابوري (ت٤٣١هـ)، تحقيق: نجف عرشي، مؤسسة الطبع التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، مشهد ـ إيران، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٠٦ـ وحدة النسق في السورة القرآنية: فوائدها وطرق دراستها، رشيد الحمداوي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ط١، ٢٠٠٧م.

ثانياً: الرسائل والأطاريح:

١ـ الأنساق الدلالية اللفظية في النصف الأول من القرآن الكريم، عقيلة بنور، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة ـ الجزائر، ٢٠٠٦ ـ ٢٠٠٧م.

٢ـ القيم في القصص القرآني الكريم، عبد الله محمد أحمد حريري، اطروحة دكتوراه بقسم التربية الإسلامية المقارنة، جامعة طنطا، جمهورية مصر العربية، ١٩٨٨م.

ثالثاً: المجلات والدوريات:

١ـ الأنساق الصوتية ودلالتها في القرآن الكريم: سورة الحج مثالاً، جاسم غالي رومي، مجلة دراسات البصرة، السنة ١٠، العدد ١٩، ٢٠١٥ م.

٢ـ الأنساق القرآنية ومنهجية البحث فيها، أماني حسن القيسي، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات، غزة ـ فلسطين، مجلد ٢٩، العدد ٤، السنة ٢٠٢١م.

٣ـ التأصيل الإسلامي لمفهوم القيم، فتحي حسن ملكاوي، مجلة إسلامية المعرفة، مجلة فكرية فصلية محكمة يصدرها المعهد العالي للفكر الإسلامي، السنة الرابعة عشر، العدد ٥٤، خريف ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨م.

٤ـ الدلالة النحوية بين القدماء والمحدثين، زينب مديح جبارة، مجلة واسط للعلوم الإنسانية، العدد ١٢، السنة ٢٠١٠م.

٥ـ الدلالة النسقية: تأطير نظري، أمجد حميد عبد الله، (بحث)، مجلة الباحث، العدد ٢٥، السنة ٢٠١٧م.

٦ـ صور من جمالية اللفظ القرآني لدى سيد قطب على ضوء كتابه في ظلال القرآن، تكر أبو بكر، بحث، مجلة الدراسات اللغوية (مالم)، العدد ١٠، محرم ١٤٣٥هـ ـ ديسمبر ٢٠١٣م.

رابعاً: المواقع الالكترونية:

١ـ التناوب اللغوي، محمد جابر، موقع فيلادلفيا المعرفة: arknowledge.net

٢ـ القيم القرآنية، سعادة الشيخ أحمد السيابي، جريدة الرؤية العمانية، ٢٢ مايو ٢٠١٨م، alroya.om

٣ـ النص بين النسق والسياق، (مقال)، غدير عبد المجيد عبد الله الخدام، شبكة الألوكة، ٤/ ٧/ ٢٠١٧م، www.alukah.net

٤ـ مدخل عام إلى القيم، الشيخ ليث العتابي، مقال، موقع المعارف الحكمية: maarefhekmiya.org

٥ـ موقع المعاني على شبكة النت ، http://www.almaany.com/ .

٦ـ نسق القيم في القرآن الكريم، عباس شريفة، مقال، ٧ / ٣ / ٢٠١٨م: موقع الجزيرة، Aljazeera.net

المستخلص

إن القيم هي أهم ما يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، بل ويتميز بها الفرد عن أقرانه ومشاكليه، وعن صحبه ومجتمعيه، فيكون بها أفضل، ويكون بها أجمل، فيشخص من بين المتشابهين، ويتفرد ما بين المتكثرين.

إن أساس الأخلاق ومنبعها هي (القيم)، لذا فإن من المهم معرفة أهم المباني لتأسيس القيم، وما يتفرع من ذلك، والتطبيقات العملية لها، والأخلاق التي تتفرع عن أساس القيم وأصولها.

إن القرآن الكريم هو دستور البشرية جمعاء، وهو الأساس، وهو الأصل، وفيه كل شيء، ومنه يؤخذ كل شيء، وإلى المرجع بكل شيء.

إن القرآن الكريم كتابٌ أخلاقي، وتشريعي، وعقائدي، وهو خير البشرية جمعاء منذ الخلق الأول، وإلى يوم القيامة.

في إطار البحث عن المباني القيمية للتربية والتعلم في آيات القرآن الكريم، وبالخصوص آيات القراءة والدرس، فإن هذا البحث يحتاج إلى تتبع دقيق، وإلى عين فاحصة، وإلى ذوق عالٍ، وذلك من أجل جمع تلك الآيات، وتنسيقها، وفهم المراد بها، والخروج بنظرية خاصة بـ(القيم التربوية والتعليمية) في مجال القراءة والدرس والتدريس.

لذا كان عنوان هذه الأطروحة الموسوم بـ(المباني القيمية للتربية والتعليم في آيات القراءة والدرس: دراسة تحليلية).

إن هذا البحث يتناول قضية مهمة جداً، تتعلق بالقيم وما يتفرع عليها من أخلاقيات، وتربية، وسلوكيات، وبالخصوص في المجال التعليمي، وخصوصاً من قبل المعلمين في المدارس، إذ أن هناك نظام قيمي سلوكي، وآخر قيمي تعليمي، لا بدّ من التمييز فيما بينهما أولاً، ثم بيان خصوصيات كل مسلك على حدة، وتنظيمها فيما بعد ضمن إطار نظري واحد.

Abstract

Values are the most important thing that distinguishes a person from other creatures, and even distinguishes an individual from his peers and problems, from his company and society, so that he can be better in them, and be more beautiful in them, so that a person is among the similar, and is unique among the many.

The basis of ethics and its source are (values), so it is important to know the most important buildings for establishing values, what branches from that, practical applications of them, and ethics that branches from the basis of values and their origins.

The Holy Qur'an is the Constitution of all mankind, it is the foundation, it is the origin, it has everything in it, from it everything is taken, and to the reference everything.

The Holy Qur'an is an ethical, legislative, and doctrinal book, and it is the best of all mankind from the first creation until the day of resurrection.

In the context of searching for the valuable premises of education and learning in the verses of the Holy Quran, especially the verses of reading and lesson, this research needs careful tracking, a keen eye, and a high taste, in order to collect these verses, coordinate them, understand what is meant, and come up with a theory of(educational and educational values) in the field of reading, lesson and teaching.

Therefore, the title of this thesis was tagged with (value buildings of education in reading and lesson verses: an analytical study).

This research deals with a very important issue related to values and the ethics, education, and behaviors that branch off from them, especially in the educational field, especially by teachers in schools, as there is a behavioral value system and another educational value system, it is necessary to distinguish between them first, then to explain the specifics of each behavior separately, and organize them later within a single theoretical framework.

Republic of Iraq

Ministry of higher education and scientific research

University of Babylon-Faculty of Islamic sciences

Department of Quranic Sciences-postgraduate studies

Valuable buildings of pedagogy and education in reading and lesson verses

Analytical study

Doctoral thesis submitted by the student

Mushtaq Talib Jawad

To the Council of the Faculty of Islamic sciences at the University of Babylon, which is part of the requirements for obtaining a doctorate degree in the sciences of the Holy Quran

Under supervision

Prof. Dr. Hikmat Obaid Al-Khafaji

١٤٤٥ A.H. **٢٠٢٣ A.D.**